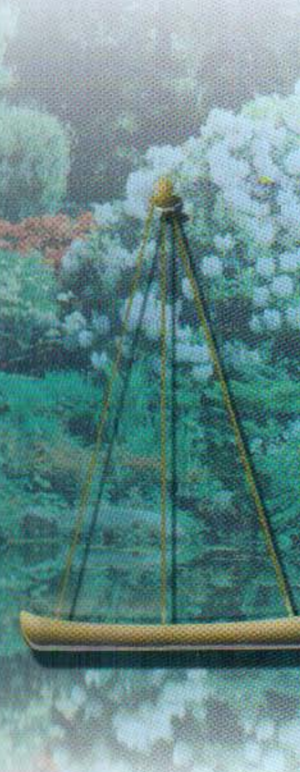
عدالة الصحابة

قراءة في كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي
(٨٩٩ - ٩٧٤ هـ)

الشيخ علي إبراهيم الطرابلسي



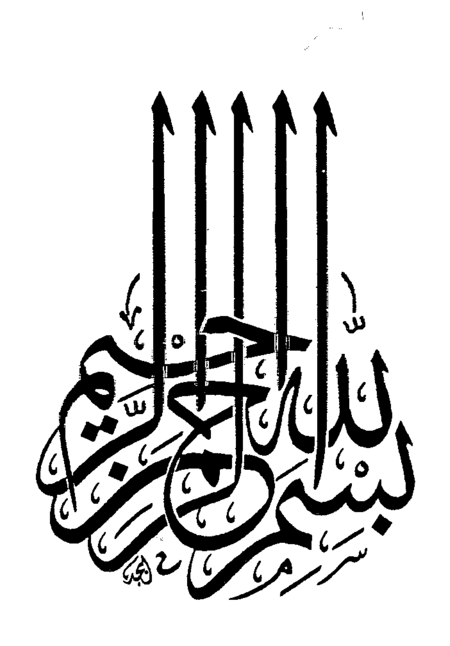


دار المحجة البيضاء
﴿المكتبة التخصصية للرد على الوهابية﴾

عَدالة الصّحابة

قراءة في كتاب الصّواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي

(٨٩٩ - ٩٧٤ هـ)


بسم الله الرحمن الرحيم

عدالة الصحابة

قراءة في كتاب الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي

(٨٩٩ - ٩٧٤ هـ)

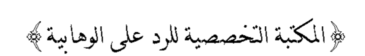
الشيخ علي إبراهيم الطرابلسي

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال
ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧
E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على محمد وآله الطيبين، وأصحابه المنتجبين إلى يوم القيامة والدين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، وبعد:

إن مسألة عدالة الصحابة جميعاً، وأحقية الخلافة هي من الأمور المعقّدة مثلها في ذلك مثل جميع مشكلات التنوّع المذهبي، وعشرات المسائل من علم الكلام ممّا وقع فيه الخلاف عند المسلمين السنّة والشيعة، والمعتزلة، كاختلاف المسلمين مثلاً في حقيقة التوحيد، وفي صفات الله سبحانه، وفي صفات وعصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، واختلافهم في فكرة المعاد الجسماني، والروحاني، وفي مسائل القضاء والقدر، والجبر والتفويض، وفي خطوط الإمامة، من حيث النصوص، أو عدمها، والكثير من المسائل الشائكة في تفاصيل العبادات، والمعاملات، ومسألة الاجتهاد من خلال أدلة التشريع المعروفة في المذاهب الإسلامية، بيد أن الأعظم والأخطر في هذا الاتجاه هو التعصب الأعمى البغيض الذي لا يطيق ولا يريد سماع الرأي الآخر، والمذهب المقابل، بسبب عقدة الذات، والأحاسيس العدوانية التي تؤدي عادة إلى مزلقة التخلف الفكري، والضعف الروحي، وربما إلى المشاحنة والبغضاء والعنف، حتى لا نقول، وإلى التقاتل لا سمح الله، والأحرى بالمسلمين المصلحين أن لا ينساقوا في خط الخلاف المذهبي إلى الهبوط لمستوى التعصب الأعمى بذريعة الإخلاص للإسلام الحنيفي، ومن هنا فإن

الواجب الشرعي يحتم على كل مسلم غيور مخلص أن يتوقف أمام كتاب الله الأعظم القرآن الثقل الأكبر الذي يدعو ويؤكد في جميع مراتبه، ومفرداته، على الحوار، والحجّة والبرهان في نقاش الطرف الآخر، كما يدعو إلى الردّ إلى الله ورسوله ﷺ في حالات النزاع والاختلاف في شأن فقهي أو عقيدة، أو خلاف في تفسير نصّ من آية، أو سنّة نبوية شريفة، والإسلام يدعو إلى اجتناب الكثير من الظن لأن أكثره إثم، يقول الحق سبحانه ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شي فردّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا**﴾ (النساء/ ٥٩).

إن من أعظم أمراض أمتنا ومصائبها هو التفرقة وتشتت شملها، وهذا ما يحزُّ في النفوس ويزيد من ألم الجراحات، ولذا فإننا نرى بعض هذه الأمّة يتقلب في أحضان الجهل، والتخلف، ويتجرع وجبات الهزيمة، والفشل، والإندحار، فالفرقة والتجزئة، وكثرة الأهواء والآراء في الشريعة والدين، عند أبناء الدين الواحد، والربّ الواحد، والقرآن الواحد، والكعبة الواحدة، والنبيّ الواحد، هي من أهم عوامل وأسباب النكسات، والهزائم المتتالية من نكبة فلسطين، إلى حروب الأفغان، والبلقان، وغزو العراق، وما أحرانا اليوم، وبعد هذه الصورة المظلمة لواقع المسلمين أن نتنبه لخطط الأعداء وأهدافهم وأن نبذل جميعاً غاية الجهد والجهاد لجمع الكلمة، وتوحيد الصف، وتنقية المجتمع من الدخلاء والخبثاء والطفيليين، كي نعيد إلى أمتنا سالف عزّها ومجدها وكرامتها وتقدمها، وبذلك نفوّت على الأعداء مخططاتهم الدنيئة، وألاعيبهم الملتوية فنكون خير أمة أخرجت للناس.

يقول المؤلف ابن حجر الهيتمي في كتابه «الصواعق المحرقة»: في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة، رضوان الله عليهم:

«وإنما افتتحت هذا الكتاب بالصحابة، وختمته بهم، إشارة إلى أن المقصود بالذات من تأليفه تبرئتهم عن جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليهم الشقاوة، وتردوا بأردية الحماقة والغباوة، ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين، وركبوا متن عمياء، وخبطوا خبط عشواء، فباؤا من الله بعظيم النكال، ووقعوا في أهوية البال، والضلال.

ثم يقول: اعلم أن الذي أجمع عليه أهل السنّة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم، والثناء عليهم، انتهى.

ونحن نعتقد أنّ الصحابة قوم من الناس، لهم ما لغيرهم من البشر، وعليهم ما عليهم، من أساء منهم أدنّاه وذممناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة رسول الله ﷺ، ومعاصرته لا غير، بل كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فعاصينا أخفّ لأننا أعذر، وجاء في هذا المعنى كلمة خالدة جديرة أن تكتب بماء الذهب لإمام الموحدين في هذه الأمة سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة قال: «ألا وأيُّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أنّ الفضل له على سواه بصحبته، فإن الفضل غداً عند الله». ومسألة عدالة الصحابة جميعاً أمر من الخطورة بمكان وفي ذلك تعطيل لإعمال العقل الذي أمرنا الله سبحانه بإتباعه، بل القول بذلك يهدم نظرية الثواب والعقاب الذي وعدنا الله به في محكم كتابه الكريم ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ (الزلزلة/ ٧).

وقد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: «إنكم تحشرون حفاة عراة وأن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي! أصحابي! فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح ﴿**وكنت**

عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾» (المائدة/ ١١٧). وروى مسلم هذا الحديث بلفظ «ليردن عليَّ ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا من دوني، فأقول: أصحابي! فيقول: لا تدري ماذا أحدثوا من بعدك». ويقول العلاَّمة المرحوم الشيخ محمود أبو ريّة في كتابه القيم «أضواء على السنة المحمدية» ص ٣٣٩، ط/ بيروت: «لقد غلا فيها قوم حتى قضوا بعدالتهم جميعاً حتى من انغمس في الفتنة أو نزل الكتاب بنفاقه، بحيث لا يجوز أن يوجه إلى واحد منهم نقد أو تقابل روايته بشك، ومن فعل ذلك فقد فسق. وهذا لعمرك إسراف في الفقه، وإفراط في التقدير، ثم، هو غير ذلك يتعارض مع ما جاء في الكتاب والسنَّة في الأدلة القويّة ولا يتفق والطبائع البشرية إن القول بعدالة الصحابة جميعاً، وتقديس كتب الحديث يرجع إليهما كل ما أصاب الإسلام من طعنات أعدائه، وضيق صدور ذوي الفكر من أوليائه، وأول الضرَّر من هذا القول: ذلك الخلاف الشديد الذي ضرب في مفاصل الأمّة وأعرق بين المسلمين من لدن عهد عثمان إلى اليوم فمزَّق صفوف المسلمين، وجعلهم فرقاً متباينة، ونحلاً متشاكسة، ومذاهب مختلفة، إنْ في العقائد،، أو في العبادات، أو في المعاملات، وعلى كثرة الأساة الذين عملوا على جمع شمل المسلمين في مئات السنين ـ لكي يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرّقوا، فإن سوس الخلاف لا ولن يزال ينخر في عظم هذه الأمّة.

وثانيهما: الثقة العمياء بكتب الحديث التي تجمع بين الغث والسمين مما يسبب كل يوم في طعنات دامية توجه إلى الإسلام بسبب ما يوجد في كتب الحديث من روايات تحمل الخرافات، والجهالات، وغير ذلك ممَّا لا يقبله عقل صريح، ولا يؤيده علم صحيح، حتى أطلقوا عليه اسم ـ دين الخرافات والأوهام ـ وأنه لا يصلح لعصور العلم والعمران ولا خلاف بأن الذين رووا هذه الأحاديث المشكلة إنما هم الصحابة، ثم تلقاها الرواة ودونها رجال الحديث في كتبهم، انتهى.

ونحن نعلم أنّ بعض الصحابة نقد بعضهم بعضاً، بل لعن بعضهم بعضاً، وهذا طلحة والزبير وعائشة، ومن كان معهم لم يروا أن يمسكوا عن قتال سيدنا أمير المؤمنين عليه عليه السلام، وهذا معاوية وعمرو بن العاص وبغاة أهل الشام لم يقصروا دون ضربه وأصحابه بالسيف، وقد روي عن الخليفة الثاني عمر رضي الله عنه أنه طعن في رواية أبي هريرة، وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه بعد أن قتل الصحابي مالك بن نويرة رحمه الله ودخل بزوجته ليلة مقتله، وخوّن عمرو بن العاص، ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه، وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك، ويقولون في العصاة منهم هذا القول، وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك. وقد أخرج العلاّمة المرحوم الشريف محمد بن عقيل رحمه الله في كتابه القيم «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية»: «أنّ الإمام الشافعي رضي الله عنه أسرَّ إلى الربيع أنه لا يحتج في دين الله بواحد من هؤلاء الأربعة، معاوية، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، وأنه لا يفضل على عليّ أحد»، انتهى.

وقد وقع الخلاف في التفضيل بين الصحابة، ومن جاء بعدهم من صالحي هذه الأمّة، وقالت الإمامية الجعفرية والمعتزلة والزيدية أن أفضل الخلق من الصحابة هو علي بن أبي طالب عليه السلام وقالت أهل السنة والجماعة أن الخلفاء الراشدين يتفاضلون بأسبقيتهم للخلافة، وأن جميع الصحابة عدول.

وذهب أبو عمر بن عبد البرّ أنه يوجد فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة. واحتج بقوله صلى الله عليه وآله: «طوبى لمن رآني وآمن بي مرّة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات». وبخبر عمر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وآله: أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق إيماناً. وبحديث: مثل أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله. وبخبر: «ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير ثلاثاً

ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها». واحتج بما روي أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا ولي الخلافة كتب إلى سالم بن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهم أن أكتب لي سيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها ، فكتب إليه سالم: إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر لأن زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر، وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال أبو عمر: فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلاّ أهل بدر والحديبية قال: وخبر «خير الناس قرني ليس على عمومه، لأنه جمع المنافقين وأهل الكبائر الذين قام عليهم وعلى بعضهم الحدود» انتهى من الصواعق المحرقة ص ٢١٢، طبعة مصر مكتبة القاهرة.

ونقل ابن حجر ص ٢١١ في الكتاب عينه أنّ جماعة من الأصوليين منهم المازري، وإليه يميل السعد التفتازاني اختصاص الحكم بالعدالة بمن لازمه ونصره دون من اجتمع به يوماً أو لغرض غير موافق عليه، وإلى هنا نكتفي، لأن الحديث في عجالة هذه المقدمة لا يتحمل أكثر من ذلك، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وأصحابه المتجبين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

طرابلس في ١٧ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ

الموافق: ٢٠٠٨/٤/٢٤م

المؤلف

لمحات عن هوية الشيعة الإمامية
الجعفرية الاثنا عشرية

تمهيد

لست أدّعي أبداً أنني قد قدّمت في هذا البحث الموجز جميع ما للتشيُّع من سمات وأصول وفروع، إنّما قمت بذكر أهم ما للتشيُّع من صفات ونعوت ودلالات، هي في الحقيقة كافية لإيضاح أبرز ما للتشيُّع من آراء في الفقه والعقيدة، وهي مجالات يدور حولها البحث، والخلاف مع بقيّة المذاهب والفرق الإسلاميَّة، ولا يزال الجدل قديماً وحديثاً، وسيبقى حاضراً ومستقبلاً، مادّة خصبة للخلاف والاختلاف، ولكن، في رحاب المحبّة والمودّة، واليسر والاعتدال ممّا لا يفسد للودّ قضيّة، طالما أنّنا نسعى جميعاً إلى الوصول للحق والحقيقة، في إطار سعة الصَّدر والجدال بالّتي هي أحسن ضمن الدائرة الأوسع، ونعني بها إسلام التسامح والتعقّل، في إطار المسلّمات والضرورات الَّتي لا يختلف عليها عاقلان من المسلمين. وكنت قد ذكرت في صدر البحث، أنّني لا زلت مصرًّا على أنّ الخلاف الَّذي نشب بعد وفاة الرسول القائد ﷺ بين المسلمين، قد وقع بحمد الله وفضله في الفروع وليس في الأصول، وقد وافقنا على ذلك جمع غفير من المخلصين من عظماء هذه الأمّة وفقهائها وعلمائها.

وقد كَتب الكثيرُ في موضوع الشّيعة الجعفريّة الإماميَّة والتَّشيُّع كتباً وأبحاثاً أكثر عمقاً وشمولية واستيعاباً من بحثنا المتواضع هذا، ولكنَّني أزعم في نفس الوقت أنّني قد توخيت قدر الإمكان الاختصار ووضوح العبارة والفكرة والقالب والجملة، فإن كنت قد وفّقت فبحمد من الله تعالى ومنِّه، وإن لم يحالفني التوفيق، فحسبي أنَّني قد بذلت الجهد، حتّى لا أقول أنني قد نويت القربى إلى الله تعالى في العمل على التقريب بين المدرستين، أهل البيت، والخلفاء، وإيجاد بعض الحلقات الَّتي تتواصل بين الطرفين، ولا سيَّما في وضوح الرؤية، وإيضاح العبارة، وبيان المقصد.

وأنا أعترف هنا بصدق، أنّ جميع من عمل في هذا الحقل، ومارس هذا العمل في هذه المضامير، يعلم مقدار الصعوبة والحرج والمشقة الَّتي يعانيها الكُتّاب في ضبط الأعصاب، للابتعاد عن هوى المذهب والمشرب الَّذي ينتمي إليه الباحث، ولا سيَّما أنّ الجميع يعلم ما تركه المؤرّخون من تركة وخزين هائل من الأحاديث والموضوعات والتراث على مرّ الأيّام والسنين، من الغثّ والثمين، والأبيض والأسود، وقد يعمد البعض بين آونة وأخرى، من أهل الشُّبهة إلى إثارة الفتنة، والاصطياد في الظّلمات، ممّا يسبّب الالتهاب والتشنّج والألم. وقد يزداد بعضهم شططاً فيلجأ إلى تكفير الطرف الآخر، ويُفتي بقتل الناس الذين لا يلتقون معه في أهوائه وزيفه، وهذا ما تشهده بعض الساحات الإسلاميَّة في هذه الأيّام، وسوف يبقى الخطر وفتيل النار مشتعلاً في هذا الباب، ما دام هذا الكم الهائل من ثقافة الفتنة بين أيدي الناس،

دون أن يعمل المخلصون من علماء هذه الأمّة على تصفيته، وتسليط الضوء عليه، لإظهار المحق وتعرية المبطل تعرية كاملة، حتّى نصل إلى رأي صريح وجريء في هذه التركة الثقيلة، وينبغي علينا جميعاً أن نشغل العقل والدّين، لا الهوى والهوس المذهبي المتعصّب المقيت. ونحن نعترف بصعوبة هذا الاختيار إلاّ من عصمه الله من الزلل والخطل، ولا يقال لنا: إذن ما هي الجدوى من كتابة هذه الأبحاث في هذه الأجواء المكفهرّة المظلمة؟ ونحن نقول في الجواب: إنّنا ـ ومن موقع الحرص على وحدة هذه الأمة والتقريب بين مذاهبها قدر الإمكان والطاقة، ولكل مجتهد من عمله نصيب ـ لا نفترض أبداً أنّ الباب موصود في سبيل الإصلاح. ورغم الهجمة البربريّة الغاشمة الّتي يتعرّض لها المسلمون من قبل المستكبر الغاشم، والاستعلاء المتصهين، والنصرانيّة المتصهينة، وجحافل الشّرك الّذي لا يفرّق بين المسلمين، أو بين أي مذهب إسلاميّ ومذهب آخر، ولا سيَّما ما تشهده بلاد المسلمين من هجمة شرسة على قيم المسلمين وتعاليمهم وخيراتهم، في الأرض والثروة والعقيدة، في البلقان وأفغانستان وفلسطين والعراق وبلاد الشّام، نقول إنّنا لا نفترض أبداً أنّ الباب موصود في سبيل التقريب، حتّى لا نقول الوحدة، لأنّ افتراض ذلك هو الانهزاميّة بعينها أمام التحدّي، ولم تكن الفتوح في أيّ ميدان إلاّ بالعمل على مقابلة التحدّي بمثله أو أكثر، بعزيمة قعساء لا تعرف الكلل أو الهزيمة، أو التردّد أو الاستسلام للمستعلين والمتكبّرين الّذين يريدون بهذه الأمّة الشّرّ، والخنوع، والذلّ، والهوان. ويجب ألاّ نمكّن للأقلام المشبوهة من

نفوس المسلّحين، وأفكارهم، لأنّ ذلك يؤدي إلى أن تتخذ منها فرائس، ما يؤدّي إلى الإسهام مع تلك الأقلام بشكل أو بآخر، في ما ترتكبه وتجترحه من آثام وخطايا، على أيّة حال فالامتحان عسير، وطريق الإصلاح وعر وشائك وسامق، ما لم تتداركنا رحمة من الله، ووازع من ضمير، وخلق، ومثل، وإلحاح الأقلام المخلصة على تثبيت ركن الحقّ، وتنقية هذا الركام الهائل، من مخلّفات الماضي، ومصارعة الداء، بجرعات من الدواء الشافي، لا بدّ في نهاية النفق أن توصلنا إلى فجر أصيل يشعّ بروح التسامح والوسطيّة والمحبّة والإخلاص، ونقاء الرّوح وطهر الضّمير في رحاب الإسلام.

ونحن في هذه الدّراسة المتواضعة لا نروم - والشّاهد هو الله تعالى - الدّعوة إلى الطّائفية بطريقة الدعوة إلى ترك الطّائفية، وذلك هو المصادرة على المطلوب، ولكنّنا نقول إنّ منطق المقارعة، ووضع السّيف أمام السّيف، قد يكون أحياناً طريقاً لتصحيح المسار، وتنقية الدرب من الشوك والقذى، وإنّ الإلحاح على شرب الدواء، وإن كان نقيضاً للبعض، إلا أنّه السبيل الحقّ للشفاء من المرض، ولو كان الدواء مرًّا. وستبقى الأهداف ومراميها، وقبلها النيّة الصّادقة، من وراء الأعمال، تحدّد هويّتها، ولونها، ومشربها، من صفاء أو كدر، من حق أو باطل، من أسود أو أبيض. وإذا كان الهدف كبيراً فلا بدّ أن نستسيغ بعض الوسائل، وإن لم يعجبنا شكلها، وبعض ألوانها، ونحن من منطلق كوننا من الإماميّة، ندعو الجميع أن يتلبّس الأدوار والظروف والمصاعب، حتّى لا نقول حروب الإلغاء والإبادة الّتي اكتنفت الشّيعة عبر تموّجات

التّاريخ القديم والجديد، ثم يتصوّر ما يرشح من تلك الحالات، وما تفرزه تلك الخطوب من مظاهر سلوكيّة، كي تكون معياراً بين يديه لتفسير الكثير من مظاهر العيش والسلوك في الفكر والاجتماع والعادة والتقليد. ونحن نزعم أنّ ذلك سيجعل المخلصين يبتعدون عن الشطط في الحكم عليهم، فإذا رأوهم يشدّدون على التقيَّة، فليعلم أنّ الشّيعة لم يخرجوا عن الاعتقاد بها عن طريق الحق والمقاييس الشرعيّة. وإذا كان ردّ الفعل عند بعضهم عنيفاً في بعض المواقف، فعليه ألاّ ينسى عنف الفعل، وشدّة الوطأة، وعظيم الابتلاء. وليكن الإنسان مقياساً للآخرين، والميزان والقسطاس الَّذي يلزم علينا أن نسلكه والطريق المهيع الواجب سلوكه والسَّير فيه، ونحن نناشد المسلمين جميعاً، أن يفتحوا قلوبهم وصدورهم ويدرسوا بعضهم، فقهاً وعقيدة وأصولاً، بروح عمليّة، ونيّة صادقة، في التوجّه إلى التقريب، ونبذ الشحناء والعصبيّة الَّتي يرفضها الدّين، وأن يتبصّروا، ويتثبّتوا من الخلفيات المشبوهة الَّتي عملت ردحاً من الزمن على تمزيق وحدة المسلمين، وتشرذم صفوفهم، وزرع الإِحن والأحقاد والصدأ حيث فرَّخ وعشَّش في القلوب والصدور والسطور. ثمّ علينا أن نقيم الأوزان بالقسط، والحق، ونستنتج النتائج من المقدّمات لنرى من الَّذي قطف في الماضي والحاضر ثمار هذه الفرقة، والاختلاف، والتناحر، كي لا نقول الاقتتال بين فرق المسلمين في الماضي والحاضر. ومن ثمَّ لنقيم محكمة السماء على الأرض في الدعوة إلى محاكمة التّاريخ في ساحة الاتهام، وبالعناوين الكبرى، والحروف الكبيرة النافرة، وعند ذلك فقط نخلص

بمشيئة الله تعالى إلى نبذ المئات من مفردات المآسي والخطوب والآلام الَّتي عشناها في الماضي، ونعايشها كلّ يوم وصباح. فالتّاريخ، كما يشهد كلّ منصف، فاعل في كياننا وتركيبنا، في المواد والمكوّنات. والله نسأل أن يسهّل لنا الصعاب في هذا الطريق الصعب الوعر، وأن يضيء قلوبنا ونفوسنا بروح الحق والإنصاف والمحبة والتسامح، إنَّه على كلّ شيء قدير. كما أنَّنا نسأله ـ سبحانه جلّ شأنه ـ أن يقطع الطريق على عشرات الأقلام المأجورة الَّتي تطلع علينا كتبها وصحفها، كلّ يوم ومساء، بمآسٍ ومخازٍ وجراحات، وبثّ الألغام والدّمل في مجتمعاتنا المسلمة، وهي في الغالب الأعمّ أقلام مرتزقة، قد باعت دينها للشيطان أو الطاغوت، بدريهمات بخسة، وهي منبثقة من وراء أصابع تقليديّة، مستترة، وظاهرة، ما فتئت تمارس اللعب بالنّار، مسبّبة الالتهاب والمرض في أجسام هذه الأمّة، حيثما دعت الحاجة والنيّة السيّئة، والخبث في الطويّة والنفس. والمدار والعمل، مرتهن بالنوايا الحسنة والإخلاص في القول والعمل، وأن نطهّر قلوبنا ونفوسنا من الزلل والشطط، والله هو الحاكم والشاهد، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين، وهو من وراء القصد.

الوجه الأوّل: نشأة التَّشيُّع

الشّيعة في اللّغة:

جاء في لسان العرب عن معنى الشّيعة: "وأصل الشّيعة، الفرقة من النّاس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع، والمذكّر والمؤنّث، بلفظ واحد، ومعنى واحد، وقد غلب هذا الاسم على من يتولّى عليًّا وأهل بيته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، حتّى صار اسماً خاصًّا، فإذا قيل فلان من الشّيعة عُرف أنّه منهم" وقال الجوهري في الصحاح: "شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعه، ويقال: والاه، ومن هذا قوله تعالى: ﴿**وإن من شيعته لإبراهيم**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**هذا من شيعته، وهذا من عدوه**﴾[2]".

وعن ظهور لفظة الشّيعة يحدّثنا الأستاذ مُحمَّد كرد عليّ في كتابه الموسوعة "خطط الشّام" قال: إنّ أوّل اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله ﷺ الشّيعة، وكان لقب أربعة من الصحابة، وهم: أبو ذر، وسلمان، وعمّار، والمقداد[3]. أمّا أوّل من نطق بلفظ الشّيعة، وخصّها بعد

---

(١) سورة الصافات ، الآية ٨٣ .

(٢) سورة القصص ، الآية ١٥.

(٣) محمد كرد علي، - خطط الشام، جزء ٦، ص ٢٥١، ط بيروت، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

عمومها في اللُّغة بعلي عليه السلام فهو النّبي صلى الله عليه وآله، حيث جاءت الأحاديث الصَّحيحة عنه بما لشيعة عليّ عليه السلام من مزايا، وفضائل، وعلى سبيل الاستشهاد، ما ورد في "الدر المنثور للسيوطي" في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾[١] قال: وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال، "كنّا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: "والَّذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة".

وجاء في الصواعق المحرقة لابن حجر بعد ذكره للآية الآنفة الذّكر قال: أخرج الحافظ جمال الدّين الزرندي عن ابن عبّاس، أنّ هذه الآية لمّا نزلت قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوّك غضابى مقمحين).

وقال الدُكتور طه حسين في كتابه: (الفتنة الكبرى): ولست أعرف نصًّا قديماً أضاف لفظ الشّيعة إلى عليّ قبل وقوع الفتنة، فلم يكن لعلي قبل وقوع الفتنة شيعة ظاهرون ممتازون عن غيرهم من الأمة[٢].

وجاء في كتاب (شرح اللّمعة) للشهيد الثّاني قدّس سره قال، "والشّيعة من شايع علياً أي أتبعه، قدّمه على غيره في الإمامة، وإن لم يوافق على إمامة باقي الأئمة، فيدخل فيهم: الإماميَّة، والجاروديّة من

---

(١) سورة البيّنة ، الآية ٧.

(٢) طه حسين، كتاب (الفتنة الكبرى)، ج٢، ص١٧٤.

الزيديّة، والإسماعيليَّة غير الملاحدة منهم، والواقفيّة، والفطحيّة "[1].

وجاء في كتاب (موسوعة العتبات المقدسة) عن الشيخ المفيد رحمه الله تعالى قال: (الشّيعة هم من شايع علياً وقدَّمه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، واعتقد أنَّه الإمام بوصيّة من رسول الله أو بإرادة من الله تعالى، نصّا كما يرى الإماميَّة، أو وصفاً كما يرى الجاروديّة)[2].

وجاء في كتاب الملل والنّحل للشّهرستاني قال: (الشّيعة هم الّذين شايعوا عليًّا وقالوا بإمامته وخلافته، نصّا ووصاية، إمّا جلياً، وإمّا خفياً، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقيَّة من عنده)[3].

وجاء في كتاب (دائرة معارف القرن العشرين) لمُحمَّد فريد وجدي قال: (والشّيعة هم الذين شايعوا علياً في إمامته، واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج عن أولاده، ويقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبرّي، إلاّ في حال التقيَّة إذا خافوا بطش ظالم)[4].

وجاء في كتاب (مستدرك الصحيحين)، روى بسنده عن مسروق قال: كنّا جلوساً عند عبد الله بن مسعود يقرئنا القرآن فسأله رجل فقال:

---

(١) الشهيد الثاني، (شرح اللمعة)، ج٢، ص٢٢٨، مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف.

(٢) جعفر الخليلي، (موسوعة العتبات المقدسة) المدخل، ص٩١.

(٣) الشهرستاني، (الملل والنحل)، ص ١٠٧، دار المعرفة ـ بيروت، ١٤٠٢هـ.

(٤) محمد فريد وجدي، كتب (دائرة المعارف)، ج ٥، ص ٤٢٤، ط٤، ١٣٨٦ هـ.

يا أبا عبد الرحمن، هل سألتم رسول الله ﷺ كم يملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألني عن هذا أحد منذ قدمت العراق قبلك، قال: سألناه، فقال: (اثنا عشر عدّة نقباء بني إسرائيل).

وفي كنز العمّال للمتقي الهندي عن ابن مسعود قال، قال ﷺ، (يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة قيماً لا يضرّهم من خذلهم، كلّهم من قريش). ويضيف الهيثمي في مجمعه، (قال: لا يضرّهم عداوة من عاداهم). فالتفتُ خلفي، فإذا بعمر بن الخطاب في أناس، فأثبتوا لي الحديث كما سمعت)[1].

وفي صحيح البخاري من كتاب الأحكام عن جابر بن سمرة قال: (سمعت النبي ﷺ يقول، (يكون اثنا عشر أميراً، فقال: كلمة لم أسمعها فقال أبي: كلهم من قريش).

ورواه الإمام أحمد في مسنده بطريقين، في الصفحات ٥ و٩٠ و٩٢، والتّرمذي في صحيحه، وفي صحيح مسلم روي بسندين عن عامر بن سعد عن جابر بن سمرة قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الجمعة، عشية رجم الأسلمي، (لا يزال الدّين قائماً حتّى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)[2].

---

(١) (مستدرك الصحيحين)، جزء٤، ص٥٠١.

(٢) المتّقي الهندي، كتاب (كنز العمال)، ج٦، ص٢٠١، توفي ٩٧٥هـ منشورات مكتبة التراث الإسلامي ـ حلب سوريا.

وجاء في كتاب ينابيع المودة لسليمان الحنفي القندوزي، في الباب السّابع والسبعين، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال: دخلت على النبي ﷺ فإذا بالحسين على فخذيه، وهو يقبِّل خدَّيه، ويلثم فاه، ويقول: (أنت سيِّد ابن سيِّد، أخو سيِّد. وأنت إمام، ابن إمام، وأخو إمام. وأنت حجَّة، ابن حجَّة، أخو حجَّة، أبو حجج تسعة، تاسعهم قائمهم الحجة المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف).

ويعلّق الشيخ سلمان الحنفي على هذا الحديث بقوله، علم أنّ مراد رسول الله ﷺ الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقلّتهم عن اثني عشر. ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأمويّة لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم الفاحش، إلاّ عمر بن عبد العزيز. ولا يمكن أن نحمله على الملوك العبّاسيَّة لزيادتهم على العدد المذكور، ولقلّة رعايتهم الآية الكريمة، [قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى] سورة الشورى، آية (٢٣).

فلا بدَّ أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته ﷺ، لأنّهم كانوا أعلم أهل زمانهم، وأجلّهم، وأروعهم، وأتقاهم، وأعلاهم نسباً، وأفضلهم حسباً، وأكرمهم عند الله تعالى، وكان علمهم عن آبائهم متصلاً بجدِّهم ﷺ.

وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن زيد بن ثابت قال: (قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود بين

السماء والأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض).

وعن زياد بن مطرف قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أحبّ أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويدخله الجنّة الّتي وعدني ربي، وهي جنة الخلد، فليتولّ عليًّا وذريَّته من بعده، فإنّهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم باب ضلالة).

وفي مستدرك الصَّحيحين للحاكم جاء بسنده عن ابن عبّاس قال: (قال رسول الله ﷺ: النُّجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتهم قبيلة من العرب فاختلفوا فصاروا حزب إبليس). قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد[1].

وجاء في صحيح التّرمذي قال رسول الله ﷺ: (إنّي تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما)[2].

وجاء في كتاب (الصلة بين التصوف والتَّشيُّع)، للدكتور كامل مصطفى ما يلي قال: (ويتضح بعد ذلك أنّ التَّشيُّع قد عاصر بدء الإسلام باعتباره جوهراً، وأنّه ظهر كحركة سياسيَّة بعد أن نازع معاوية علياً

---

(١) الحاكم النيسبوري، كتاب (مستدرك الصحيحين)، ج٣، ص١٤٩.
(٢) الإمام الترمذي، كتاب (صحيح الترمذي)، ج٢، ص٣٠٨.

على الإمارة وتدبير شؤون المسلمين. ويتبين بعد ذلك أنّ تبلور الحركة السِّياسيَّة تحت اسم الشّيعة، كان بعد قتل الإمام الحسين عليه السلام مباشرة، وإن كانت الحركة سبقت الاصطلاح، وبذلك يمكنّنا أن نلخّص هذا الفصل في كلمة بيانها، أنّ التَّشيُّع كان تكتّلاً إسلاميّاً ظهرت نزعته أيّام النبي صلى الله عليه وآله، وتبلور اتجاهه بعد قتل عثمان، واستقلّ الاصطلاح الدالّ عليه بعد قتل الحسين عليه السلام [1].

وممّا تقدّم علمنا أنّ الشّيعة الاثني عشرية هم المسلمون الَّذين أخذوا بمذهب أهل البيت، واستندوا في الدرجة الأولى إلى الكتاب والّسنة. وهم من صميم الإسلام الّذين أحبّوا علياً وأهل بيته، ونهجوا نهجهم، واقتدوا بسيرتهم العطرة، عقيدة ونهجاً وفكراً، لأنّهم الأقرب إلى الإسلام، وإلى نهج القرآن، والعمل بهدي سيِّد الأنام رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ خلافة أهل البيت ثابتة بالنصوص الصحيحة والأحاديث المعتبرة. سواء استلموا زمام السلطة أم لم يستلموها، وسواء عاداهم الناس وأبغضوهم وخذلوهم أم أحبّوهم وناصروهم، فهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله الَّذين نصّ عليهم بشهادة القريب والبعيد، وأنّ الحقيقة المجرّدة الَّتي تعنيها تلك الأحاديث هي وجوب رجوع المسلمين قاطبة إلى هؤلاء الخلفاء في الأحكام الشرعية الإسلاميَّة، وهذا سرّ قوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: "أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنَّه لا نبيّ

---

(١) كامل مصطفى، كتاب (الصلة بين اتصوف والتشيع)، ص٢٣، الطبعة الأولى، بغداد، والثانية، مصر، ١٩٦٩م.

بعدي" وقوله لعلي عليه السلام: "أنا مدينة العلم وعليّ بابها، وقوله صلى الله عليه وآله في أهل بيته، "أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى".

إن الإمامة هي أصل من أصول الدين كما هي النبوة. والوحدة أو التقريب لا يوجبان التنازل عن الإمامة فلو أجمع الناس كلهم على بطلان نبوة النبي محمد لا تبطل نبوته وكذلك لا تبطل الإمامة لو لم تتفق كلمة المسلمين على إمامة علي عليه السلام لأنها نص من الله تعالى على علي عليه السلام في غدير خم وفي مواطن كثيرة فتأمل.

الوجه الثّاني:

الخلاف بين المسلمين في الفروع وليس في الأصول

ومن الجدير ذكره أنّ ممّا يهون الخطب في هذا الشأن، ولله الحمد، أنّ مواطن الخلاف بين الفرق الإسلاميَّة، منذ كانت تلك الخلافات، لم تصل في رأينا إلى الأصول في المعتقدات، وإنّما وقع الخلاف في نطاق الفروع، وإن حاول بعض المتطرفين والمتعصبين أن يوصلوها إلى الأصول عن طريق خلق عناوين ثانوية، ولوازم تحاول الدخول إلى تفتيت الوحدة من أبواب خلفية، ولكنّنا نرى أنّها وبشيء من التأمّل والتحليل، والتمحيص، والاعتدال، ترتدّ من الأصول إلى الفروع بإذن الله، وبجهود الخيّرين، والدّعاة المصلحين الّذين يعملون وبكلّ ما أوتوه من قوّة على جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف في وجه الهجمة الصّليبيّة، والعلمنة الجديدة الّتي تعمل على قضّ مضاجع المسلمين وتقسيم بلادهم، وإيجاد هوّة بينهم، خدمة للمستعمر الّذي يتربّص بنا الدوائر، ولا سيّما ما يرتكبه الصهاينة في فلسطين والقدس الشّريف، من قتل وهدم، وتشريد وتدنيس للمقدسات. وقد شهدت بلاد البلقان مجازر ومذابح واستباحة للأعراض ولحرمة المساجد والمقدسات، ومعلوم ما يعاني منه العراق من استباحة للحرمات

والنفس البشرية والمقدسات من قبل المستعمرين، والخوارج الجدد، والنواصب المتعصّبين، والعدو الصهيوني، يتربّص بأرض الإسلام والعرب الشرّ والكيد وقضم البلاد، والاعتداء على المدن وخيراتها من ثروات الماء وغيرها. وبعد، فنحن نرى أنّ الإسلام، في روحه الكريمة المتسامحة، يفترض الصحة في فعل المسلم ابتداء، ولذا كان علينا معالجة هذه الأمور بعقل وروية وخوف شديد من الله، وبالاحتكام إلى كتاب الله وسنة رسولهﷺ، ولا يجوز الجرأة على الله بإصدار الأحكام شرقاً وغرباً، وبذلك نحفظ بقيّة الوحدة الإسلاميَّة.

وبوحي من هذا الروح، ومن المنطق القول أنّ الاختلاف في مسائل الفكر هو من سنن الكون، وطبيعة الأمور، وسجيّة النفوس، وخاصّة العقول، وزاد من الطين بلّة، واشتدت البلوى بسببه، أنّ بعض المسلمين لا يزال مصراً على نسيان هذه الحقائق أو تجاهلها، من مبدأ الأفق الضيّق، والعصبيّة الرعناء، والتسرّع في الاندفاع خدمة، عن شعور أو غير شعور، لأعداء هذا الدّين الحنيف، وسيراً في نهج الأعداء، وقوى الاستكبار العالميّ، ممّن يتربّصون بالإسلام والمسلمين الشّرّ والخديعة والخيانة، خدمة لمصالح ومآرب وغايات، غير خافية على عقلاء هذه الأمّة والمنصفين من نابهي الفكر والحس فيها. نعم، كان الأجدر بنا، نحن العقلاء، أن نعمل على أن نتقارب، وأن نتدارس همومنا ومشاكلنا، والابتلاءات العظمى الَّتي حلّت بهذه الأمّة، فشرذمت الصفوف، وقسّمت النفوس، وفرّقت الصفوف، وعرّضت العباد والبلاد

إلى التفكيك والانهزام، ممّا جعل أعداء الدّين يحتلّون بلادنــا، وينهبــون خيراتنا، وأرضنا، وثرواتنا. فأين نحن ممّا دعا إليه الإسلام من الأريحيّة والوسطيّة، والاعتدال والقبول بــالطرف الآخــر، ولــو اختلــف معنــا فــي مذهب أو في رأي فقهي؟!

مرّة أخرى ندعو أهل الإنــصاف والحجــا مــن إخواننــا فــي الملّــة والقرآن والقبلة، أن يلبسوا الأدوار الّتي مرّت بأخوانهم الشّيعة، من قتــل وتشريد، وظلم وتضييق، في الحياة والحرية. وأن يفكّروا ملياً بالظروف والملابسات الّتي اكتنفتهم، وجوداً واستمراراً، على مدى قــرون خلــت. وإليك، للعبرة والعظة والذكرى فقــط، بعــض النمــاذج المتواضــعة مــن تلكم المظالم، ونترك للضمير الحي والإنصاف الحكم، وإلــى الله ترجــع الأمور.

الوجة الثّالث:

الشّيعة ومظالم بني أميّة والعبّاسيّين

جاء في شرح نهج البلاغة للعلاّمة المعتزلي ابن أبي الحديد: "استعمل معاوية زياد بن سميّة على العراق، فكان يتتبع الشّيعة، وهو بهم عارف، لأنّه كان منهم، فقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، وأخافهم، وقطّع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشرّدهم عن العراق، فلم يبقَ بها معروف منهم.

وكتب معاوية إلى عمّاله، في جميع المناطق، أن لا يجيزوا لأحد من شيعة عليّ وأهل بيته شهادة، وكتب إليهم أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والّذين يردّدون فضائله، فأدنوا مجالسهم وأكرموهم، واكتبوا لي بكل ما يروي رجل منهم واسمه واسم أبيه. ففعلوا حتّى أكثروا في فضائل عثمان، لما كان يبعثه إليهم معاوية من المال والحباء والقطايع، ويفيضه على العرب والموالي، فكثر ذلك في كلّ مصر، وتنافسوا في المنازل والدنيا، ولبثوا بذلك، ثم كتب معاوية إلى عمّاله أنّ الحديث في عثمان قد كثر في كلّ مصر، وفي كلّ وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا النّاس إلى الرواية في

فضائل الصحابة والخلفاء، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد في أبـي تـراب، عليّ بن أبي طالب عليه السلام، إلاّ وائتوني بمناقض لـه فـي الـصّحابة مفتعـل، فإنّ هذا (أحبّ إليّ وأقرّ لعيني)[1].

وهذا يدلّ دلالة واضحة على ما كان عليه معاوية والأمويّـون مـن بغض علي عليه السلام وأهل بيت الرسول، رغم ما ورد في حقّهم من الروايات المتفق عليها عند السنة والشّيعة، وأنّ حبّ علـيّ إيمـان، وبغـضه كفـر ونفاق. على أنّ نفراً لا بأس به من علماء وقـضاة وخطبـاء، وأصـحاب نسك وورع وولاة، فضلاً عن العامة في تلك الحقبـة، قـد بـاعوا ديـنهم لمعاويـة بـأبخس الأثمـان فـسارعوا إلـى التزويـر والكـذب علـى الله والرسول، كلّ ذلك طمعاً فـي الـدنيا. والّـذي أجمـع عليـه التّـاريخ أنّ معاوية كان يعرض على شيعة الإمام عليه السلام البراءة من ديـن علـيّ ولعنـه، وتولّي عثمان ونهجه، فمن استجاب نجا بحشاشته، وإلاّ قتل، هـذا مـع العلم أنّ دين عليّ هو دين ابن عمّه مُحمَّد صلى الله عليه وآله، ومن هؤلاء الشهداء من سـطّر فـي التّـاريخ ملاحـم بطولـة، وحكايـة عنفـوان، وأصـالة ديـن، كالصحابيّ الجليل حجر بن عديّ وأصحابه، وقد دفـن رحمـه الله فـي مرج عذراء دمشق، وعمـرو بـن الحمـق الخزاعـي، ورشـيد الهجـريّ، وغيرهم رحمهم الله.

---

(١) ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩ م.

قال الدُّكتور طه حسين في كتابه (عليّ وبنوه): (كان حجر رجلاً من صالحي الإسلام، وفد على النبيﷺ مع أخيه هاني في من وفد عليه من قومهما، ثمّ شارك في حرب الشّام، وأحسن فيها البلاء، وكان في مقدّمة الجيش الّذي دخل مرج عذراء قريباً من دمشق وهو المكان الّذي قتل ودفن فيه. ثمّ تحوّل إلى العراق فشارك في غزو بلاد فارس، وأبلى أحسن البلاء في نهاوند، ورابط في الكوفة مع المرابطين بعد الفتح، وكان رجلاً حرًّا صادق الدّين، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويرضى عن السّلطان إن أحسن، ويسخط عليه إن أساء، ولم يخلع يداً من طاعة، ولكنّه ينكر أشدّ الإنكار سنّة بني أميّة في شتم عليّ على المنابر، ولم يكن يخفي إنكاره، وألقى زياد بن سميّة القبض على حجر، وسجنه مع ثلاثة عشر من أصحابه، ثمّ أرسلهم إلى معاوية، فأمر معاوية أن يحبسوا بمرج عذراء، وهي قرية بضواحي الشّام، ولمّا عرف حجر أنّه بهذه القرية قال: "والله إنّي أول مسلم نبحته كلابها، وأوّل مسلم كبر بواديها"، يشير إلى أنّه كان أوّل مسلم جاهد وحارب على أرض هذه القرية، وأمر معاوية أن يعرض على حجر وأصحابه البراءة من عليّ ولعنه، وتولّي عثمان، فمن فعل ذلك منهم أمن ومن أبى قتل، وشفع جماعة من أهل الشّام عند معاوية في بعض هؤلاء الرهط، وقبلت شفاعتهم، ولم يبق منهم إلاّ ثمانية، فعرضت عليهم البراءة فأبوا إلاّ اثنين طلبا أن يحملا إلى معاوية، وأظهرا أنّهما على رأي معاوية، وأجيبا إلى طلبهما، وقتل الآخرون،

وهم ستّة وكانوا أوّل من قتل صبراً من المسلمين. وحمل الرجلان إلى معاوية، فأمّا أحدهما فأظهر البراءة على لسانه، وأمّا الآخر فأبى أن يتبرّأ من عليّ، وأسمع معاوية في نفسه وعثمان ما يكره، فردّه معاوية إلى زياد وأمره أن يقتله شرّ قتلة، فدفنه زياد حيًّا. وكذلك انتهت هذه المأساة المنكرة الّتي استباح فيها أمير من أمراء المسلمين أن يعاقب الناس على معارضة لا إثم فيها، واستحلّ هذه البدع، واستباح (إمام) من أئمة المسلمين لنفسه، أن يقضي بالموت على نفر من الّذين عصم الله دماءهم، دون أن يراهم، أو يأذن لهم في الدّفاع عن أنفسهم، وما أكثر ما أرسلوا إليه أنّهم على بيعتهم، لا يقيلونها ولا يستقيلونها)[١].

وترك مقتل حجر (رضي الله عنه) أسوأ الأثر في النفوس، فمات الربيع بن زياد غمًّا حين سمع بذلك، وقيل لأبي إسحاق السبيعي، متى ذلّ الناس؟ قال: حين مات الحسن بن علي، وادعى زياد، وقتل حجر بن عدي. وقال معاوية بن خديج: "ألا ترون أنّا نقاتل لقريش، ونقتل أنفسنا لنثبت ملكها، وإنّهم يثبون على بني عمّنا فيقتلونهم؟!" وقالت عائشة: سمعت رسول الله يقول: (سيقتل بعذراء أناس يغضب الله لهم وأهل السماء). وهممت أن أثور من أجل حجر، ولكن خفت أن تتجدّد وقعة (الجمل). وقال الدّكتور طه حسين: (كان قتل حجر

---

(١) طه حسين، كتاب (علي وبنوه)، فصل ٥١.

حدثاً من الأحداث الكبار، ولم يشكّ أحد الأخيار الّذين عاصروا معاوية في أنّه كان صدعاً في الإسلام، بل لم يشكّ معاوية نفسه أنه كان كذلك).

وجاء في الجزء الثّالث من كتاب "مروج الذهب" للمسعودي: (حبس معاوية صعصعة بن صوحان، وعبد الله بن الكوّاء، ورجالاً من أصحاب عليّ، مع رجال من قريش، فدخل عليهم معاوية وقال: أيّ الخلفاء رأيتموني ؟ فقال له ابن الكوّاء: إنّك واسع الدنيا، ضيّق الآخرة، تجعل الظّلمات نوراً، والنّور ظلمات. وقال له صعصعة: أنىّ يكون الخليفة من ملك الناس قهراً، ودانهم كبراً، واستولى بالباطل كذباً ومكراً؟! أما والله، ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى، وكنت أنت وأبوك في العير من النفير ممّن أجلب على رسول الله ﷺ، وما أنت إلاّ طليق وابن طليق، فأنّى تصلح الخلافة للطليق؟[1].

ومن نماذج الظلم على الشّيعة ما جرى في عهد العبّاسيّين ما سطّرته الكتب، وسارت به الركبان، ونكتفي بما ذكره المسعودي في مروج الذهب، والمقريزيّ في النزاع والتخاصم: (جمع المنصور أبناء الحسن، وأمر بجعل القيود والسلاسل في أرجلهم وأعناقهم، وحملهم في محامل مكشوفة، وبغير غطاء، تماماً كما فعل يزيد بن معاوية بعيال الحسين عليه السلام، ثمّ أودعهم مكاناً تحت الأرض، لا يعرفون فيه

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج٣، ص٤٩، المكتبة الإسلامية، بيروت، ١٩٤٨م.

الليل من النّهار، وأشكلت أوقات الصلاة عليهم، فجزّأوا القرآن خمسة أجزاء، فكانوا يصلون على فراغ كلّ واحد من حزبه، وكانوا يقضون الحاجة الضرورية في مواضعهم، فاشتدّت عليهم الرائحة، وتورّمت أجسادهم، ولا يزال الورم يصعد من القدم حتّى يبلغ الفؤاد، فيموت صاحبه مرضاً وعطشاً وجوعاً)[1]. وجاء في كتاب "مقاتل الطالبيّين"، لأبي الفرج الأصفهاني: (ولمّا دارت الدوائر على الأمويين، واستخلف المنصور، اختفى مُحمَّد بن عبد الله بن الحسن خوفاً على نفسه، فطلبه المنصور من أبيه، وحاول قتله بكل وسيلة، ليتخلّص من البيعة الّتي في عنقه له، واجتهد في البحث عنه وعن أخيه إبراهيم، ونصب العيون وبذل الأموال، فعرف مكانهما ولم يعد أمامهما إلاّ الاستسلام أو الخروج، فخرج مُحمَّد في المدينة، وإبراهيم في البصرة، وحاربا حتّى قتلا، وكان مُحمَّد يعرف بصاحب النّفس الزكيّة، وقتل معه خلق كثير من أبناء الأنصار والمهاجرين، وأبناء جعفر بن أبي طالب عليه السلام، ومن أبناء الحسين قتل معه الحسين وعلي ابنا زيد بن عليّ بن الحسين)[2]. وقال ابن الأثير في الجزء الرَّابع من تاريخه: (دعا المنصور مُحمَّد بن عبد الله العثمانيّ، وكان أخاً لأبناء الحسن من أمّهم، فأمر بشقّ ثيابه حتّى بانت عورته، ثمّ ضربه مائة وخمسين سوطاً، فأصاب سوط منها وجهه فقال: ويحك أكفف عن وجهي، فقال

(١) المصدر السابق، ج٣، ص٣١٠.

(٢) أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص٢٠٦ ـ ٢٥٤، ط ١٩٤٩م.

المنصور للجلاّد، الرأس الرأس، فضربه على رأسه ثلاثين سوطاً وأصاب إحدى عينيه السوط، فسالت على وجهه، ثمّ قتله، وأحضر المنصور مُحمَّد بن إبراهيم بن الحسن، وكان أحسن الناس صورة، فقال له: أنت الديباج الأصفر، لأقتلنَّك قتلة لم أقتلها أحداً، ثم أمر به فبني عليه أسطوانة وهو حي فمات فيها!!)[1].

(١) ابن الأثير، تاريخ ابن الأثير، ج٤، ص ٣٧٥، دار صادر، بيروت ـ لبنان.

الوجه الرَّابع:

الإمـام جعفر الصّادق عليه السلام والمنصور العبّاسيّ

جاء في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه: (لمّا حجّ المنصور مرّ بالمدينة، فقال للرّبيع: عليّ بجعفر بن مُحمَّد، قتلني الله إن لم أقتله فمطل به، ثمّ ألحّ فيه فحضر، فلمّا دخل همس الإمام بشفتيه ثمّ تقرّب وسلّم، فقال المنصور: لا سلّم الله عليك يا عدو الله! تعمل على الغوائل في ملكي! قتلني الله إن لم أقتلك، فقال الإمام: "إنّ سليمان أعطي فشكر، وإنّ أيّوب ابتلي فصبر، وإنّ يوسف ظلم فغفر، وأنت على إرث منهم وأحقّ النّاس بهم"، فنكس المنصور رأسه ثم رفعه وقال: يا أبا عبد الله، أنت القريب القرابة، وذو الرحم الواشجة، ثم عانقه وأجلسه معه على فراشه، وأقبل عليه يسائله ويحادثه، ثم قال: عجّلوا لأبي عبد الله إذنه وكسوته وجائزته، ولمّا خرج الإمام تبعه الربيع، وقال: إنّي منذ ثلاثة أيّام أدافع عنك وأداري عليك، ورأيتك إذ دخلت همست بشفتيك، وقد انجلى الأمر، وأنا خادم سلطان، ولا غنى لي عنه، فأحبّ أن تعلّمنيه. قال الإمام: قل: (اللهمّ احرسني بعينك الّتي لا تنام، واكنفني بكنفك الّذي لا يرام، ولا أهلك وأنت رجائي، فكم من نعمة أنعمتها

عليّ قلّ عندها شكري فلم تحرمني، وكم من بلية ابتليتني فقلّ عندها صبري فلم تخذلني، اللهمّ بك أدرأ في نحره وأعوذ بخيرك من شره)[1]. وجاء في كتاب شرح شافيه أبي فراس: (قال مُحمَّد الإسقنطوري، دخلت يوماً على المنصور الدوانيقي، فوجدته في فكر عميق، فقلت له: ماهذا الفكر؟ قال قتلت من ذرّيّة فاطمة بنت مُحمَّد ألفاً أو يزيد، وتركت سيّدهم ومولاهم، جعفر بن مُحمَّد. فقلت: ومن ذاك؟ قال: قد عرفت أنّك تقول بإمامته، وأنّه إمامي وإمامك وإمام جميع هذا الخلق، ولكن الآن أفرغ له)[2]. وقد ذكر المؤرّخون أنّ المعلى بن خنيس كان من الشّيعة المقربين لدى الإمام الصّادقﷺ، وكان مولاه ووكيله، فكتب المنصور إلى عامله على المدينة، وهو داود بن عروة، بقتله، فاستدعاه داود وقال له: اكتب أسماء الشّيعة وإلاّ ضربت عنقك فقال: أبالقتل تهدّدني؟! والله لو كان اسم أحدهم تحت قدمي ما رفعتها، فضرب عنقه وصلبه، فعزّ ذلك على الإمام الصّادقﷺ ودعا على داود، وما إن انتهى من دعائه حتّى أرتفع الصياح، وجاء الخبر بهلاكه، وكتب المنصور إلى عامله أن يحرق على الصّادق داره ثم دسّ إليه السم فمات مسموماً[3].

---

(١) ابن عبد ربه، (كتاب العقد الفريد) ج ٥، ص ١٥٩، طبعة ١٩٥٣م .

(٢) شرح شافية أبي فراس في مناقب آل الرسول ومثالب بني العباس، ص١٧١.

(٣) المظفّر، تاريخ الشيعة، ص٤٦، نقلاً عن إسعاف الراغبين، والصواعق المحرقة، ونور الأبصار.

ومن النماذج ما روي عن هاورن الرشيد في كتاب عيون أخبار الرضا: قال حميد بن قحطبة الطائي الطوسي: طلبني الرشيد في بعض الليل، وقال في ما قال: خذ هذا السيف، وامتثل ما يأمرك به الخادم، فجاء بي الخادم إلى دار مغلقة، ففتحها. وإذا فيها ثلاثة بيوت وبئر، ففتح البيت الأوّل وأخرج منه عشرين نفساً عليهم الشعور والذوائب وفيهم الشيوخ والكهول والشباب، وهم مقيدون بالسلاسل والأغلال، وقال لي: يقول لك أمير المؤمنين اقتل هؤلاء! وكانوا كلّهم من ولد عليّ وفاطمة، فقتلهم الواحد تلو الآخر، والخادم يرمي بأجسامهم ورؤوسهم في البئر. ثمّ فتح البيت الثّاني، فإذا فيه أيضاً عشرون من نسل عليّ وفاطمة، فكان مصيرهم كمصير الذين كانوا في البيت الأول. ثم فتح الباب الثّالث، وإذا فيه عشرون، فألحقهم بمن مضى، وبقي منهم شيخ وهو الأخير، فقال: تباً لك يا ميشوم، أيّ عذر لك يوم القيامة، عند جدّنا رسول الله! فارتعشت يدي، وارتعدت فرائصي، فنظر إليّ الخادم مغضباً وهدّدني، فقتلت الشيخ ورمى به في البئر)[1].

وقال صاحب أخبار عيون الرضا: (لمّا بنى المنصور الأبنية ببغداد، جعل يطلب العلويّة طلباً شديداً، ويضع من ظفر به منهم في الأسطوانات المجوفة المبنية من الجصّ والآجر، فظفر ذات يوم بغلام منهم، حسن الوجه، وله شعر أسود، وهو من ولد الحسين بن عليّ بن

---

(١) عيون أخبار الرضا، ص١٠٩، دار العلم، قم، ١٣٧٧هـ

أبي طالب، فسلّمه إلى الباني الَّذي كان يبني له، وأمـره أن يجعلـه فـي جوف أسطوانة ويبني عليه، ووكل عليه مـن يراعـي ذلـك، وحـين أراد الباني أن يدخله حياً في الأسطوانة أخذته الرقـة والرحمـة، فتـرك فـي الأسطوانة فرجة يدخل منها الريح وقال للغلام: لا بأس عليـك، فاصـبر فإنّي سأخرجك في جوف اللّيل إذا جنّ، ولمّا دخل الليل أتاه وأخرجـه من الأسطوانة، وقال له: اتق الله في دمي ودم الفعلة الّذين معي، وغيّـب شخصك، فإنّي أخرجتك خوفاً أن يكون جـدّك خـصمي يـوم القيامـة، فقال له الغلام: سأفعل، ولكن لي أم وهي في مكان كـذا فاذهـب إليهـا وعرّفها أنّي قد نجوت، وأن عودي إليها غير ممكن. قال الباني: ذهبـت إلى الموضوع الَّذي دلّني عليه، فسمعت دوياً كدوي النّحل مـن البكـاء فعلمت أنّها أمّه، فدنوت منها، وعرّفتها الخبر، وأعطيتها شيئاً من شـعره وانصرفت[1].

ونقل صاحب مقاتل الطالبيّين، عن إبراهيم بـن ريـاح، أنّ الرشـيد حين ظفر بيحيى بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن أبـي طالـب، بنـى عليه أسطوانة وهو حيّ، وقد ورث الرّشيد طريقة البناء على الأحياء من جدّه المنصور.

(١) المصدر السابق، ص١١١.

الوجه الخامس:

النصوص والخلافة

لقد جاءت نصوص صريحة إسلاميَّة تشير إلى أولويّة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في الخلافة والوصاية، وهي تأصيل لمبدأ الولاية، وتعميق لدلالاتها على مستوى الفكر والاتباع. وإليك بعض الأمثلة من نصوص القرآن الكريم، فمن تلك النصوص قوله تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلى المودة في القربى**﴾[1]. ولا يرتاب أحد أنّ المراد من القرابة هنا هي قرابة رسول الله ﷺ. قال السّيوطيّ في تفسير الآية، عن ابن عبّاس أنّه قال: لمّا نزلت هذه الآية، ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ قالوا: يا رسول الله، مَن قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: (عليّ وفاطمة وولداهما) وفي رواية وابناهما[2].

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣ .

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج٧، ص ٣٤٨، بيروت. الزمخشري، الكشّاف، ج٣، ص ٤٠٢، بيروت. الطبري، ذخائر العقبى، ص٢٥، بيروت.

ومن النصوص آية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾[1]. وقد أجمعت كتب التفسير على أنّها نزلت في النبي ﷺ، وعلي بن أبي طالب، وفاطمة الزّهراء، والحسن والحسين عليهما السلام. وقال الإمام مسلم في صحيحه: ولمّا نزلت هذه الآية: (فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناكم)، دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: (اللهمَّ هؤلاء أهلي)[2].

وقال الزمخشري في الكشاف، في تفسير قوله تعالى، [فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم]: فأتى رسول الله ﷺ وقد غدا محتضناً الحسين، وآخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها، وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمِّنوا، فقال أسقف نجران: (يا معشر النصارى، إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصارى إلى يوم القيامة)[3].

ومن النصوص قوله تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن**

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) صحيح مسلم، ج٤، ص١٨٧١، بيروت. صحيح الترمذي، ج٥، ص ٢٢٥، بيروت. مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص١٨٥، بيروت.

(٣) الزمخشري، الكشّاف، ج١، ص١٩٣، بيروت. الرّازي، التفسير الكبير، ص١٧٩، مصر.

الله لا يهدي القوم الكافرين﴾[1]. وهو حديث الغدير الشهير الَّذي سارت به الركبان.

ذكر الرّازي في مفاتيح الغيب، أنّها نزلت في فضل عليّ بن أبي طالب حينما أخذ رسول الله ﷺ بيده، وقال في خطبة حجّة الوداع: (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه) فلقيه عمر بن الخطّاب فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة[2].

وجاء في الصواعق المحرقة لابن حجر، أنّ النبي ﷺ قال يوم غدير خم، (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وأحب من أحبه وأبغض من بغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار). وقال ابن حجر حول حديث الغدير: (إنّه حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالتّرمذي والنّسّائي، وأحمد، وطرقه كثيرة جداً، ومن ثمّ رواه ستة عشر صحابياً، وفي رواية لأحمد أنّه سمعه من النبي ﷺ ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلي لمّا نوزع أيّام خلافته، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته)[3].

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٢، ص٤٢، بيروت. الترمذي، صحيح الترمذي، ج٥، ص٦٣٦، ح ٧١٣، بيروت .

(٣) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص٦٤، بيروت.

ومن النصوص آية الولاية وهي قوله تعالى: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[1]. وأكثر التفاسير مطبقة في نزول هذه الآية في الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال الفخر الرازي في التفسير الكبير: (روي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً صلاة الظّهر، فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد، فرفع السائل يديه إلى السماء وقال: اللهمّ اشهد أنّي سألت في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله فما أعطاني أحد شيئاً، وعلي عليه السلام كان راكعاً، فأومأ إليه بخنصره اليمنى فيها خاتم، فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم بمرأى النبي صلى الله عليه وآله فقال: اللهمّ إنّ أخي موسى سألك فقال: [رب اشرح لي صدري] إلى قوله تعالى: ﴿**وأشركه في أمري**﴾[2] فأنزلت قرآناً ناطقاً ﴿**سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً**﴾[3] (اللهمّ وأنا مُحمَّد نبيّك وصفيّك، فاشرح لي صدري، ويسّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أشدد به أزري). قال أبو ذر: فوالله ما أتمّ رسول الله هذه الكلمة حتّى نزل جبرائيل فقال: يا مُحمَّد اقرأ: ﴿**إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾[4]. وقد أجمع الزمخشري في الكشّاف،

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٥.

(٢) سورة طه، الآيتان ٢٥ و٣٢.

(٣) سورة القصص، الآية ٣٥.

(٤) الرازي، التفسير الكبير، ج١٢، ص٢٦، بيروت.

والسّيوطيّ في الدرّ المنثور، والهيثمي في مجمع الزوائد، والجصاص في أحكام القرآن، والسدّي في التفسير الكبير، وابن كثير في تفسيره، والطَّبريّ في تفسيره، أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالبعليه السلام يوم تصدّق وهو راكع.

ويستبعد السَّيِّد عبد الله الغريفي في كتابه: التَّشيُّع، فرضيّة الشّورى في الخلافة، وأنّها لا تقوم على فرضيّة أنّ الأمّة وحدها قادرة على احتواء الموقف بكل تناقضاته الحادة، بنحو يحمي الدّعوة من خطر الانهيار، ويصون المسيرة من منزلقات الانحراف. ويقول في احتمال تفويض الاختيار إلى الأمة، مبدأ الشورى: "هذا الاحتمال يفترض أنّ الرّسول قد منح الأمة صلاحية اختيار القيادة الفكرية الروحية والسِّياسيَّة الَّتي ترعى المسيرة وتصون التجربة، وذلك من خلال مبدأ الشورى"، وهو يستبعد توافر النص الَّذي يدعم هذا الاتجاه، فهو لا يرى أنّ في السيرة النبوية مصادر معتمدة في هذا الشأن، وليس في خطابات الرسولصلى الله عليه وآله وفي بياناته إشارة إلى ذلك، مع توافر الدواعي والأسباب لذكرها، وعدم إخفائها. والنصان القرآنيان المحتملان في هذا الشأن هما: أولاً، قوله تعالى، ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين**﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩ .

وثانياً، قوله تعالى ﴿**والذين استجابوا لربّهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون**﴾[1].

ويرى السيِّد مرتضى العسكري في (معالم المدرستين) أنّ النّصّين أجنبيّين عن موضوع القيادة والخلافة، فالنّصّ الأوّل توجيه للرّسول ﷺ أن يدعو المسلمين إلى القتال بأسلوب المشاورة، مع تأكيد النّصّ بأنّ الموقف مناط بعزم الرسول ﷺ وقناعاته لا بمشورة المسلمين، وقد برهنت حالات المشاورة على صوابيّة اختيار الرسول ﷺ كما حدث في غزوة بدر. قال: (وأمّا النّصّ الثّاني فلا يستفاد منه أكثر من رجحان التشاور بين المؤمنين في أمورهم[2]، والتشاور ولا يمكن أن يكون في القضايا الَّتي ورد فيها تحديد شرعي، فليس لأحد صلاحية في قبال تشريعات الله تعالى، قال جلّ جلاله: ﴿**وربّك يخلق ما شاء ويختار ما كان لهم الخيرة**﴾[3] وقوله تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن أو مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**﴾[4].

(ومسألة الإمامة تدخل ضمن المساحة المحدّدة شرعاً كما سنثبت

---

(١) سورة الشورى، آية ٣٨.

(٢) مرتضى العسكري، معالم المدرستين ـ ج١، ص٣٥٧ ـ ط طهران.

(٣) سورة القصص، آية ٦٨.

(٤) سورة الأحزاب، آية ٣٦.

ذلك، فهي بالتالي تكون خارجة عن الدائرة الَّتي تعالجها آيات الشورى)[1]. وحيث إنّ الإمامة أو الخلافة تمثّل في نظر العلم والعلماء المرجعيّة الَّتي تموّن الأمّة بالرؤى والأفكار والتصوّرات والتشريعات، فلا يمكن أن يعطى للأمة صلاحيّة تحديدها واختيارها، وهي مسألة تمتلك حساسية كبيرة، وتتأثر بانفعالات الناس وعواطفهم وتوجهاتهم الفكرية والنفسية وانتماءاتهم العقائدية والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة، ومن هنا تكمن صعوبة أن تترك هذه المسألة الخطيرة في إدارة الدَّولة لاختيارات الناس.

ويرى بعض رجال الفكر أنّ الإشكالية الحقيقية الَّتي تواجه أطروحة الشورى هي أنّها لم تتوافر على أيّ لون من ألوان التطبيق في واقع التجربة الَّتي مارست السلطة زعامة الأمة بعد الرسولﷺ، وأنّه ليس للشورى أيّ صدى في الممارسة العمليّة لاختيار القيادة وتعيين الزعامة. فالمهاجرون والأنصار الّذين حضروا اجتماع السقيفة لم يفكروا إطلاقاً بذهنية الشورى، والَّذي تمخّض عنه اختيار أبي بكر للخلافة، وقيادة المسيرة، بل إنّ الخليفة الأوّل أبا بكر حينما حدّد خليفته في زعامة المسلمين لم يتعاط مع نظام الشورى، وهو نصّ مباشرة على عمر بن الخطّاب، وهذا الأخير حينما حضرته الوفاة أوكل أمر التّعيين إلى ستة من الصحابة، ضمن شروط وضوابط حدّدها لهم،

---

(١) عبد الله الغريفي، (التشيع) ص٤٩ دار المعارف ط١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

ولم يجعل لبقيّة الأمّة أيّ دور حقيقي للاختيار[1]، بل كان يتمنّى إدراك أحد رجلين ليسند إليه الأمر، فحينما طلب منه الناس الاستخلاف قال: (لو أدركني أحد رجلين لجعلت هذا الأمر إليه، ولوثقت به، سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة بن الجراح، ولو كان سالم حياً ما جعلتها شورى)[2].

---

(١) المصدر السابق نفسه ص٥٢.

(٢) ابن سعد (الطبقات الكبرى) ج٣، ص ٣٤٣ ط بيروت .

الوجه السّادس:
الرافضة غير الشّيعة

لقد نعت الشّيعة بالروافض في أيّام الأمويين، وهي أيّام الكيد والعداوة لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم. وجاءت النصوص تبهتهم بالروافض على أنهم قسم من الشّيعة. ومن تلك النصوص: مُحمَّد مرتضى الزبيدي في تاج العروس حيث قال: (والروافض كلّ جند تركوا قائدهم، والرافضة فرقة منهم، والرافضة أيضاً فرقة من الشّيعة، قال الأصمعي: سموا بذلك لأنّهم بايعوا زيد بن عليّ ثمّ قالوا تبرأ من الشيخين. فأبى وقال: لا كانا وزيري جدي فتركوه ورفضوه وانفضوا عنه"[1]. وقد فرّق القاضي عياض في كتابه المدارك في أعلام مذهب مالك بين الشّيعة والرافضة، وذلك حينما فرّق بين مذهب الإمام مالك وبين غيره فقال: (فلم نر مذهباً من المذاهب أسلم منه، فإنّ فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والمرجئة و الشّيعة، إلاّ مذهب مالك فإنّا ما سمعنا أحدًا من نقلة مذهبه قال بشيء من هذه البدع)[2]. وأنت ترى من

(١) محمد مرتضى الزبيدي تاج العروس) ج٥ ص ٣٤.
(٢) القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج١، ص٥١.

هذه الجملة أنّ الرافضة غير الشّيعة لمكان التغاير الناتج من العطف، وأصحاب المقالات لا يخرجون عن نفس هذا المضمون ومعناه اللغوي الَّذي يطلق على كلّ جند رفضوا قائدهم، وقد طبّقوه على أصحاب زيد بن عليّ رضي الله عنه، من باب التطبيق الكلّي على أحد مصاديقه، ولا يصحّ أن أصحاب الإمام زيد قد طلبوا منه البراءة من الشيخين لأنّهم حريصون على النصرة وكسب المعركة، ولأنّ مصيرهم مرتبط بمصيره، فإذا هزم فمعنى ذلك القضاء عليهم قضاء تاماً، لأنّ الأمويين يقتلون على الظنّة والتّهمة كلّ من يميل إلى آل أبي طالب، فلا بدّ أن يكون هؤلاء على فرض التنزل بصحة الرواية. أقول إنّهم ليسوا من الشّيعة، وإنّما هم جماعة مندسّة أرادت إحداث البلبلة للقضاء على الإمام زيد الشهيد على أيدي الأمويين، وعلى فرض أنّ هناك فرقة في ذاك الوقت كانت ترفض الشيخين، فما معنى أن يسحب هذا اللّقب على كلّ شيعي يوالي أهل البيت حتّى أصبح هذا الأمر من المسلّمات[1]. لذا فإنّنا وجدنا الإمام الشافعيّ رحمه الله يقول في أبيات شهيرة،

يا راكباً قف بالمحصّب من منى   واهتف بقاعد جمعها والنّاهضِ
سحراً إذا فاض الحجيج إلى   فيضاً كملتطم الفرات الفائضِ

وإنّ تعبير الإمام الشافعيّ، (إن كان رفضاً حبّ آل مُحمَّد) يدلّ على أنّ هناك إرادة قوية لسحب هذا اللقب وهو (الرفض) على كلّ

(١) أحمد الوائلي، هويَّة التشيّع، ص٤١، مصدر سابق.

شيعيّ مبالغة في التشهير بهم، وشحن المشاعر ضدهم. وهو تخطيط شامل مدروس من قبل حكام بني أمية والعبّاسيّين، يستهدف محاصرة التَّشيُّع، والتشهير به، والنيل من سمعته بكل وسيلة سليمة أو محظورة. وعلى فرض وجود جماعة في التّاريخ كانوا يشتمون الصحابة فإنّ الشّتم لا تقرّه الشّيعة، ولا أئمّتهم، ولا بدّ هنا من باب الإنصاف الرّجوع إلى مجموعة من الأسباب الَّتي شكّلت فعلاً عنيفاً استوجب ردّ الفعل. ففي التّاريخ الأموي صفحات سوداء ممّا نال الشّيعة في الكوفة وغيرها من المدن الَّتي كانت توالي أهل البيت، من ظلم وقتل وتشريد وفرض الضرائب والتضييق على الناس في رزقهم وعيشهم ودينهم ومعتقدهم، وإنّ أول من أسّس لهذه الظاهرة هم الأمويّون أنفسهم لأنّهم شتموا الإمام علياً وأهل بيته عليهم السلام ثمانين سنة، واستمرّ ذلك حتّى جاء الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فمنع الشّتم والسّبّ، وحينما سأله أحدهم وهو على المنبر أين السّنّة؟ فقال: ويحك ما هي السّنّة؟ قال شتم عليّ بن أبي طالب وأهل بيته؟ فقال: اقعد، لا أقعدك الله، ليس من أجل هذا جئنا! وفي ذلك يقول الشَّريف الرضي ﷺ:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين	فتى من أميّة لبكيتكَ
غير أنّي أقول إنّك قد طبت	وإن لم يطب ولم يزك بيتكَ
أنت نزّهتنا عن الشّتم والسّبّ	ولو أمكن الجزاء جزيتكَ
دير سمعان فيك مأوى أبي حفص	فبودّي لو أنني آويتكَ
دير سمعان لا أغاثك غيث	خير ميت من آل مروان ميتكَ

والمفارقة الكبرى في هذا الأمر أنّك تجد مثلاً ابن تيميّة يؤلف كتابه "الصّارم المسلول في كفر من شتم الرسول"، ويحشد فيه الأدلّة على كفر الشاتم، ولكنّه يدلّس مع ذلك، ومع علمه بما قام به معاوية والأمويّون، فلا يقول بكفر الأمويّين الَّذين قاموا بشتم الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهو أخو رسول الله، وزوج ابنته فاطمة البتول الزَّهراء عليها السلام، وأبو ولديه الحسن والحسين، سيّدي شباب أهل الجنّة، وصاحب بدر وأحد والأحزاب، وخير من ضحّى بكلّ ذرة من كيانه في خدمة الإسلام، حتّى لاقى ربّه! فلماذا لا يكفّر شاتمه؟!

ومن جرائم بني أميّة مثال آخر، لقد تولّى يزيد بن معاوية الحكم لمدّة ثلاث سنوات قتل في سنة فيها سبط رسول الله وريحانته الحسين بن علي عليه السلام، وأهل بيته رضوان الله عليهم، وسبى عيالهم، وذبح أطفالهم، وعمل فيهم أعمالاً لا تصدر من كسرى وقيصر. وفي سنة ثانية قتل عشرة آلاف من المسلمين وسبعماية من الصحابة من حملة القرآن، في ما سمّي في التّاريخ بوقعة (الحرة)، واستباح مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيّام. وسمح لجند أهل الشّام أن يهتكوا أعراض المسلمات، ويذبحوا الأطفال، حتّى كان الجنديّ الشّاميّ يأخذ الرضيع من حضن أمه[1]، ويقذف به الجدار حتّى ينتشر مخّه على الجدار، وأجبر جنود يزيد الناس على بيعته على أنّهم عبيد له، وأخاف المدينة،

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي، ج٣، ص١٢ -٥٠، وانظر تاريخ الطبري، ج٦، ص٣٤٤.

وروّع الناس، وأحال أرض المدينة المنوّرة إلى برك من الدماء، وتلال من الأشلاء. وفي سنة ثالثة سلّط المنجنيقات على الكعبة، وهدمها، وأحرقها، وزعزع أركانها، وجعل القتال داخل المسجد الحرام، وسال الدم حتّى في قاع الكعبة. وقد ذكر ذلك مفصلاً من تاريخ الخميس للديار بكري، والطَّبريّ في تاريخه، وابن الأثير والمسعودي في مروج الذهب، وغيرهم من المؤرخين، في أحداث سنة ستين حتّى ثلاث وستين من الهجرة، ومع ذلك فإنّ أعجب العجب أنّك تجد كثيراً من أعلام السّنّة يخطّئون من يخرج لقتال يزيد، وأنّ الخارج عليه يحدث فتنة، ووصل الأمر ببعضهم إلى حدّ تخطئة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، سيّد شباب أهل الجنة، فانظر إلى أي مستوى من المهازل وصلت الوقاحة عند البعض، فلا حول ولا قوّة إلاّ بالله، وإلى الله ترجع الأمور.

هذا مع العلم أنّهم ونصب أعينهم يرون أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته، فقد روى ابن حجر في الصواعق المحرقة[1]، قال: (في كلّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدّين تحريف الضّالين، وإنحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فانظروا من توفدون). ونصب أعينهم جميعاً ما قاله النبيّ صلى الله عليه وآله كما رواه الحاكم في المستدرك: (ومن أحبّ أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي،

---

(١) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص١٢٨، مصدر سابق.

ويدخل الجنة الَّتي وعدني بها ربـي، وهـي جنّـة الخلـد فليتـولّ علياً وذريَّته من بعدي، فإنّهم لن يخرجوكم من هدى، ولن يـدخلوكم بـاب ضلالة)[1]. إنّها دملة الشعوبيّة الَّتي أهلك المسلمين التهابها عبر الـسنين، وهـي مواقـف تعمّـق جـذور الخـلاف بـين المـسلمين، وإنّ كتّـاب المسلمين مسؤولون أمام الله عـن شـجب هـذه المواقـف الَّتـي رحـل واضعوها، وبقيت مصدر بلاء على المسلمين.

---

(١) مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٤٨.

الوجه السّابع:
الغلاة ليسوا من الشّيعة

والشّيعة الإماميَّة الجعفريّة الاثنا عشرية، وتبعاً لمواقف أئمتهم من أهل البيت، وقفوا موقفاً حازماً وشديدًا وحاسماً من الغلو والغلاة، فسلّطوا عليهم الأضواء وتبرّأوا منهم، وكافحوهم، وشهّروا بهم. وقد قال رسول الله ﷺ: (يا علي، هلك فيك اثنان: محبّ غال، ومبغض قال). حتّى أنّ علياً أمير المؤمنين نفسه عليه السلام قال: (هلك فيّ اثنان: محب غال، وعدوّ قال). وقد جاء عن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام في هذا الصدد قوله الشهير، (ما نحن إلاّ عبيد الَّذي خلقنا واصطفانا، والله ما لنا على الله من حجَّة، ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميتون وموقوفون ومسؤولون. من أحبّ الغلاة فقد أبغضنا، ومن أبغضهم فقد أحبّنا، الغلاة كفار، والمفوّضة مشركون، لعن الله الغلاة، ألا كانوا نصارى، ألا كانوا قدريّة، ألا كانوا مرجئة، ألا كانوا حرورية)[1]. والإماميَّة لا يورثون الغلاة، لأنّهم ليسوا من المسلمين، ويقول فقههم، يرث المحق من المسلمين

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج٣، ص٥١، مؤسّسة الوفاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

من مبطلهم، ومبطلهم من محقّهم ومبطلهم، إلاّ الغلاة يرث منهم المسلمون وهم لا يرثون المسلمين. كما أنّ الإماميَّة لا يغسلون موتى الغلاة، ولا يدفنونهم، ويحرّمون تزويجهم وإعطاءهم الزكاة، وفي المحصّلة فإنّ الغلاة ليسوا مسلمين، ويقول الشهيدان الأوّل والثّاني في كتاب "اللّمعة الدّمشقيَّة" وشرحه، في باب الوقف، عند تعريف المسلمين، من صلّى إلى القبلة أي اعتقد الصلاة إليها، وإن لم يصلِّ لا مستحلاً، إلاّ الخوارج والغلاة، فلا يدخلون في مفهوم المسلمين وإن صلوا إليها للحكم بكفرهم[1].

وقد ألحق المؤلّفان بهم المشبّهة والمجسّمة، بالحكم الشرعي. ويرى الإمام الصّادق عليه السلام، ويعتبر أنّ الجلوس إلى الغالي وتصديقه بحديثه مخرجاً من الإيمان. كما روى ذلك المفضّل بن يزيد قال: قال لي أبو عبد الله الصّادق، وقد ذكر أصحاب أبي الخطاب والغلاة: (لا تقاعدوهم، ولا تؤاكلوهم، ولا تشاربوهم، ولا تصافحوهم، ولا تورثوهم). وقال لأحد أصحابه: (قل للغالية توبوا إلى الله فإنّكم فسّاق مشركون)[2].

ويقول إمام الشّيعة في زمنه الشيخ المفيد رحمه الله: (الغلاة من المتظاهرين بالإسلام، وهم الّذين نسبوا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وذريَّته إلى الألوهيَّة والنبوَّة، ووصفوهم من الفضل في الدّين

---

(١) الشهيدان الأول والثاني، اللمعة الدمشقية، ج١، ص ٢٢٨، إيران.

(٢) أسد حيدر، الإمام الصادق، ج٤، ص١٥٠، مكتبة الصدر، طهران، ١٤١١هـ

والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحدّ، وخرجوا عن القصد، فهم ضلال كفّار، حكم فيهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقتل، والتحريق بالنار، وقضت الأئمة عليهم السلام بالكفر والخروج عن الإسلام)[1]. وقال السيّد الخوئيّ في منهاج الصالحين: (الكافر وهو من لم ينتحل ديناً أو انتحل ديناً غير الإسلام، أو انتحل الإسلام وجحد ما يعلم أنّه من الدّين الإسلاميّ، بحيث رجع جحده إلى إنكار الرسالة، نعم، إنكار المعاد يوجب الكفر مطلقاً، ولا فرق بين المرتدّ والكافر الأصليّ، الحربيّ، والذّمي، والخارجيّ، والغالي، والنّاصب[2] وقال السيّد الخمينيّ رحمه الله في تحرير الوسيلة: (وأما الغالي فإنّ كان غلوّه مستلزماً لإنكار الألوهيّة أو التوحيد أو النبوّة فهو كافر"[3]. وقد أنصف مؤلفو دائرة المعارف الإسلاميَّة حينما حذفوا الغلاة من ساحة الشّيعة الإماميَّة. فقد جاء في دائرة المعارف (الزيديّة والإماميَّة الذين يؤلّفون المذهب الوسط، يحاربون الشّيعة الحلوليّين حرباً شعواء، الحلوليّ لا نعتبره من الشّيعة كما مرّ، ويعتبرونهم غلاة يسيؤون إلى المذهب، بل يعتبرونهم مارقين عن الإسلام)[4].

---

(١) المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ٢٣٨، إيران.

(٢) الخوئي، منهاج الصالحين، ج١، ص١٠٩، الكويت.

(٣) الخميني، تحرير الوسيلة، ج١، ص١١٨، بيروت.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية، ج١٤، ص٦٣.

الوجه الثّامن:

الشّيعة وعصمة الأنبياء والأئمة عليهم السلام

العصمة لغة هي المنع ومنه قوله تعالى: ﴿**سآوي إلى جبل يعصمني من الماء**﴾[1]، أمّا في الاصطلاح الكلامي (فالعصمة لطف يفعله الله بالمكلف، لا يكون معه داع إلى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك)[2].

فالعصمة مدد من الله تعالى واستعداد من العبد، وقد أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء عن تعمّد الكذب فيما يبلغونه عن الله تعالى، واختلفوا بعد ذلك في صدور ما ينافي العصمة منهم كالسهو أو النسيان أو ارتكاب بعض المحرّمات. وقد ذهب بعض أئمّة السنة إلى جواز وقوع كلّ ذنب منهم صغيراً كان أو كبيراً، ومنهم من أفرط فقال قد يصدر الكفر من النبي. وبالإمكان الرّجوع في هذا الصدد إلى آراء الباقلاّني والرّازي والغزّالي مفصّلاً في نظرية الإمامة[3]، وبعض آخر

(١) سورة هود، الآية ٤٣.

(٢) الكيلاني، توفيق التطبيق، ص١٦.

(٣) نظرية الإمامة، ص١١١ و١١٢.

فصّل في ذلك ولم يصل إلى هذا الحدّ في تجريده من العصمة. أمّا الشّيعة فقد ذهبوا إلى عصمة الأنبياء مطلقاً قبل البعثة وبعدها، وقد ساقوا لذلك أدلّة كثيرة، وعندهم أنّ عصمة الأئمّة من أهل البيت أمر مفروغ منه، وقد أثبتها علماؤهم للإمام بأدلّة من العقل والنقل. وقال الإمام المرحوم الشيخ مُحمَّد رضا المظفّر، في كتابه عقائد الإماميَّة: (والعصمة هي التنزّه عن الذنوب والمعاصي، صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع عقلاً عن النبيّ أن يصدر منه ذلك، بل يجب أن يكون منزّهاً حتّى عمّا ينافي المروءة، كالتبذّل بين النّاس، من أكل في الطّريق، أو ضحك عال، وكلّ عمل يستهجن فعله عند العرف العام، والدّليل على وجوب العصمة، أنّه لو جاز أن يفعل النبي المعصية أو يُخطيء وينسى، وصدر منه شيء من هذا القبيل، فإمّا أن يجب اتّباعه في فعله الصادر منه عصيانًا أو خطأ، أو لا يجب. فإن وجب اتّباعه فقد جوّزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى، بل أوجبنا ذلك، وهذا باطل بضرورة الدّين والعقل. وإن لم يجب اتّباعه فذلك ينافي النبوّة الَّتي لا بدّ أن تقترن بوجوب الطّاعة أبداً. على أنّ كلّ شيء يقع منه من فعل أو قول فنحن نحتمل فيه المعصية أو الخطأ، فلا يجب اتّباعه في شيء من الأشياء، فتذهب فائدة البعثة، بل يصبح النبيّ كسائر الناس، ليس لكلامه أو عمله تلك القيمة العالية الَّتي يعتمد عليها دائماً، كما لا تبقى طاعة حتميّة لأوامره، ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله، وهذا دليل على العصمة يجري عيناً في الإمام، لأنّ المفروض فيه أنّه

منصوب من الله تعالى، لهداية البشر، خليفة للنبي[1].

وتعتقد الإماميَّة أنّ النّبيّ أو الإمام يجب أن يكون متصفاً بأكمل الصفات الخلقيّة والعقليّة وأفضلها، ومنها الشجاعة والسياسة والتدبير والصبر والفطنة والذكاء، حتّى لا يدانيه بشر سواه فيها، كما يجب أن يكون طاهر المولد، أميناً صادقاً منزّهاً عن الرذائل، قبل بعثته أيضاً، لكي تطمئن إليه القلوب، وتركن إليه النفوس، ويستحقّ هذا المقام الإلهيّ العظيم، وحيث إنّ الإمام حجّة الله في تبليغ الشرع للعباد، فهو لا يقرّب العباد من الطاعة، ويبعدهم عن المعصية، مَن حيث كونه إنساناً، ولا من حيث سلطته، فإنّ بعض الرّؤساء الّذين ادّعوا الإمامة في طول التّاريخ الإسلاميّ وعرضه، كانوا فجرة وكذّابين وضّاعين، لا يصحّ الاقتداء بهم، فإذا أقرّوا بطاعة الله تعالى كانوا مصداق قوله تعالى: ﴿**أتامرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم**﴾[2]، وفي مثل هذه الحالات لا ينبغي للمكلّف أن يثق بقولهم وله عذره، فثبت أن تقريب النّاس من طاعة الله تعالى، لا من حيث كون الإمام إماماً[3]، وإنّما من حيث كونه معصوماً حيث لا يكون للناس عذر عصيانه، تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**لئلاّ يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾[4]، والأئمة

---

(١) مُحمَّد رضا المظفّر، عقائد الإماميّة، ص٧٨، دار الصفوة، بيروت ـ لبنان.

(٢) سورة البقرة، الآية ٤٤.

(٣) الشهرستاني، نهاية الإقدام، ص٨٥.

(٤) سورة النساء، الآية ١٦٥.

حجج الله، كالرسل سواء بسواء، لأنّ الإمام منصوب من قبل الله تعالى لهداية البشر.

وقد ذكر بعض العلماء ثلاثة أدلّة نقليّة على عصمة الإمام:

أ ـ قال الله تعالى في الآية ٢٤ من سورة البقرة، لنبيّه إبراهيم عليه السلام: ﴿**إني جاعلك للناس إماما، قال ومن ذريتي، قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾. فقد دلّت هذه الآية على العصمة لأنّ المذنب ظالم، ولو لنفسه، قال تعالى: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾[1].

ب ـ قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[2]. والدّليل على العصمة في هذه الآية، أنّ أولي الأمر الواجب طاعتهم يجب أن تكون أوامرهم موافقة لأحكام الله تعالى، لتجلب لهم هذه الطّاعة[3]. ولا يتسنّى هذا إلاّ بعصمتهم، إذ لو وقع الخطأ منهم لوجب الإنكار عليهم، وذلك ينافي أمر الله تعالى في الطّاعة لهم.

ج ـ قال الله تعالى في الآية ٣٢ من سورة الأحزاب: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾. فقد ذهبت الآية الكريمة إلى عصمة أهل البيت الّذين نزلت فيهم، وقد نصّ على

---

(١) سورة فاطر، الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية ٤٩.

(٣) العلاّمة الحلّي، كشف المراد، ص١٢٤.

نزولها فيهم كلّ من الإمام أحمد في مسنده، ومستدرك الصحيحين، والدرّ المنثور، وكنز العمّال، وسنن الترمذي، وتفسير الطّبريّ، وخصائص النسّائي، وتاريخ بغداد، والاستيعاب لابن عبد البرّ، والرّياض النضرة للمحبّ الطّبريّ، ومسند أبي داوود، وأسد الغابة، جميع هؤلاء قالوا إنّها نزلت في النبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام [1]. وقد تساءل العلماء عن معنى ذهاب الرّجس لينتهوا إلى القول، إنّه نفي كلّ ذنب وخطأ عنهم، والإرادة هنا تكوينيّة لا تشريعيّة، لوضوح أن التشريعيّة مرادة لكل الناس، ولا يلزم منه الإلجاء لما سبق أن ذكرناه من أنّ العصمة مدد من الله تعالى واستعداد من العبد.

(١) انظر فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج٥، ص٢١٩ فصاعداً.

الوجه التّاسع:
الشّيعة والتقيَّة

يعتقد الشّيعة أن مشروعيّة التقيَّة قد وردت في نفس القرآن الكريم بشكل جليّ واضح في قول الحقّ سبحانه في الآية ١٠٦ من سورة النّحل: ﴿**إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾ وقد أجمع المفسّرون قاطبة أنّها نزلت في عمّار بن ياسر، الصحابي الجليل رضوان الله عليه، الّذي التجأ إلى التظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الإسلام. فقد جاء إلى النبيّ ﷺ باكياً، فقال: ما يبكيك يا عمّار؟ قال: والّذي بعثك بالحقّ نبياً، ما تركوني حتّى نلت منك، وكفرت بالّذي أرسلت به. فقال ﷺ ضاحكاً: لا تثريب عليك، اليوم يغفر الله لك، فإن عادوا إلى ذلك فعد. ومن الأدلّة قوله تعالى في سورة آل عمران، آية (٢٨): ﴿**إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾ وقوله تعالى في الآية ٢٨ من سورة المؤمن: ﴿**وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه**﴾. وقد روي عن صادق آل البيت جعفر بن مُحمَّد ﷺ في الأثر الصّحيح (التقيَّة ديني ودين آبائي، ومن لا تقيَّة له لا دين له). وقد أصبحت التقيَّة شعاراً لآل البيت عليهم السلام، دفعاً للضّرر عنهم وعن أتباعهم، وحقناً لدمائهم،

واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولمّاً لشعثهم[1]. بل يمكن القول بأنّ التقيَّة هي نظام عام شامل، يقول به كافّة الخلق، لأنّه أمر تقتضيه فطرة العقول في الحفاظ على النفس الإنسانيّة، ومعلوم أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم قد لاقوا من صنوف المحن والعسف والتقتيل والتشريد ما لا يعلمه إلاّ الله، فاضطرّوا في عهود الظلم والظلام، إلى استعمال التقيَّة بكتمان معتقداتهم وسترها عن المخالفين، حفاظاً على نفوسهم من أن تزهق، وليس صحيحاً أبداً ما يشاع من أنّ الإماميَّة قد جعلت من التقيَّة جمعيّة سريّة لغاية الهدم والتخريب، كما يدّعي بعض غلاة النّاصبة. كيف يكون ذلك وكتبهم ومؤلّفاتهم في الفقه والأحكام ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين؟!

"نعم، إنّه لا يشفى صدر أعداء الشّيعة وغليلهم إلاّ أن تقدّم رقابهم إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم، وإبادتهم جميعاً. وعوداً على بدء، إنّ التقيَّة الّتي تقول بها الشّيعة لا تختصّ بهم، ولم ينفردوا بها، بل هو أمر فرضته ضرورة العقل، وعليه جبلت الطبائع وغرائز البشر، وشريعة الإسلام في أسس أحكامها وجوهر مشروعيّتها تماشي العقل والعلم، جنباً إلى جنب، وكتفاً إلى كتف. رائدها العلم، وقائدها العقل، ولا تنفكّ عنها قيد شعرة. ومن ضرورة العقول وغرائز النفوس أنّ كلّ إنسان مجبول على الدفاع عن نفسه والمحافظة على حياته، وهي أعزّ

(١) مُحمَّد رضا المظفّر، عقائد الإماميّة، ص١٠٨، مصدر سابق.

الأشياء عليه، وأحبّها إليه، نعم، قد يهون بذلها في سبيل الشّرف وحفظ الكرامة وصيانة الحق ومهانة الباطل"[1].

وقصّة عمّار وأبويه، وتعذيب المشركين لهم ولجماعة من الصحابة، وحملهم لهم على الشرك وإظهارهم الكفر مشهورة، والعمل بالتقيَّة له أحكام ثلاثة: فتارة يجب كما إذا كان تركها يستوجب تلف النفس من غير فائدة، وأخرى يكون رخصة كما لو كان في تركها والتظاهر بالحقّ نوع تقوية له، فله أن يضحّي بنفسه، وله أن يحافظ عليها، وثالثة يحرم العمل بها كما لو كان ذلك موجباً لرواج الباطل، وإضلال الخلق، وإحياء الظّلم والجور، ومن هنا تنصاع لك شمس الحقيقة ضاحية، وتعرف أنّ اللّوم والتعيير بالتقيَّة لا يقع على الشّيعة بل على من سلبهم موهبة الحرّيّة، وألجأهم إلى العمل بالتقيَّة، فقد تغلّب معاوية على الأمّة، وابتزّها الإمرة عليها بغير رضا، وتلاعب بالشريعة الإسلاميَّة حسب أهوائه، وقتل الشّيعة تحت كلّ حجر ومدر، يأخذهم على الظنّة والتهمة، فقتل الشّيعة صبراً، وقال: ما قتلت أحداً إلاّ وأنا أعرف في ما قتلته خلا حجر فإني لا أعرف بأيّ ذنب قتلته. ومن المعلوم أنّه قتل الصحابي الجليل حجر بن عديّ وأصحابه في مرج عذراء بدمشق. ومن ضحاياه: عمرو بن الحمق الخزاعي، وعبد الرحمن بن حسان العزي، وميثم التمّار، ورشيد الهجريّ، وعبد الله بن يقطر،

(١) مُحَمَّد الحسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص١٠٥، الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٢هـ

الَّذين شنقهم ابن زياد في كناسة الكوفة. هؤلاء والمئات مِن أمثالهم هانت عليهم نفوسهم العزيزة في سبيل الحقّ، ونطحوا صخرة الباطل، وما تهشّمت رؤوسهم، حتّى هشّموها، وما عرفوا أين زرع التقيَّة وأين واديها؟![1] ولا يغيبنّ عنك ذكر الحسين أبي الشهداء وأهل بيته وأصحابه سلام الله عليهم، الَّذين يعدّون سادة الشهداء، وقادة أهل الإباء.

---

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص١٥٣، مصدر سابق.

الوجه العاشر:

الشّيعة والزَّواج المؤقّت "المتعة"

الزَّواج المؤقَّت، أو المتعة، هو عقد بين الرجل والمرأة ضمن شروط شرعيّة محدّدة. ومن هذه الشّروط:

- الإيجاب والقبول.
- تحديد المدّة ضمن صيغة العقد.
- تحديد المهر.
- إذن الوليّ إذا كانت البنت باكراً على رأي أكثر الفقهاء.
- انتفاء الموانع الشرعيّة من النسب كالمحارم أو السّبب كالرّضاع أو الإحصان أو العدّة أو غير ذلك.
- لا يجوز للمسلمة أن تتمتّع بالكافر، كما لا يجوز للمسلم أن يتمتّع بالمشركة غير الكتابية.

والعناصر المشتركة بين الزَّواج الدّائم والزَّواج المؤقّت هي:

- العقد الشرعيّ المشتمل على الإيجاب والقبول الشرعيّين.

ـ الآثار الشرعيّة المترتبة على العقد إلاّ ما استثنته الأدلّة الخاصّة.

ـ أحكام الأولاد واحدة في الزوّاجين.

ـ العدّة واجبة على المرأة مع الدّخول وعدم اليأس في الحالتين. وبالنسبة للوفاة تجب العدّة حتّى وإن كانت المرأة صغيرة أو يائسة أو غير مدخول بها[1].

أمّا عناصر الاختلاف بين الزوّاجين فهي:

ـ في الزوّاج المؤقّت تحدّد المدّة والأجل، وفي الدّائم لا تحديد للمدّة والأجل.

ـ في الزوّاج المؤقّت يشترط ذكر المهر، وفي الدّائم لا يشترط ذلك.

ـ في الزوّاج المؤقّت لا طلاق بل تبين المرأة بانتهاء المدّة أو بهبة المدّة لها أو الوفاة، وفي الزوّاج الدّائم لا تبين المرأة إلاّ بالطّلاق أو الوفاة إلاّ في الحالات الاستثنائيّة، كالارتداد والفسخ حيث تبين المرأة بلا طلاق.

ـ في الزوّاج المؤقّت لا توارث بين الزوّجين إلاّ مع الشّرط عند بعض الفقهاء، وفي الزوّاج الدّائم يتوارث الزوّجان إلاّ في الحالات الاستثنائية كالقتل أو كون الزوّجة غير مسلمة.

---

(١) عبد الله الغريفي، التشيّع، ص١٨٦، مصدر سابق.

ـ في الزوّاج المؤقّت لا نفقة للزوّجة إلاّ مع الشّرط في العقد، وفي الدّائم تجب النّفقة للزّوجة إلاّ في الحالات الاستثنائية كالنشوز.

ـ في الزوّاج المؤقّت لا قسم للزوّجة ولا تجب مضاجعتها ومقاربتها في كلّ أربعة أشهر مرّة، وفي الزوّاج الدّائم يجب ذلك.

ـ في الزوّاج المؤقّت تستحقّ المرأة المهر كاملاً، وإن لم يدخل بها، إذا لم يكن بسبب مانع من قبلها، وفي الدّائم لا تستحقّ المهر كاملاً إلاّ مع الدخول[1].

والأدلّة على جواز ومشروعيَّة زواج المتعة كثيرة منها:

قوله تعالى: [فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة][2] وقد انفردت الإماميَّة من بين سائر فرق المسلمين بالقول بجواز وبقاء مشروعيّته إلى الأبد، ولا يزال النّزاع محتدماً فيه بين الفريقين من زمن الصحابة إلى اليوم.

وعن عبد الرحمن بن أبي عبد الله قال: سمعت أبا حنيفة يسأل أبا عبد الله جعفرالصّادق عليه السلام عن المتعة فقال: عن أيّ المتعتين تسأل؟ قال: سألت عن متعة الحج فأنبئني عن متعة النساء أحقّ هي؟ قال: سبحان الله، أما تقرأ كتاب الله، ﴿**فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة**﴾[3]؟!

---

(١) الخوئي، منهاج الصالحين، ج٢، ص٢٥٨، مصدر سابق.

(٢) سورة النساء، الآية ٢٧.

(٣) سورة النساء، الآية ٢٧.

فقال أبو حنيفة: والله، لكأنّها آية لم أقرأها قط[1]. وإجماع الشّيعة على أنّه قد شرّعها رسول الله ﷺ وأباحها، وعمل بها جماعة من الصحابة في حياته، بل وبعد وفاته، وقد اتّفق المفسّرون على أنّ جماعة من عظماء الصحابة كعبد الله بن عبّاس، وجابر بن عبد الله الأنصاريّ، وعمران بن الحصين، وابن مسعود، وأبيّ بن كعب، وغيرهم، كانوا يفتون بإباحتها، ويقرأون الآية المتقدّمة هكذا، [فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى]. وعلى أيّة حال فالإجماع، بل الضرورة في الإسلام، قائمة على ثبوت مشروعيّتها، وتحقّق العمل بها، غاية ما هناك أنّ المانعين يدّعون أنّها نسخت وحرّمت بعدما أبيحت، وحصل هنا الاضطراب في النقل والاختلاف الّذي لا يفيد ظناً، فضلاً عن القطع، ومعلوم حسب قواعد الفنّ أنّ الحكم القطعيّ لا ينسخه إلا دليل قطعيّ[2].

وذكر الرّازي في التفسير الكبير، أنّه روي عن أبيّ بن كعب أنّه كان يقرأ، ﴿**فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمّى فآتوهنّ أجورهنّ**﴾. وهي قراءة ابن عبّاس. وعن عمران بن حصين قال: نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم تنزل بعدها آية تنسخها. وأمرنا بها رسول الله ﷺ وتمتّعنا بها، ومات ولم ينهنا عنها، ثمّ قال رجل برأيه ما شاء[3].

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٤٠، طهران.
(٢) مُحمَّد الحسين كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص٩٥، مصدر سابق.
(٣) الرّازي، التفسير الكبير، ج١٠، ص٥١، مصدر سابق.

وعن ابن عبّاس قال: (يرحم الله عمر، ما كانت المتعة إلاّ رحمة من الله رحم الله بها أمّة مُحمَّد، ولولا نهيه عنها ما احتاج إلى الزّنى إلاّ شقيّ. قال: وهي الَّتي في سورة النساء ﴿**فما استمتعتم به منهنّ كذا وكذا من الأجل**﴾[1].

واستدلّ بعضهم على النّسخ للآية الكريمة الآنفة الذّكر بقوله تعالى: ﴿والَّذين هم لفروجهم حافظون إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنّهم غير ملومين، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾[2].

ووجه الاستدلال أنّ الآية أباحت نوعين من النّكاح فقط، الزّوّاج وملك اليمين، وزعموا بأنّ، المتعة ليست زواجاً ولا ملك يمين، لانتفاء لوازم الزوجيّة كالميراث والنّفقة والطّلاق والعدّة، وأجيبوا بأنّ هذه الآية وردت في سورة (المؤمنون) وهي سورة مكّيّة، وآية المتعة وردت في سورة النساء وهي مدنيّة، فكيف يكون المتقدّم نزولاً ناسخاً للمتأخّر؟! وما ذكروه من أمور ليست من لوازم الزّوجيَّة الَّتي لا تنفكّ عنها، والدليل:

ـ المرأة النّاشز زوجة ولا تجب لها النّفقة.

---

(١) السدّي، تفسير السدّي، ج٢، ص٤٧٨، مصر.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان ٥ و٧.

ـ الزّوجة الكتابيّة لا ترث زوجها المسلم، وكذلك الزّوجة القاتلة لزوجها لا ترثه.

ـ وهناك حالات يتحقّق الانفصال بين الزوجين بدون طلاق؛ منها، حالات الارتداد، وحالات الفسخ.

ـ أمّا العدّة فهي لازمة في المتعة.

وخلاصة القول إنّ المتعة زواج شرعيّ، واختلافها عن الزّواج الدّائم في بعض الأحكام ناشئ من ورود أدلّة خصّصت العمومات الواردة في أحكام الزّوجات.

والحقّ أنّ القوم بعد اعترافهم قاطبة بالمشروعيّة ادّعوا أنّها منسوخة تارة بآية، كما مرّ معنا وأخرى بحديث، واستشهدوا على ذلك بما رواه البخاري ومسلم من أنّ النبيّ ﷺ نهى عنها وعن الحمر الأهليّة في فتح مكة، أو فتح خيبر، أو غزوة أوطاس، وهنا اضطراب غريب، واختلاف واسع، واضطراب واسع الجنبات، فقد حكي عن القاضي عياض أنّ بعضهم قال: إنّ هذا ممّا تداوله التحريم والإباحة والنّسخ مرّتين، وممّا لا مرية فيه أوّلاً، بأن الكتاب لا ينسخ بأخبار الآحاد. وثانياً، بأنّها معارضة بأخبار كثيرة من طرق القوم، صريحة بعدم نسخها. وثالثاً، بما ورد في صحيح البخاري عن عمران بن حصين، أنّ آية المتعة نزلت في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله ﷺ، ولم ينزل قرآن بحرمتها، ولم ينهَ عنها رسول الله حتّى مات. قال رجل برأيه ما شاء، يقال إنّه عمر بن الخطّاب، انتهى نصّ البخاري.

وفي صحيح مسلم بسنده عن عطاء قال: قدم جابر بن عبد الله الأنصاريّ معتمراً، فجاءنا في منزله، فسأله القوم عن أشياء، ثمّ ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله ﷺ، وعلى عهد أبي بكر. وعمر: وكنّا نتمتع بالقبضة من التّمر والدّقيق لأيام على عهد الرّسول وأبي بكر حتّى نهى عنها عمر في شأن عمرو بن حريث. وفيه عن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله فأتاه آتٍ فقال: ابن عبّاس وابن الزبير اختلفا في المتعتين فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله ﷺ، ثمّ نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما، قلت: وأنّهم لم يعودوا لهما لأنّ عمر كان يرجم من يثبت عنده أنّه قد تمتّع[1].

وجاء في تفسير الرّازي عن عمر بن الخطّاب أنّه قال في خطبته: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ أنا أنهى عنهما، وأعاقب عليهما[2].

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده، سئل عبد الله بن عمر عن متعة النّساء فقال: (والله ما كنّا على عهد رسول الله ﷺ زانين ولا مسافحين)[3].

وقال الرّاغب الأصفهاني في المحاضرات: (قال يحيى بن أكثم لشيخ البصرة: بمن اقتديت بجواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطّاب. قال: كيف وعمر كان أشدّ النّاس فيها؟! قال: لأنّ الخبر الصّحيح أنّه صعد

---

(١) الإمام مسلم، الصحيح، ج٢، ص٨٨٥، بيروت.
(٢) الرّازي، التفسير الكبير، ج١٠، ص٥٠، مصدر سابق.
(٣) أحمد بن حنبل، المسند، ج٢، ص٩٥، بيروت.

المنبر فقال: "إنّ الله ورسوله قد أحلاّ لكم متعتين وإنّي محرّمهما عليكم، وأعاقب عليهما. فقبلنا شهادته، ولم نقبل تحريمه"[1]. والّذي نراه أنّ زواج المتعة مع تحقّق شروطه والالتزام بآداب الإسلام بشأنه، يحلّ مشكلات عضال من مشكلات الجنس عند المسلمين، قديماً وحديثاً. فالإسلام الَّذي أخذ على نفسه عهداً بحلّ مشكلات البشر جميعها، نفسيًّا وجسديًّا وأخلاقيًّا وجنسيًّا، حيث وضعت حلول منطقيّة لحاجات البشر، ومن تلك الشّرائع مشروعيَّة المتعة، فلو أنّ المسلمين عملوا بها على أصولها الصحيحة من العقد والعدّة، والضّبط وحفظ النّسل منها، لأغلقت بيوت المواخير، وأوصدت أبواب الزّنى والعهار، وقلّت ويلات الشّرّ على البشر، ولأصبح الكثير من تلك المومسات المتهتّكات مصونات محصنات. ولتضاعف النّسل وكثرت المواليد الطّاهرة، واستراح النّاس من اللّقطاء، وانتشرت صيانة الأخلاق وطهارة الأعراق.

ونقول بصدق: بالله عليكم، أيّها المنصفون، قولوا لنا ما الَّذي يحلّ مشاكل المسافر، ولا سيّما من تطول أسفارهم في طلب علم أو تجارة أو جهاد أو مرابطة في الثّغور. والجميع في شرخ الشّباب وريعان العمر، وتأجّج سعير الشّهوة. فهم بين أمرين: إمّا الصبر ومجاهدة النّفس، وذلك موجب للمشّقة الّتي تجرّ إلى الوقوع في أمراض مزمنة

---

(١) الأصفهاني، المحاضرات، ج٢، ص٢١٤، بيروت.

وعلل مهلكة، وهـذا ينقـد الحكمـة ويفـوّت الغـرض مـن خلافـة الله للإنسان، وفيه عسر وحرج عظيم ومشقّة تأباها شريعة الإسلام السمحاء السهلة. قال الحقّ تعالى في سورة البقرة آية (١٨٥): ﴿**يريـد الله بكـم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾. وقال في سورة الحج، آيـة (٧٨): ﴿**ومـا جعل عليكم في الدّين من حرج**﴾. وإمّا الوقـوع فـي الزنـى والعهـار الَّذي ملأ البلدان والأقطار بالمفاسد والمضار وعظائم الشنائع، فإنـه مـا كان ليكون لـو أنّ المـسلمين أخـذوا بقواعـد الإسـلام، ورجعـوا إلـى نواميس دينهم الحنيف وشرعه الصّحيح.

الوجه الحادي عشر:
الشّيعة والجمع بين الصلاتين

الجمع بين الصلاتين، أي بين صلاتي الظّهر والعصر وصلاتي المغرب والعشاء، من المسائل الَّتي وقع فيها الخلاف بين السنة والشّيعة. ومذهب أهل البيت عليهم السلام يؤكّد على جواز الجمع بين صلاتي الظهر والعصر وبين صلاتي المغرب والعشاء، مطلقاً في السفر والحضر، ومن دون مطر لعذر أو غير عذر.

وأجمع أئمة المذاهب الأربعة على جواز الجمع بين الظهر والعصر في عرفة جمع تقديم، وبين المغرب والعشاء في المزدلفة جمع تأخير، ومنع الإمام أبو حنيفة الجمع بين الفريضتين في ما عدا ذلك مطلقاً، وأمّا الإمام مالك والشافعي وأحمد فأجازوا الجمع في السّفر، واختلفوا في ما عداه من الأعذار كالمرض والمطر والخوف[1].

والأدلة على جواز الجمع بين الصلاتين هي:

---

(١) الجزيري، الفقه على المذاهب الأربعة، ج١، ص٤٤١، القاهرة.

ـ الدليل الأوّل قوله تعالى: ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهوداً**﴾[1].

ومعنى الدلوك هو الزوال، ومعنى الغسق أول ظلمة الليل، أو شدّة الظلمة في نصف الليل، وأما قرآن الفجر فهو صلاة الفجر، وإذا فسّرنا الغسق بأوّل الليل يكون النص قد حدّد ثلاثة أوقات للصلاة: الوقت الأول، وهو الزّوال، والوقت الثّاني هو أوّل الليل، والوقت الثّالث هو الفجر. وبناء عليه فالزوال هو بداية الوقت للظهر والعصر معاً، وأوّل الليل بداية الوقت للمغرب والعشاء معاً، والفجر هو وقت خاصّ لصلاة الفجر، وإذا فسّرنا الغسق بنصف الليل يكون النصّ أيضاً دالاً على جواز الجمع، وبذلك يكون وقت الفرائض الأربع، الظهر والعصر والمغرب والعشاء ممتدّ من الزّوال إلى منتصف الليل، فالظهر والعصر يشتركان في الوقت من الزّوال إلى المغرب إلاّ أنّ الظّهر قبل العصر. ويشترك الوقت للمغرب والعشاء من الغروب إلى منتصف الليل غير أنّ المغرب قبل العشاء، أمّا فريضة الصبح فقد اختصها الله بوقتها المنوّه في قوله سبحانه: ﴿**وقرآن الفجر إنّ قرآن الفجر كان مشهودًا**﴾.

وقد روى الشّيخ الطّوسي في التّهذيب، عن عبيدة بن زرارة عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل**﴾ قال عليه السلام: (منها صلاتان أوّل وقتهما من عند

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٧٨.

زوال الشّمس إلى غروبها، إلاّ أنّ هذه قبل هذه، ومنها صلاتان أوّل وقتهما من غروب الشمس إلى انتصاف اللّيل إلاّ أنّ هذه قبل هذه)[1].

وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الظهر والعصر حين زالت الشمس في جماعة من غير علّة"[2].

وعن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام أنّه قال: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله جمع بين صلاتي الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وجمع بين المغرب والعشاء في الحضر من غير علّة بأذان واحد وإقامتين. فقال له عمر: أحدث في الصّلاة شيء؟ قال صلى الله عليه وآله: لا، ولكن أردت أن أوسّع على أمّتي[3].

ومن روايات أهل السّنّة قال الرّازي في تفسيره الكبير: فإن فسَّرنا الغسق بظهور أوّل الظّلمة كان الغسق عبارة عن أوّل المغرب، وعلى هذا التقدير يكون المذكور في الآية ثلاثة أوقات، وقت الزوال، ووقت أول المغرب، ووقت الفجر، وهذا يقتضي أن يكون الزوال وقتاً للظّهر والعصر، فيكون هذا الوقت مشتركاً بين الظّهر والعصر، وأن يكون أوّل المغرب وقتاً للمغرب والعشاء فيكون الوقت مشتركاً أيضاً بين هاتين الصلاتين، فهذا يقتضي جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقاً)[4]. إلاّ أنّه استدرك فقال معقّباً: (إلاّ أنّه دلّ الدّليل على

---

(١) الطوسي ، (التهذيب) ج٢، ص٢٤ ط بيروت.
(٢) الحر العاملي ، (وسائل الشيعة) ج٣، ص ٩٢ ط طهران.
(٣) أسد حيدر (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) ج ٦ ص ٣٦١ ط بيروت.
(٤) الرّازي، التفسير الكبير، ج٢١، ص٢٧، بيروت.

أنّ الجمع في الحضر من غير عذر لا يجوز، فوجب أن يكون الجمع جائزاً بعذر السفر والمطر وغيره)[1].

وتعقيبه الأخير مرفوض شكلاً ومضموناً، عقلاً ونقلاً، كما سترى بعد قليل.

وفي صحيح مسلم عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: (صلّى رسول الله ﷺ الظّهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر، قال أبو الزّبير فسألت سعيداً لمَ فعل ذلك؟ فقال: سألت ابن عبّاس كما سألتني فقال: أراد أن لا يحرج أحداً من أمّته)[2].

وعن سهل بن حنيف قال: سمعت أبا أمامة يقول: صلّينا مع عمر بن عبد العزيز الظّهر ثمّ خرجنا حتّى دخلنا على أنس بن مالك، فوجدناه يصلّي العصر، فقلت: يا عمّ، ما هذه الصلاة الّتي صلّيت؟ فقال: العصر، وهذه صلاة رسول الله ﷺ الّتي كنّا نصلّي معه)[3].

وروى مسلم في حديثه قال: وحدّثني أبو ربيع الزهراني، حدّثنا حمّاد عمّ الزبير بن الخريت، عن عبد الله بن شقيق قال: (خطبنا ابن عبّاس يوماً بعد العصر حتّى غربت الشمس وبدت النُّجوم، وجعل النّاس يقولون: الصّلاة، الصّلاة! قال: فجاءه رجل من بني تميم لا يفترّ

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٤٩١، بيروت.

(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري، ج١، ص٢٨٨، بيروت.

ولا ينتهي، وقال: الصَّلاة، الصَّلاة! قال: فقال ابن عبّاس: أتعلّمني بالسنّة لا أمّ لك؟ ثمّ قال: رأيت رسول الله ﷺ جمع بين الظّهر والعصر، والمغرب والعشاء. قال عبد الله بن شقيق: فحاك في صدري في ذلك شيء، فأتيت أبا هريرة فسألته فصدّق مقاله)[1].

والخلاصة كما رأيت أنّ جواز الجمع بين صلاتي الظهر والعصر والمغرب والعشاء جائز في كتاب الله وسنّة نبيِّه ﷺ.

(١) الإمام مسلم، صحيح مسلم، ج١، ص٢٦٤، بيروت.

الوجه الثّاني عشر:
عقائد الشّيعة بأقلامهم

ونحن هنا، نذكر بعون الله ومشيئته جملاً غير طويلة خوف الإطالة والملل، ممّا كتبه علماء الشّيعة أنفسهم عن آرائهم الدِّينيَّة، وعقائدهم، وهي مؤشّرات لمَن أراد أن يتوسّع في البحث عن الحقيقة، بعيداً عن الأهواء والعواطف والتخرّصات. وقد راعينا قدر الإمكان أن تكون ممتدّة على أبعاد من التّاريخ الشيعي القديم والحديث، فإنّ الشيخين الصدوق والمفيد، رحمهما الله تعالى، قد عاشا في القرن الرّابع هجريّ، أمّا الآخرون فقد عاشوا في القرن الرّابع عشر الهجريّ.

١ـ ابن بابويه القمّي

وكتابه "عقائد الشّيعة" من الكتب الرّائدة في هذا الميدان، وقد ضمّنه كلّ عقائد الشّيعة دون مواربة. لذا كان كتابه من المصادر الّتي يرجع إليها. بالإضافة إلى أنّ الرّجل من أساطين المذهب، وعمالقة الطائفة، وهذه نبذة عمّا كتبه عن عقيدة الإماميَّة بالألوهية. قال:

"اعتقادنا بالتوحيد، أنّ الله تعالى واحد ليس مثله شيء، قديم لم يزل، ولا يزال سميعًا، بصيرًا، حكيمًا، حيًّا، قيّومًا، عزيزًا، قدّوسًا، عالمًا، قادرًا، لا

يوصف بجوهر ولا جسم ولا صورة ولا عرض، خارج عن الحدّين: حد الإبطال وحدّ التشبيه. واعتقادنا بالقرآن، أنّه كلام الله ووحيه وتنزيله وكتابه، وأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنّ القرآن الَّذي أنزله الله تعالى على نبيّه هو ما بين الدّفّتين، وهو في أيدي النّاس، ليس بأكثر من ذلك، ومن نسب إلينا أنّا نقول أنّه أكثر من ذلك فهو كاذب".

هذا ما كتبه ابن بابويه الَّذي عاش وسط القرن الرَّابع، وتوفي سنة ٣٨١هـ[1].

٢ ـ الشيخ المفيد مُحمَّد بن مُحمَّد بن النعمان، قال في أوائل المقالات: "إنّ الله عزّ وجلّ واحد في الإلهيّة والأزليّة، لا يشبهه شيء، ولا يجوز أن يماثله شيء. وإنّه فرد في المعبوديّة، لا ثاني له فيها على الوجوه كلّها والأسباب، وعلى هذا إجماع أهل التّوحيد، إلاّ من شذّ من أهل التشبيه. وإنّ الله عزّ وجلّ حيّ لنفسه لا بحياة، وعالم لنفسه لا كما يذهب إليه المشبّهة، وقادر لنفسه. وأقول إنّ القرآن كلام الله ووحيه، وإنّه محدث كما وصفه الله تعالى، وأمنع من إطلاق القول عليه بأنّه مخلوق. وإنّ الله عالم بكل ما يكون قبل كونه، وإنّه لا حادث إلاّ وقد علمه قبل حدوثه، ولا معلوم وممكن أن يكون معلوماً إلاّ وهو عالم بحقيقته، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، لهذا اقتضت دلائل العقول والكتاب المسطور".

---

(١) دراسات في العقائد والفرق الإسلامية، ص ١٨.

ثم تحدّث الشيخ المفيد وأشار إلى قول من يدّعي أنّ القرآن حذف منه شيء. فأوّل هذا القول بأنّ المحذوف هو الشّروح والتفسيرات، ولا شيء من أصل القرآن محذوف، وذكر أنّه من الذّاهبين إلى هذا الرّأي فقال في ذلك: وقال جماعة من أهل الإمامة أنّه لم ينقص من آيه، ولا من كلمه، ولا من سوره، ولكن، حذف ما كان مثبتاً في مصحف عليّ من تأويله، وتفسير معانيه، على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتاً، وإن لم يكن من كلام الله تعالى، وقد يسمّى تأويل القرآن قرآناً، قال الله تعالى، ﴿**ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه**﴾[1] فقد سمّى تأويل القرآن قرآناً، وعندي أنّ هذا القول أشبه من مقال من ادّعى نقصان كلم من نفس القرآن"[2].

٣ ـ السيّد محسن الأمين العاملي قال: "وعقيدة الشّيعة أنّ كلّ من شكّ في وجود الباري أو وحدانيته أو نبوّة النبيّ ﷺ، أو جعل له شريكاً في النبوّة، فهو خارج عن دين الإسلام. وكلّ من غالى في أحد من الناس من أهل البيت، أو غيرهم، وأخرجه عن درجة العبوديّة لله تعالى، وأثبت له نبوّة أو مشاركة فيها، أو شيئاً من صفات الإلهيّة، فهو خارج عن ربقة الإسلام، والشّيعة يبرأون من جميع الغلاة والمفوّضة وأمثالهم". انتهى بتلخيص[3].

---

(١) سورة طه، الآية ١١٤.

(٢) المفيد، أوائل المقالات، ص٥٣ إلى آخر الفصل.

(٣) محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٩١.

٤ ـ الشيخ مُحمَّد رضا المظفّر قال: "نعتقد أنّ الله تعالى واحد ليس كمثله شيء، قديم لا يزال ولا يزال، هو الأول والآخر، عليم، حكيم، عادل، قادر، حيّ، غنيّ، سميع، بصير، لا يوصف بما توصف به المخلوقات. ونعتقد بأنّه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات، بأنه واحد في ذلك، وصفاته عين ذاته، وكذلك يجب توحيده في العبادة، ونعتقد أنّ النبوّة وظيفة إلهيّة وسفارة ربّانيّة، يجعلها الله لمن يختاره من عباده الصّالحين، فيرسلهم إلى سائر الناس لإرشادهم، ونعتقد أنّ الإمامة أصل من أصول الدّين، لا يتمّ الإيمان إلاّ بالاعتقاد بها، ويجب النّظر فيها كما يجب النّظر في التّوحيد والنّبوّة، وهي كالنبوّة لطف من الله تعالى، ونعتقد أنّ القرآن هو الوحي الإلهيّ المنزل من الله تعالى على لسان نبيّه الأكرم، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف، ومن ادّعى فيه غير ذلك فهو منحرف أو مغالط وكلّهم على غير هدى، فإنّه كلام الله تعالى الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[1].

٥ ـ الشيخ مُحمَّد الحسين آل كاشف الغطاء، قال في كتابه "أصل الشّيعة وأصولها": المقصد الثّاني، وهو بيان عقائد الشّيعة أصولاً وفروعاً، ونحن نورد أمّهات القضايا ورؤوس المسائل على الشّرط الّذي أشرنا إليه آنفاً من الاقتصار على المجمع عليه، والّذي يصحّ أن

---

(١) المظفر، عقائد الإمامية، ص ٤٣ فصاعداً.

يقال إنّه مذهب الشّيعة، دون ما هو رأي الفرد والأفراد منهم، فنقول إنّ الدّين ينحصر في قضايا خمس ١ـ "معرفة الخالق". ٢ـ "معرفة المبلغ عنه". ٣ـ " معرفة ما تعبد به والعمل به". ٤ـ "الأخذ بالفضيلة ورفض الرذيلة". ٥ـ "الاعتقاد بالمعاد والدينونة"، فالدّين علم وعمل، وإنّ الدّين عند الله الإسلام، والدّين والإيمان مترادفان، ويطلقان على معنى أعمّ، يعتمد على ثلاثة أركان: التوحيد، والنبوّة، والمعاد. فلو أنكر الرجل واحداً منها فليس بمسلم ولا مؤمن، وإذا دان بتوحيد الله ونبوّة سيّد الأنبياء مُحمَّدﷺ واعتقد بيوم الجزاء، من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر فهو مسلم حقاً، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، دمه وماله وعرضه حرام، ويطلقان أيضاً على معنى أخصّ، يعتمد على معنى أخصّ، يعتمد على تلك الأركان الثلاثة، وركن رابع وهو العمل بالدعائم الّتي بني الإسلام عليها وهي خمس: الصلاة، الصوم، الحج، الزكاة، الجهاد، وبالنّظر إلى هذا قالوا: الإيمان اعتقاد بالجنان، وإقرار باللّسان، وعمل بالأركان (من آمن بالله ورسوله وعمل صالحاً) فكل مورد في القرآن اقتصر على ذكر الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر، يراد به الإسلام والإيمان بالمعنى الأوّل، وكلّ مورد أضيف إليه ذكر العمل الصالح، يراد به المعنى الثّاني، والأصل في هذا التقسيم قوله تعالى في سورة الحجرات، آية (١٤): ﴿**قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم**﴾ وزاده تعالى إيضاحاً بقوله بعدها، [إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم

لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصّادقون] يعني أنّ الإيمان قول ويقين وعمل، فهذه الأركان الأربعة هي أصول الإسلام والإيمان بالمعنى الأخص عند جمهور المسلمين.

ولكن الشّيعة الإماميَّة زادوا ركناً خامساً وهو الاعتقاد بالإمامة، يعني أن يعتقد أن الإمامة منصب إلهي كالنبوة، فكما أنّ الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوّة والرّسالة، ويؤيّد بالمعجزة الَّتي هي كنص من الله عليه، قال تعالى في سورة القصص، آية (٦٨) ﴿**وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم**﴾، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيّه بالنّصّ عليه، وأن ينصبه إماماً للناس من بعده للقيام بالوظائف الَّتي كان على النبيّ أن يقوم بها، سوى أنّ الإمام لا يوحى إليه كالنبيّ، وإنّما يتلقّى الاحكام منه مع تسديد إلهي، فالنبيّ مبلغ عن الله، والإمام مبلّغ عن النبي، والإمامة متسلسلة في اثني عشر، كلّ سابق ينصّ باللاحق، ويشترطون أن يكون معصوماً كالنبيّ، عن الخطأ والخطيئة، وإلاّ زالت الثقة به وكريمة قوله تعالى: ﴿**إني جاعلك للناس إمامًا، قال ومن ذريّتي، قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾ سورة البقرة آية (٢٤) صريحة في لزوم العصمة في الإمام لمن تدبّرها جيداً، وأن يكون أفضل أهل زمانه في كلّ فضيلة، وأعلمهم بكل علم، لأنّ الغرض منه تكميل البشر، وتزكية النفوس وتهذيبها، بالعلم والعمل الصالح ﴿**هو الَّذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ سورة الجمعة، آية (٢).

والناقص لا يكون مكمّلاً، والقائد قد لا يكون معطياً، فالإمام في الكمالات دون النبيّ وفوق البشر، فمن اعتقد بالإمامة بالمعنى الّذي ذكرناه فهو عندهم مؤمن بالمعنى الأخصّ، وإذا اقتصر على تلك الأركان الأربعة فهو مسلم، ومؤمن بالمعنى الأعم، تترتّب عليه جميع أحكام الإسلام من حرمة دمه وماله وعرضه ووجوب حفظه وحرمة غيبته، وغير ذلك، لا أنّه بعدم الاعتقاد بالإمامة يخرج عن كونه مسلماً معاذ الله، نعم يظهر أثر التدين بالإمامة في منازل القرب والكرامة يوم القيامة، أمّا في الدنيا فالمسلمون بأجمعهم سواء وبعضهم لبعض أكفّاء، وأمّا في الآخرة فلا شكّ أنّ المسلمين تتفاوت درجاتهم ومنازلهم حسب نيّاتهم وأعمالهم، وأمر ذلك وعلمه إلى الله سبحانه، لا مساغ للبحث به لأحد من الخلف، والغرض أنّ أهمّ ما امتازت به الشّيعة عن سائر فرق المسلمين هو القول بإمامة الأئمة الاثني عشر، سمّيت هذه الطائفة إماميَّة، إذ ليس كلّ الشّيعة تقول بذلك. كيف واسم الشّيعة يجري على الزيدية والإسماعيليَّة والواقفيّة والفطحيّة وغيرهم، هذا إذا اقتصرنا على الدّاخلين في حظيرة الإسلام منهم، أمّا لو توسّعنا في الإطلاق والتسمية حتّى للملاحدة الخارجيّن عن الحدود كالخطابية وأضرابهم فقد تتجاوز طوائف الشّيعة المائة أو أكثر ببعض الاعتبارات والفوارق. ولكن، يختصّ اسم الشّيعة اليوم، على إطلاقه، بالإماميَّة الَّتي تمثّل أكبر طائفة في المسلمين بعد طائفة السنة، والقول بالاثني عشر ليس بغريب عن أصول الإسلام، وصحاح كتب المسلمين. وقد روى

البخاري وغيره في صحيحه حديث الاثني عشر خليفـة بطـرق متعـدّدة منها بسنده عن النبيﷺ، "أنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، قال: ثمّ تكلّم بكلام خفيّ عليّ فقلت لأبي: ما قـال؟ قـال: كلّهم من قريش". وروي أيضاً، "لا يزال الإسلام ماضـياً مـا ولـيهم اثنـا عشر رجلاً". وروي أيـضاً، "لا يـزال الإسـلام عزيـزاً إلـى اثنـي عـشر خليفة"، وما أدري من هؤلاء الاثنا عشر؟ والقوم يروون عنهﷺ: الخلافة بعدي ثلاثون ثم تعود ملكاً عضوضاً". دع عنك ذا فلـسنا بـصدد إقامـة الدّليل والحجّة على إمامة الاثني عـشر، فهنـاك مؤلّفـات بهـذا الـشأن، تفوق علـى الألـوف، ولكـنّ القـصد أنّ نـذكر أصـول عقائـد الـشّيعة، ورؤوس أحكامها، والمجمع عليها عنـدهم، والعهـد فـي إثباتهـا علـى موسوعات مؤلّفاتهم.

إنتهى.

عدالة الصحابة في الميزان

قراءة في كتاب الصواعق المحرقة

لابن حجر الهيتمي

المحدث ابن حجر الهيتمي

هو أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي السعدي[1] الأنصاري الشافعي المحدث الفقيه الصوفي ينسب إلى محلة أبي الهيتم من مديرية الغربية بمصر وقال الأمير في فهرسته بالمثناة الفوقية نسبة إلى الهياتم من قرى مصر.

ولد رحمه الله تعالى ببلدته المذكورة سنة ٨٩٩هـ ومات أبوه وهو صغير فكفله الإمامان الكاملان شمس الدين بن أبي الحمائل وشمس الدين الشناوي ثم نقله الشمس الشناوي من محلة أبي الهيتم إلى مقام سيدي أحمد البدوي بطنطا فقرأ هناك مبادئ العلوم وحفظ القرآن ثم نقله في سنة ٩٢٤ إلى كعبة العلوم الجامع الأزهر فأخذ عن علماء مصر وقتئذ.

شيوخه في العلم والرواية:

أخذ العلم وروى عن أجلّة العلماء منهم الشهاب الرملي والشمس اللقاني والشمس السمهودي والشمس المشهدي وعن الطبلاوي

---

(١) نسبة لبني سعد كما في النور السافر.

والشهاب بن النجار الحنبلي والشهاب بن الصائغ وروى عن القاضي زكريا والمعمر الزين عبد الحق السنباطي والأمين الغمري تلميذ ابن حجر العسقلاني، وروى عن السيوطي وأبي الحسين البكري - وله معجم وسط ومعجم صغير لمشايخه وإجازاتهم له والكتب التي رواها عنهم والوسط موجود بدار الكتب المصرية ومن بين هذه الشموس ومن مدرسة هؤلاء الفحول تخرج ونضج العلامة ابن حجر في علوم كثيرة في الفقه والأصول والحديث والتفسير والكلام والتصوُّف والفرائض والنحو والصرف والمعاني والمنطق والحساب وساعده على التحصيل والإتقان موهبته في الحفظ فإنَّه كان حافظاً وكان من محفوظاته المنهاج الفرعي حتى إن نبوغه كان مبكراً فأذن له شيوخه في الإفتاء والتدريس وعمره دون العشرين.

وكان رحمه الله متقللاً من الدنيا آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر شأن السلف الصالح. قدم مكة حاجاً سنة ٩٣٣ فحج وجاور بها ثم عاد إلى مصر ثم حج ثانية بعياله سنة ٩٣٧ ثم انتقل إلى مكة للإقامة بها سنة ٩٤٠ وكان فيها أماماً للحرمين يُدرِّس ويفتي ويؤلِّف. وذكر الشوكاني(١) في سبب انتقاله إلى مكة أنه اختصر الروض للمقري وشرع في شرحه فأخذه بعض الحُسَّاد وفتَّتهُ وأعدمه فعظم عليه الأمر واشتدَّ حزنه فانتقل بسبب ذلك إلى مكة اهـ.

---

(١) البدر الطالع.

ومؤلفاته في مصر ومكة كثيرة نافعة محررة تدور على كتب الفقه منها فتاوى الشافعية في الحجاز واليمن ومصر وغيرها ـ وكان كعبة العلماء يقصدونه للاغتراف من بحره الزخَّار الصافي والاقتطاف من روضه الناضر ولقد صدق فيه قول الشهاب الخفاجي[1] إنه علاَّمة الدهر خصوصاً الحجاز. فكم حجَّت وفود الفضلاء لكعبته. وتوجَّهت وجوه الطلب إلى قبلته. إن حدث عن الفقه والحديث. لم تتقرط الآذان بمثل أخباره في القديم والحديث. وقد ذكر الخفاجي أن له ابناً اسمه محمد وكنيته أبو الخير يروي عنه بعض اليمنيين.

وللمحدث ابن حجر ترجمة في النور السافر للعيدروس وريحانة الألباء للخفاجي وشذرات الذهب لأبي الفلاح ابن العماد والبدر الطالع للشوكاني وتاج العروس لمرتضى الزبيدي وفهرس الفهارس للكتاني وفي فهارس المحدثين ومشيختهم وأثباتهم ومعاجمهم. توفي رحمه الله في رجب من سنة ٩٧٣ كما في الشذرات والبدر الطالع وفي سنة ٩٧٤ كما في المشرع الروي وتاج العروس للزبيدي وفي سنة ٩٦٤ كما في فهرست الدمني الكبير وفي سنة ٩٩٥ عند المحبي[2] والصحيح أنه توفي سنة ٩٧٤ والقطع بأن تاريخ الدمنتي والمحبي لوفاته خطأ كما ذكره الكتاني[3] واختاره.

---

(١) ريحانة الألباء.

(٢) فهرس الفهارس.

(٣) خلاصة الأثر في ترجمة عبد العزيز الزمزمي المكي.

وكانت وفاته بمكة ودفن بالمعلاة في تربة الطبريين روح الله روحه، وأفسح ضريحه، قدس سره، وأنار رمسه، وأدخله الجنة في عليين، مع الأنبياء والشهداء والصديقين.

الباب الثامن

في خلافة علي كرم الله وجهه

(ولنقدم عليها قصة قتل عثمان رضي الله عنه لما أنها مترتبة على قتله بمبايعة أهل الحل والعقد له حينئذ كما يأتي).

(أخرج) ابن سعد عن الزهري قال: ولي عثمان اثنتي عشرة سنة فلم ينقم عليه الناس عدة ست سنين، بل كان أحب إلى قريش من عمر لأن عمر كان شديداً عليهم فلما وليهم عثمان لان لهم ووصلهم ثم توانى في أمرهم واستعمل أقاربه وأهل بيته في الست الأواخر وأعطاهم المال متأولاً في ذلك الصلة التي أمر الله بها[1]. وقال إن أبا

---

(١) أمر الله بصلة الرحم من مال الرجل الخالص الملكية وليس من بيت مال المسلمين الذي هو ملك المسلمين قاطبة وليس خاصة أقرباء الخليفة، والأصح هو عمل الخليفتين الراشدين(رض) فهو الأصوب في حمل الأمانة. وقصة عقيل بن أبي طالب مع أخيه أمير المؤمنين عليه السلام مشهورة وهي باختصار: قال عقيل رضي الله عنه فيما ذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، ج١١م ص٢٥٣-٢٥٤، قال: «أقويت وأصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تند صفاته، فجمعت صبياني وجئته بهم، والبؤس والضرّ ظاهران عليهم، فقال: ائتني عشية لأدفع إليك شيئاً، فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحي، ثم قال: ألا فدونك، فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنها صرّة، فوضعت يدي على حديدة تلتهب ناراً، فلما قبضتها نبذتها، وخرت كما يخور الثور تحت يد

بكر وعمر تركا من ذلك ما كان لهما وإني أخذته فقسمته في أقربائي فأنكر عليه ذلك.

جازره فقال لي: ثكلتك أمك! هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك وبي غداً إن سلكنا في سلاسل جهنم؟ ثم قرأ ﴿إذْ الأغلال في أعناقهم يسحبون﴾ (سورة غافر، الآية: ٧١)، ثم قال: ليس لك عندي فوق حقك الذي فرضه لك إلا ما ترى فانصرف إلى أهلك. إنها عظمة رجل المساواة والحق والعدالة حيث يساوي بين أخيه عقيل، وبين غيره من طبقات الشعب، وهي عظمة الافتخار والمآثر الطيبة. وهلمَّ معي إلى مواقف الفخار والكرامة، والعدل عند علي عليه السلام، فقد جاء في كتاب الدرجات الرفيعة للسيد علي خان، ص ١٥٩ وما بعدها قال: لقد عنّف أمير المؤمنين علي عليه السلام ولده الحسين ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأوشك أن يحذفه بالدرَّة لأنه عليه السلام أخذ مقسمه من زق عسل جاءهم من اليمن قبل غيره لضيف نزل به لولا أن يقسم على أبيه بحق عمه جعفر عليه السلام وكان عليه السلام إذا سئل بحق جعفر سكن، وقال له: ما حملك على أن أخذت منه قبل القسمة فقال عليه السلام: إن لنا فيه حقاً قال: فداك أبوك وإن كان لك فيه حق فليس لك أن تنتفع بحقك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم أما لولا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل ثنيتك لأوجعنك ضرباً ثم دفع على قنبر درهماً كان مصروراً في ردائه وقال: اشتر به خير عسل تقدر عليه وجعل يبكي ويقول: اللهم اغفر للحسين فإنه لم يعلم.

وهلمّ معي إلى رجل اجتمعت فيه كمالات النفس البشرية يقيس الأمور بمقياس الحق والقسطاس المستقيم. قال صاحب الدرجات الرفيعة: واستعارت بنت أمير المؤمنين علي عليه السلام عقد لؤلؤ تتجمل به في يوم الأضحى من علي بن أبي رافع خازن بيت مال أمير المؤمنين عليه السلام فلما رآه عليها عرفه وأمرها برده ثم قال: ويل لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عارية مردودة مضمونة، لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها في سرقة، ثم وبّخ ابن أبي رافع وتوعده بالعقوبة إن هو عاد إلى مثله. قال المصنف: فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله، ولا راقبها في حدود الله. السلام عليك يا علي يوم ولدت ويوم تموت ويوم تبعث حياً. (المحقق).

(وأخرج) ابن عساكر عم الزهري قال: قلت لابن المسيب هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان ما كان شأن الناس وشأنه؟ ولِمَ خذله أصحاب محمدﷺ؟ فقال ابن المسيب قتل عثمان مظلوماً ومن قتله كان ظالماً ومن خذله كان معذوراً فقلت: كيف، قال لأنه لما ولي كره ولايته نفر من الصحابة لأنه كان يحب قومه فكان كثيراً ما يولي بني أمية ممن لم يكن له صحبة فكان يجيء من أمرائه ما تنكره الصحابة وكان يسْتَعتَب فيهم فلا يعزلهم فلما كان في الست الأواخر استأثر بني عمه فولاهم دون غيرهم وأمرهم بتقوى الله، فولى عبد الله بن أبي سرح مصر فمكث عليها سنين فجاء أهل مصر يشكونه ويتظلمون منه، وقد كان قبل ذلك من عثمان هناة إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر فكانت بنو هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم قد حنقت على عثمان لحال عمار بن ياسر، وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فكتب إليه كتاباً يتهدده فيه فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان فقتله[1] فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل فنزلوا المسجد وشكوا إلى الصحابة في مواقيت الصلاة ما صنع ابن أبي سرح بهم، فقام طلحة بن عبيد الله فكلم عثمان بكلام شديد

---

(١) إنّ ما فعله ابن ابي سرح عامل الخليفة الثالث على مصر وقتله لرسول الخليفة، أقول ما فعله هذا الرجل هو من أفعال الجبابرة والطغاة والظلمة، وكان على الخليفة الضعيف الثالث رحمه الله أن يعزله فوراً حتى لا يجلب على نفسه الويلات وقد فضّل أن يسمع للمدخول في دينه مروان بن الحكم. (المحقق)

وأرسلت عائشة إليه تقول له تقدم إليك أصحاب محمدﷺ وسألوك عزل هذا الرجل فأبيت فهذا قد قتل منهم رجلاً فأنصفهم من عاملك، ودخل عليه علي بن ابي طالب فقال إنما يسألونك رجلاً مكان رجل وقد ادعوا قبله دماً فاعزله عنهم واقض بينهم فإن وجب عليه حق فانصفهم منه فقال لهم اختاروا رجلاً أوليه عليكم مكانه فأشار الناس عليه بمحمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه، وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح، فخرج محمد ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاث من المدينة إذ هم بغلام اسود على بعير يخبط البعير خبطاً كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال أصحاب محمد ما قضيتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال لهم أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر، فقال له رجل منهم هذا عامل مصر قال ليس هذا أريد وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر فبعث في طلبه رجلاً فأخذه وجاء به إليه، فقال له رجل: غلام من أنت فأقبل مرة يقول أنا غلام أمير المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل أنه لعثمان فقال له محمد: إلى من أُرسلت؟ قال إلى عامل مصر قال له: بماذا؟ قال برسالة قال معك كتاب قال لا، ففتشوه فلم يجدوا معه كتاباً وكانت معه إداوة فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه: إذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقرَّ على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء يتظلم إلي منك حتى يأتيك رأيي في ذلك إن شاء

الله تعالى. فلما قرأوا الكتاب فزعوا ورجعوا إلى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه، ودفعوا الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعلياً وسعد ومن كان من أصحاب محمدﷺ ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان. وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود وأبي ذر وعمار حنقاً وغيظاً، وقام أصحاب محمدﷺ فلحقوا بمنازلهم ما منهم أحد إلا وهو مغتم لما قرؤوا الكتاب وحاصر الناس عثمان وأجلب عليه محمد بن أبي بكر بني تيم وغيرهم، فلما رأى ذلك علي بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من الصحابة كلهم بدري، ثم دخل على عثمان ومعه الكتاب والغلام والبعير فقال له أهذا الغلام غلامك؟ قال: نعم، قال: والبعير بعيرك؟ قال: نعم، قال: فأنت كتبت هذا الكتاب، قال: لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لي به قال له علي: فالخاتم خاتمك؟ قال: نعم، قال: فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم بهِ، فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر قط. فعرفوا أنه خط مروان[1] وشكوا في أمر عثمان، وسألوه أن يدفع إليهم مروان فأبى وكان مروان عنده

---

(١) إنَّ مروان وأباه الحكم ملعونان على لسان رسول اللهﷺ وسمَّاه رسول الله الوزغ بن الوزغ، وأما الحكم فقد كان يتجسس على رسول اللهﷺ وهو مع نسائه ويمشي خلفه متهكماً مستهزءاً فنفاه النبيﷺ خارج المدينة وقد رفض الخليفة أبو بكر والخليفة عمر(رض) أن يعيداه إليها ولكن الخليفة الثالث أعاده. (المحقق).

في الدار فخرج أصحاب محمدﷺ من عنده غضاباً وشكوا في أمره وعلموا أن عثمان لا يحلف بباطل إلا أن قوماً قالوا لا يبرأ عثمان من قلوبنا إلا أن يدفع إلينا مروان حتى نبحثه ونعرف حال الكتاب وكيف يأمر بقتل رجلين من اصحاب محمدﷺ بغير حق، فإن يكن عثمان كتبه عزلناه وإن يكن مروان كتبه على لسان عثمان نظرنا ما يكون منا في أمر مروان ولزموا بيوتهم وأبى عثمان أن يخرج إليهم مروان وخشي عليه القتل وحاصر الناس عثمان ومنعوه الماء فأشرف على الناس فقال: أفيكم علي؟ فقالوا: لا، قال أفيكم سعد؟ قالوا: لا، ثم قال: ألا أحد يبلغ علياً فيسقينا ماء؟ فبلغ ذلك علياً فبعث إليه بثلاث قرب مملوءة[1] فما كادت تصل إليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء إليه فبلغ علياً أن عثمان يراد قتله فقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمان فلا، وقال للحسن والحسين اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب عثمان فلا تدعا أحداً يصل إليه. وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من أصحاب محمدﷺ أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه إخراج مروان فلما رأى ذلك محمد بن أبي بكر ورمى الناس عثمان بالسهام حتى خضب الحسن

---

(١) انظر أيها المسلم المؤمن المنصف إلى هذا الصنيع من علي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث أرسل قرب الماء إلى دار الخليفة عثمان حتى لا يموت عطشاً وكيف ردّت بنو أمية وأشياعها على هذا الجميل في كربلاء حيث منعت الماء عن ريحانة رسول اللهﷺ وسيد شباب أهل الجنة والإمام الحق وأهل بيته وأصحابه المكرمين حتى قضى عطشانَ مظلوماً فإلى الله المشتكى.

بالدماء على بابه وأصاب مروان سهم وهو في الدار وخضب محمد بن طلحة وشج قنبر مولى علي فخشي محمد بن أبي بكر أن يغضب بنو هاشم لحال الحسن والحسين فيثيرونها فتنة فأخذ بيد الرجلين فقال لهما: إن جاءت بنو هاشم فرأوا الدم على وجه الحسن[1] كشفوا الناس عن عثمان وبطل ما نريد ولكن مروا بنا حتى نتسور عليه الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد. فتسور محمد وصاحباه من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان ولا يعلم أحد ممن كان معه، لأن كل من كان معه كانوا فوق البيوت ولم يكن معه إلا امرأته، فقال لهما محمد مكانكما فإن معه امرأته، حتى أبدأكما بالدخول فإذا أنا ضبطته فادخلا فتوجآه حتى تقتلاه، فدخل محمد فأخذ بلحيته فقال له عثمان والله لو رآك أبوك لساءه مكانك مني فتراخت يده ودخل الرجلان عليه فتوجآه حتى قتلاه وخرجا هاربين من حيث دخلا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها أحد لما كان في الدار من الجلبة، وصعدت امرأته إلى الناس وقالت إن أمير المؤمنين قد قتل فدخل الناس فوجدوه مذبوحاً، فبلغ الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم للخبر الذي أتاهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقتولاً فاسترجعوا فقال علي لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟

---

(١) انظر وتأمّل ما عشت أراك الدهر عجباً كيف أن الحسن والحسين يدميا ويشج قنبر مولى علي بن أبي طالب عليه السلام في سبيل الدفاع عن الخليفة الثالث، وما صنعه عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد والشمر في الحسين عليه السلام وقتله وعظيم الجرم. (المحقق).

ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وخرج وهو غضبان حتى أتى منزله وجاء الناس يهرعون إليه فقالوا له نبايعك فمد يدك فلا بد من أمير. فقال علي ليس ذلك إليكم إنما ذلك إلى أهل بدر فمن رضي به أهل بدر فهو خليفة، فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى علياً فقالوا ما نرى أحداً أحق بها منك مد يدك نبايعك فبايعوه. وهرب مروان وولده وجاء علي إلى امرأة عثمان فقال لها: من قتل عثمان؟ قالت: لا أدري دخل عليه رجلان لا أعرفهما ومعهما محمد بن أبي بكر وأخبرت علياً والناس بما صنع، فدعا علي محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكرني أبي فقمت عنه وأنا تائب إلى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته. فقالت امرأته صدق ولكنه أدخلهما. قال ابن سعد وكانت مبايعة علي بالخلافة الغد من قتل عثمان بالمدينة فبايعه جميع من كان بها من الصحابة ويقال إن طلحة والزبير بايعا كارهين[1] غير طائعين، ثم خرجا إلى مكة وعائشة رضي الله عنها بها فأخذاها وخرجا[2] إلى البصرة يطلبون بدم عثمان. وبلغ ذلك علياً

---

(١) لقد أجمعت الأمة الإسلامية قاطبة على أنّ بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بيعة صحيحة وأنّ الذين بايعوه أعظم خطراً وأكثر عدداً من الذين بايعوا أبا بكر وعمر، فالكراهة هنا هوى محض وعصبية لآل وشيعة بني أمية، وبني العباس، وشنشنة قرشية ملؤها الحسد والشنآن. (المحقق).

(٢) عجباً لأم المؤمنين السيدة عائشة(رض) كيف تخرج لقتال علي عليه السلام والقرآن أمرها بعدمه، قال الله تعالى: ﴿**وقرن في بيوتكن**﴾ (الأحزاب، آية ٣٣). وفي الحديث

فخرج إلى العراق فلقي بالبصرة طلحة والزبير ومن معهم وهي وقعة الجمل وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وقتل بها طلحة والزبير وبلغ عدد القتلى ثلاثة عشر ألفاً[1]، وقد أقام علي في البصرة خمس عشرة ليلة ثم انصرف إلى الكوفة، ثم خرج عليه معاوية ومن معه بالشام فبلغ علياً فسار فالتقوا بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين ودام القتل بها أياماً. فرفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى ما فيها مكيدة من عمرو بن العاص. وكتبوا بينهم كتاباً أن يوافوا رأس الحول بأذرح[2] فينظروا في أمر الأمة، وافترق الناس ورجع معاوية إلى الشام وعلي إلى الكوفة فخرجت عليه الخوارج من أصحابه ومن كان معه وقالوا لا حكم إلا لله، وعسكروا بحروراء[3] فبعث إليهم ابن عباس فخاصمهم وحجهم، فرجع منهم قوم كثير وثبت قوم وساروا إلى النهروان[4] فسار إليهم علي فقتلهم وقتل منهم ذا الثدية الذي أخبر به النبيﷺ وذلك سنة ثمان وثلاثين، واجتمع الناس بأذرح في شعبان من هذه السنة وحضرها سعد بن أبي وقاص وابن عمر وغيرهما من الصحابة فقدم عمرو أبا موسى الأشعري مكيدة منه، فتكلم فخلع علياً وتكلم عمر فأمر

الصحيح قال لها رسول اللهﷺ «ستحاربين ابن عمي وأنت له ظالمة وستنبحك كلاب الحوأب» أخرجه الحاكم والبيهقي والبزار وأبو نعيم عن ابن عباس.

(١) الله أعلم بما تجيب به السيدة عائشة وطلحة والزبير رب العالمين يوم الحساب عن سفك هذه الدماء. (المحقق).

(٢) أذرح بضم الراء قرية في الشام.

(٣) بلدة بالكوفة.

(٤) بفتح النون وضمها ثلاث قرى بين واسط وبغداد.

معاوية وبايع له وتفرق الناس على هذا، وصار علي في خلاف من أصحابه حتى صار يعض على يديه ويقول أعصى ويطاع معاوية. هذا ملخص تلك الوقائع ولها بسط لا تحتمله هذه العجالة على أن الاختصار في هذا المقام هو اللائق فقد قالﷺ «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[1] وقد أخبرﷺ بوقعة

---

(١) مسألة عدالة الصحابة جميعاً هي مسألة خلافية مفصلية بين المسلمين قديماً وحديثاً وأصحاب الجرح والتعديل، وبالجملة فمن نظر بتأمل وتفحص حال الصحابة بعد وفاة النبيﷺ وسوى بعدها بين الصحابة فهو أعمى أو متعام، فمنهم من علمنا عدالته بحيث يسوغ ترك البحث في أحوالهم، ومن الصحابة نفر ظهر منهم ما يخرج عن العدالة فيجب إخراجه منها كمن شرب الخمر، أمثال الوليد بن عقبة، ومنهم من أسلم خوف السيف كالطلقاء أمثال أبي سفيان ومعاوية ومن معهما، ومن أعظم الطامات في الدين أن يحسب ويترتب عليه أمثال مروان بن الحكم، والوليد بن عقبة وغيرهما من المستهترين والمتهكمين بكل قيم ومثل المكارم، فإن ذلك من الخيانة لدين الله ومخالفة لصريح الآية الكريمة: ﴿**يا أيها الناس إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا**﴾ (الحجرات، آية ٦)، وأما قولهم إن رسول اللهﷺ قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»، فهو حديث باطل لا أصل له، ولا سيما أن في الصحابة من انغمس في الفتنة أو نزل الكتاب بنفاقه، بل إن بعض الصحابة من كفَّر بعضهم بعضاً، بتأويل ما! وذهب بعض العلماء إلى أن من قاتل علياًعليه السلام منهم فهو فاسق مردود الرواية، والشهادة على الإمام الحق، وما هي حالهم حينما ظهرت الحروب بينهم والخصومات التي أدت إلى سفك الدماء وموت وقتل الآلاف من الناس، وقال العجلي في عمر بن سعد ابن أبي وقاص: تابعي ثقة روى عنه الناس، وهو الذي باشر قتل الحسينعليه السلام وقال العجلي كذلك في عمران بن حطان ثقة وهو خارجي مدح ابن ملجم لعنه الله قاتل عليعليه السلام:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضوانا

فكيف بمن سبّ علياً بن أبي طالبعليه السلام مثل بسر بن أرطأة ومعاوية، ويزيد،

الجمل وصفين وقتال عائشة رضي الله عنها والزبير علياً كما أخرجه الحاكم وصححه البيهقي عن أم سلمة قالت: ذكر رسول اللهﷺ خروج أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضي الله عنها فقال انظري يا حميراء أن لا تكوني أنت، ثم التفت إلى علي، فقال إن وليت من أمرها شيئاً فارفق (وأخرج) البزار وابو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً أيتكن صاحبة الجمل الأحمر تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب[1] فيقتل قتلى كثيرة تنجو بعدما كادت لا تنجو (وأخرج) الحاكم وصححه والبيهقي عن أبي الأسود قال شهدت الزبير خرج يريد علياً فقال له علي أنشدك الله، هل سمعت رسول اللهﷺ يقول تقاتله وأنت له ظالم، فمضى الزبير منصرفاً، وفي رواية أبي يعلى والبيهقي فقال الزبير بلى ولكن نسيت.

(تنبيه) علم مما مر أن الحقيق بالخلافة بعد الأئمة الثلاثة هو

ومروان، والوليد الفاسق. وروى البخاري عن أبي هريرة عن النبيﷺ قال: «بينا أنا قائم فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلم، قلت أين؟ قال: إلى النار والله قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم». وقد جاء في خطبة حجة الوداع عن النبيﷺ قوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». وعن أم سلمة «إن من أصحابي من لا يراني بعد أن أموت أبداً» وروى مسلم: «ليردن عليّ ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا من دوني فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك». المحقق.

(١) موضع بالبصرة بوزن كوكب.

الإمام المرتضى والولي المجتبى علي بن أبي طالب باتفاق أهل الحل والعقد عليه كطلحة والزبير وأبي موسى وابن عباس وخزيمة بن ثابت وأبي الهيثم بن التيهان ومحمد بن سلمة وعمار بن ياسر. وفي شرح المقاصد عن بعض المتكلمين أن الإجماع انعقد على ذلك، ووجه انعقاده في زمن الشورى، على أنها له أو لعثمان وهذا إجماع على أنه لولا عثمان لكانت لعلي فحين خرج عثمان بقتله من البين علم أنها بقيت لعلي إجماعاً، ومن ثم قال إمام الحرمين ولا اكتراث بقول من قال لا إجماع على إمامة علي[1] فإن الإمامة لم تجحد له وإنما هاجت

---

(١) إنها شنشنة أعرفها من أخزم، وهذا قول ناصبي حاقد. أخرج البخاري في صحيحه أن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب(رض) قال في خطبة له على المنبر: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرّها، ومن المعلوم في التاريخ أن الأنصار خالفت المهاجرين، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف علي والزبير ومن معهما، ومن المعلوم بحكم الضرورة أن أهل البيت عليهم السلام وهم عترة البيت النبوي لم يحضر البيعة منهم أحد، وقد تخلفوا عنها في بيت علي عليه السلام ومعهم سلمان وأبو ذر والمقداد وعمّار والزبير وخزيمة بن ثابت وأبيّ بن كعب وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري والبراء بن عازب وخالد بن سعيد بن العاص الأموي. وكيف يتحقق إجماعٌ ليس فيه آل محمد وهم بمثابة الرأس من الجسد، والعينين من الوجه وهم ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسفينة النجاة، وأمانة الأمة من الضلال في الدين وأعلام الهداية. راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١ ص ١٢٣ ـ بيروت، والملل والنحل للشهرستاني الشافعي، ج١ ص ٢٤٠، دار المعرفة ـ مصر. وصحيح البخاري، كتاب المغازي ـ غزوة خيبر، ج٥ ص ٨٢، دار الفكر، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير، ج٥ ص ١٥٢، ط/ محمد علي صبيح، والإمامة والسياسة لابن قتيبة، ج١ ص ١١-١٣، ط/ مصطفى محمد بمصر، ومروج الذهب، ج٢ ص ٣٠٢،

الفتنة لأمور أخرى.

وتاريخ الطبري، ج٣ ص ٢٠٨، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٢ ص٣٢٧ و٣٣١ن وغير ذلك كثير. وقد ذكر ابن قتيبة ص ١٦ من كتابه «الإمامة والسياسة» أن العباس عم النبيﷺ احتج على أبي بكر(رض) فقال له في كلام دار بينهما: «فإن كنت برسول الله طلبت، فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن منهم متقدمون فيهم، وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين فما وجب إذ كنا كارهين».

وفي شرح النهج ص ٣١١، المجلد الرابع: أن أبا بكر(رض) حاجّ الأنصار في السقيفة فقال: نحن عترة رسول اللهﷺ وبيضته التي تفقأت عنه فلما بويع، احتج إلى الناس بالبيعة، وأنها صدرت عن أهل الحل والعقد فقال عليعليه السلام: أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول اللهﷺ ومن قومه، فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد فكيف يثبت» انتهى. وفي نهج البلاغة: ومن كتاب لهعليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان: «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يردّ، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه فإن أبى قاتلوه على إتباعه غير سبيل المؤمنين وولاّه الله ما تولى. (المحقق).

الباب التاسع

(في مآثره وفضائله ونبذ من أحواله وفيه فصول)

الفصل الأول

في إسلامه وهجرته وغيرهما

أسلم وهو ابن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك قديماً، بل قال ابن عباس وأنس وزيد بن أرقم وسلمان الفارسي وجماعة أنه أول من أسلم ونقل بعضهم الإجماع عليه ومر الجمع بين هذا الإجماع. والإجماع على أن أبا بكر أول من أسلم[1]، ونقل أبو يعلى عنه قال: بعث رسول الله ﷺ يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء

---

(١) مسألة فيها نظر، فإن هذا الإجماع غير صحيح، ففي كتاب «أسباب النزول» للإمام الواحدي في تفسير قوله تعالى: ﴿**أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ (التوبة، آية ١٩) أنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام حينما قال العباس عم النبي ﷺ أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة بن شيبة أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه وإليّ ثيابه فقال علي: ما أدري ما تقولان.. لقد آمنت وصليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد، راجع تفسير الطبري والرازي وابن كثير. (المحقق).

(وأخرج) ابن سعد عن الحسن بن زيد قال لم يعبد الأوثان قط لصغره، أي ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه وألحق به الصديق في ذلك، لما قيل أنه لم يعبد صنماً قط، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول اللهﷺ بالمؤاخاة وصهره على فاطمة سيدة نساء العالمين وأحد السابقين إلى الإسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول اللهﷺ وعرض عليه أبو الأسود الدؤلي وأبو عبد الرحمن السلمي وعبد الرحمن بن أبي ليلى ولما هاجر النبيﷺ إلى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة أياماً حتى يؤدي أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبيﷺ ثم يلحقه بأهله ففعل ذلك.

وشهد مع النبيﷺ سائر المشاهد إلا تبوك فإنهﷺ استخلفه على المدينة وقال له حينئذ «أنت مني بمنزلة هرون من موسى» كما مر، وله في جميع المشاهد الآثار المشهورة وأصابه يوم أحد ست عشرة ضربة وأعطاه النبيﷺ اللواء في مواطن كثيرة سيما يوم خيبر، وأخبرﷺ أن الفتح يكون على يده كما في الصحيحين وحمل يومئذ باب حصنها على ظهره حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها، وأنهم جروه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلاً وفي رواية أنه تناول باباً من الحصن ـ حصن خيبر ـ فتترس به عن نفسه فلم يزل يقاتل وهو في يده حتى فتح الله عليه ثم ألقاه فأراد ثمانية أن يلقوه فما استطاعوا.

الفصل الثاني

في فضائله رضي الله عنه وكرم الله وجهه

وهي كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد: ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي، وقال اسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في علي[1] وقال بعض المتأخرين من ذرية أهل البيت النبوي وسبب ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه على ما يكون بعده مما ابتلى به علي[2] وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة، فاقتضى

---

(١) وقال الذهبي في تلخيص الموضوعات لم يرو لأحد من الصحابة في الفضائل أكثر مما روى لعلي رضي الله عنه وهي ثلاثة أقسام صحاح وحسان وقسم ضعاف وفيها كثرة وقسم موضوعات وهي كثيرة إلى الغاية ولعل بعضها ضلال وزندقة انتهى وفي كتاب تنزيه الشريعة المرفوعة. قال الخليل في الارشاد قال بعض الحفاظ تأملت ما وضعه أهل الكوفة في فضائل علي وأهل بيته فزاد على ثلاثمائة ألف والله أعلم.

(٢) قال الحكيم الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض ماذا أقول في رجل أخفى محبوه فضائله خوفاً من القتل، وكتم أعداؤه مناقبه كرهاً وعداوة وظهر من فضائله بين هؤلاء وأولئك ما ملأ الخافقين، وقال شيخ المعتزلة أبو جعفر الإسكافي أن معاوية جعل مالاً كثيراً وسلطنة لنفر من الصحابة كي يضعوا أحاديث كاذبة في علي بن أبي طالب، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، وسُمرة بن جندب وغيرهم كثير. (المحقق).

ذلك نصح الأمة بإشهاره بتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحاً للأمة أيضاً، ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج لعنهم الله بل قالوا بكفره اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحاً للأمة ونصرة للحق.

ثم اعلم أنه سيأتي في فضائل أهل البيت أحاديث مستكثرة من فضائله فلتكن منك على ذكر فإنه مر في كثير من الأحاديث السابقة في فضائل أبي بكر جمل من فضائل عليّ واقتصرت هنا على أربعين حديثاً لأنها من غرر فضائله (الحديث الأول) أخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص وأحمد والبزار عن أبي سعدي الخدري والطبراني عن أسماء بنت عميس وأم سلمة وحبيشي بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة وعلي والبراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ خلف عليّاً بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»، ومر الكلام على هذا الحديث مستوفى في الثاني عشر من الشبه (الحديث الثاني) أخرج الشيخان أيضاً عن سهل بن سعد والطبراني عن ابن عمر وابن أبي ليلى وعمران بن حصين، والبزار عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله

ورسوله»، فبات الناس يـذكرون ـ أي يخوضـون ويتحـدثون ليلـتهم ـ أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهـم يرجـو أن يعطاها فقال أين علي بن أبي طالب فقيل يشتكي عينيه، قـال فأرسـلوا إليه فأتى فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرىء حتى كان كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية. وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنهـا قولها: كانت فاطمة أحب النـاس إلـى رسـول الله ﷺ [1] وزوجهـا علـي أحب الرجال إليه.

(الحديث الثالث) أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قـال: لمـا نزلت هذه الآية: ندع أبناءنا وأبناءكم، دعـا رسـول الله ﷺ عليـاً وفاطمـة وحسناً وحسيناً فقال اللهم هؤلاء أهلي[2].

---

(١) روى المحدثون عن السيدة عائشة أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «عليٌ سيد العـرب». فقالت له: أولست سيد العرب، قـال أنـا سـيد ولـد آدم وعلـي سـيد العـرب، رواه البيهقي وصححه الحاكم. (المحقق).

(٢) جاء في تفسير قوله تعـالى: ﴿**فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم، فقـل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ (آل عمران، آية ٦١). قال الحاكم: وقـد تـواترت الأخبـار في التفاسير عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ أخذ يـوم المباهلـة بيـد علـي وحسن وحسين وجعلوا فاطمة وراءهم ثم قال: «هـؤلاء أبناؤنـا وأنفـسنا ونـساؤنا فهلموا أنفسكم ونساءكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكـاذبين». راجـع صـحيح مسلم كتاب الفضائل، باب فضائل علي بن أبي طالب، ج٢. وصحيح الترمذي، ج٤، ومسند أحمد بن حنبل، ج١، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، والـدر المنثـور للسيوطي، ج٢ وتاريخ الخلفاء للسيوطي، وغير ذلك كثير. (المحقق).

(الحديث الرابع) قالﷺ يوم غدير خم[1] «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» الحديث، وقد مر في حادي عشر الشبه وأنه رواه عن النبيﷺ ثلاثون صحابياً وأن كثيراً من طرقه صحيح أو حسن، ومر الكلام ثم على معناه مستوفى، وروى البيهقي أنه ظهر علي من البعد، فقالﷺ هذا سيد العرب فقالت عائشة، ألست سيد العرب، فقال أنا سيد العالمين وهو سيد العرب، ورواه الحاكم في صحيحه عن ابن عباس بلفظ «أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب». وقال إنه صحيح ولم يخرجاه وله شواهد كلها ضعيفة كما بينه بعض محققي المحدثين. بل جنح الذهبي إلى الحكم على ذلك بالوضع وعلى فرض صحته فسيادته لهم إما من حيث النسب أو نحوه فلا يستلزم أفضليته على الخلفاء الثلاثة قبله لما مر من الأدلة الصريحة في ذلك. (الحديث الخامس) أخرج الترمذي والحاكم وصححه عن بريدة قال قال رسول اللهﷺ «إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم قيل يا رسول الله سمهم لنا، قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثاً وأبو ذر والمقداد وسلمان».

(الحديث السادس) أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة قال قال رسول اللهﷺ: علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي (الحديث السابع) أخرج الترمذي عن ابن عمر آخى النبيﷺ بين أصحابه فجاء علي تدمع عيناه فقال يا رسول الله

---

(١) موضع على ثلاثة أميال بالجحفة بين الحرمين وهو بضم الخاء.

آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقالﷺ «أنت أخي في الدنيا والآخرة». (الحديث الثامن) أخرج مسلم عن علي قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي إليّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق، وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً. (الحديث التاسع) أخرج البزار والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله والطبراني والحاكم والعقيلي في الضعفاء وابن عدي عن ابن عمر والترمذي والحاكم عن علي قال قال رسول اللهﷺ «أنا مدينة العلم وعلي بابها وفي رواية فمن أراد العلم فليأت الباب، وفي أخرى عند الترمذي عن علي أنا دار الحكمة وعلي بابها، وفي أخرى عند ابن عدي علي باب علمي»، وقد اضطرب الناس في هذا الحديث فجماعة على أنه موضوع[1] منهم ابن الجوزي والنووي وناهيك بهما معرفة بالحديث وطرقه حتى قال بعض محققي المحدثين لم يأت بعد النووي من يدانيه في علم الحديث فضلاً عن أن يساويه. وبالغ الحاكم على عادته وقال إن الحديث صحيح وصوب بعض محققي المتأخرين المطلعين على الحديث أنه

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، وأخرجه الحاكم في مناقب علي، ص ٢٢٦ من الجزء الثالث من صحيحه المستدرك بسند صحيح عن ابن عباس، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري وأخرجه الترمذي في صحيحه، وقال ابن جرير هذا خبر عندنا صحيح، ونقله عن الترمذي جلال الدين السيوطي في الجامع الصغير، ولا عبرة في طعن النواصب في الحديث فهو تحكم ولم يأتوا بحجّة في بطلانه كما صرح به الحافظ صلاح الدين العلائي إلا الوقاحة والتعصب. (المحقق).

حديث حسن ومر الكلام عليه[1]. (الحديث العاشر) أخرج الحاكم وصححه عن علي قال بعثني رسول اللهﷺ إلى اليمن فقلت يا رسول الله بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم ولا أدري ما القضاء فضرب صدري بيده ثم قال: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين، قيل وسبب قولهﷺ أقضاكم علي السابق في أحاديث أبي بكر أن رسول اللهﷺ كان جالساً مع جماعة من أصحابه فجاء خصمان، فقال أحدهما يا رسول الله إن لي حماراً وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حماري فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم، فقالﷺ اقض بينهما يا علي، فقال علي لهما أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدود والآخر مرسل؟ فقالا: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها، فقال على صاحب البقرة ضمان الحمار فأقر رسول اللهﷺ حكمه وأمضى قضاءه. (الحديث الحادي عشر) أخرج ابن سعد عن علي أنه قيل له: ما لك أكثر اصحاب رسول اللهﷺ حديثاً، قال: إني كنت إذا سألته أنبأني وإذا سكت ابتدأني. (الحديث الثاني عشر) أخرج الطبراني في الأوسط بسند ضعيف عن جابر بن عبد الله قال قال رسول اللهﷺ «الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة». (الحديث الثالث عشر) أخرج البزار عن سعد

(١) قال السيوطي هذا حديث حسن على الصواب لا صحيح كما قال الحاكم ولا موضوع كما قال جماعة منهم ابن الجوزي والنووي، وقد بينت حاله في التعقبات على الموضوعات.

قال قال رسول الله ﷺ لعلي: «لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك»[1]. (الحديث الرابع عشر) أخرج الطبراني والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت كان رسول الله ﷺ إذا غضب لم يجترئ أحد أن يكلمه إلا علي. (الحديث الخامس عشر) أخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «النظر إلى علي عبادة»، إسناده حسن. (الحديث السادس عشر) أخرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص، قال قال رسول الله ﷺ: «من آذى علياً فقد آذاني». (الحديث السابع عشر) أخرج الطبراني بسند حسن عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ قال: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله». (الحديث الثامن عشر) أخرج أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سب علياً فقد سبني». (الحديث التاسع عشر) أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «إنك تقاتل على تأويل القرآن كما

---

(١) أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري(رض)، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن زيد بن أرقم(رض)، وأخرجه صاحب المناقب عن أسماء بنت عميس، وأخرجه ابن المغازلي عن حذيفة بن أسيد الغفاري، وسعد بن أبي وقاص، وعن البرّاء بن عازب، وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وأخرجه الحمويني عن ابن مسعود، وعن بريدة السلمي، وعن أم سلمة(رض)، وأخرجه محمد بن اسحاق المطلبي صاحب المغازي عن سعد بن أبي وقاص، وعن عامر الشعبي رضي الله عنهما. (المحقق).

قاتلت على تنزيله». (الحديث العشرون) أخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إن فيك مثلاً من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذي ليس به»، «ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان محب مفرط يقرظني لما ليس فيَّ ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني». (الحديث الحادي والعشرون) أخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض». (الحديث الثاني والعشرون) أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر أن النبي ﷺ قال لعلي: «أشقى الناس رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذه يعني قرنه حتى يبل منه هذه يعني لحيته»، وقد ورد ذلك من حديث علي وصهيب وجابر بن سمرة وغيرهم.

(أخرج) أبو يعلى عن عائشة، قالت رأيت النبي ﷺ التزم علياً وقبله وهو يقول «بأبي الوحيد الشهيد» وروى الطبراني وأبو يعلى بسند رجاله ثقات إلا واحداً منهم فإنه موثق أيضاً أنه ﷺ قال له يوماً «مَن أشقى الأولين؟ قال الذي عقر الناقة يا رسول الله، قال صدقت قال: فمن أشقى الآخرين؟ قال: لا علم لي يا رسول الله قال: الذي يضربك على هذه وأشار ﷺ إلى يافوخه» فكان علي رضي الله عنه يقول لأهل العراق أي عند تضجره منهم وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من هذه ووضع يده على مقدم رأسه وصح أيضاً أن ابن

سلام قال له: لا تقدم العراق فإني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف. فقال علي: وأيم الله لقد أخبرني به رسول اللهﷺ قال أبو الأسود: فما رأيت كاليوم قط محارباً يخبر بذا عن نفسه. (الحديث الثالث والعشرون) أخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري قال: اشتكى الناس علياً فقام رسول اللهﷺ فينا خطيباً فقال: «لا تشكوا علياً فوالله إنه لأخيشن في ذات الله أو في سبيل الله». (الحديث الرابع والعشرون) أخرج أحمد والضياء عن زيد بن أرقم أن رسول اللهﷺ قال: «إني أمرت بسد هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أمرت بشيء فاتبعته» ولا يشكل هذا الحديث بما مر في أحاديث خلافة أبي بكر من أمرهﷺ بسد الخوخ جميعها إلا خوخة أبي بكر لأن ذلك فيه التصريح بأن أمره بالسد كان في مرض موته وهذا ليس فيه ذلك فيحمل هذا على أمر متقدم على المرض فلأجل ذلك اتضح قول العلماء إن ذلك فيه إشارة إلى خلافة أبي بكر على أن ذاك الحديث أصح من هذا وأشهر[1]. (الحديث الخامس

---

(١) جاء في كتاب «ينابيع المودة» للإمام القندوزي الحنفي رحمه الله قال: وفي (المناقب) عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنهما قال: إن النبيﷺ قام خطيباً فقال: «إن رجالاً لا يجدون في أنفسهم شيئاً إن أسكنت علياً في المسجد، وأخرجتهم، والله ما أخرجتهم وأسكنته، بل الله أخرجهم وأسكنه، إن الله عز وجل أوحى إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً، واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة، ثم أمر موسى أن لا يسكن مسجده ولا ينكح فيه ولا يدخله جنب إلا هارون وذريته، وإن علياً مني بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي

والعشرون) أخرج الترمذي والحاكم عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال: «ما تريدون من علي، ما تريدون من علي، ما تريدون من علي، إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي» ومر الكلام في حادي عشر الشبه على هذا الحديث وبيان معناه وما فيه. (الحديث السادس والعشرون) أخرج الطبراني عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي». (الحديث السابع والعشرون) أخرج الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إن الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب». (الحديث الثامن والعشرون) أخرج الديلمي عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «خير إخوتي علي وخير أعمامي حمزة». (الحديث التاسع والعشرون) أخرج الديلمي أيضاً عن عائشة والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب». (الحديث الثلاثون) أخرج ابن النجار عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «الصديقون ثلاثة حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب». (الحديث الحادي والثلاثون) أخرج أبو نعيم وابن عساكر عن أبي ليلى أن رسول الله ﷺ قال: «الصديقون ثلاثة حبيب النجار مؤمن آل يس ﴿**قال يا قوم اتبعوا**

ولا يحل لأحد أن ينكح فيه النساء إلا عليّ وذريته، فمن ساءه فها هنا، وأشار بيده إلى الشام». المحقق.

المرسلين﴾[1] وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي **﴿قال أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله﴾**[2] وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم». (الحديث الثاني والثلاثون) أخرج الخطيب عن أنس أن النبيﷺ قال: «عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب»[3]. (الحديث الثالث والثلاثون) أخرج الحاكم عن جابر أن النبيﷺ قال: «علي إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله». (الحديث الرابع والثلاثون) أخرج الدارقطني في الأفراد عن ابن عباس أن النبيﷺ قال: «علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً». (الحديث الخامس والثلاثون) أخرج الخطيب عن البراء والديلمي عن ابن عباس أن النبيﷺ قال: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني». (الحديث السادس والثلاثون) أخرج البيهقي والديلمي عن أنس أن النبيﷺ قال: «علي يزهو في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا». (الحديث السابع والثلاثون) أخرج ابن عدي عن علي أن النبيﷺ قال: «علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين»[4]. (الحديث الثامن والثلاثون)

---

(١) سورة يس، آية ٢٠.

(٢) سورة غافر، آية ٢٨.

(٣) الحديث من طريق أحمد بن محمد بن جوري العكبري قال ابن الجوزي في الواهيات لا أصل له وقال الذهبي فيه إنه باطل وسنده مظلم كما في تنزيه الشريعة.

(٤) وروى مثله العقيلي مطولاً وفي روايته ابن داهر وليست الآفة منه كما قال ابن حجر ولكن الآفة من غيره وجاء من حديث أبي ليلى الغفاري أخرجه أبو أحمد الحاكم في الكنى وفيه إسحق بن بشر الكاهلي معدود في الوضاعين كما ذكره الدارقطني.

أخرج البزار عن أنس أن النبيﷺ قال: «عليٌّ يقضي ديني». (الحديث التاسع والثلاثون) أخرج الترمذي والحاكم أن النبيﷺ قال: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة علي وعمار وسلمان». (الحديث الأربعون) أخرج الشيخان عن سهل أن النبيﷺ «وجد علياً مضطجعاً في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبيﷺ يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب»[1]. فلذلك كانت هذه الكنية أحب الكنى إليه لأنهﷺ كناه بها ومر أن النبيﷺ قال: «أربعة لا يجتمع حبهم في قلب منافق ولا يحبهم إلا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلي». وأخرج النسائي والحاكم عن علي أن النبيﷺ قال: «إن كل نبي أعطي سبعة نجباء رفقاء وأعطيت أنا أربعة عشر، علي والحسن والحسين وجعفر وحمزة وأبو بكر وعمر»، الحديث. وأخرج ابن المظفر وابن أبي الدنيا عن أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول اللهﷺ في مرضه الذي توفي فيه ونحن في صلاة الغداة فقال: «إني تركت فيكم كتاب الله عز وجل وسنتي فاستنطقوا القرآن بسنتي فإنه لن تعمى أبصاركم ولن تزل

---

(١) جاء في كتاب «الباقيات الصالحات» للمرحوم عبد الباقي العمري الموصلي قوله رحمه الله:

يا أبا الأوصياء أنت لطه ... صهره وابن عمّه وأخوه
إنَّ لله في معانيك سرّاً ... أكثر العالمين ما عرفوه
أنت ثاني الآباء في منتهى الدور ... وآباؤه تعدُّ بنوه
خلق الله آدم من تراب فهو ... ابن له وأنت يا عليٌّ أبوه.

(المحقق)

أقدامكم ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما ثم قال: أوصيكم بهذين خيراً وأشار إلى علي والعباس، لا يكف عنهما أحد ولا يحفظهما علي إلا أعطاه الله نوراً حتى يرد به علي يوم القيامة».

(وأخرج) ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن عوف قال: لمّا فتح رسول الله ﷺ مكة انصرف إلى الطائف فحصرها سبع عشرة ليلة أو تسع عشرة ليلة ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أوصيكم بعترتي خيراً وإن موعدكم الحوض والذي نفسي بيده لتقيمن الصلاة ولتؤتن الزكاة أو لأبعثن إليكم رجلاً مني أو كنفسي يضرب أعناقكم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه ثم قال: هو هذا». وفيه رجل اختلف في تضعيفه وبقية رجاله ثقات. وفي رواية أنه ﷺ قال في مرض موته: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم إلا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي[1]، ثم أخذ بيد علي فرفعها فقال: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترفان حتى يردا علي الحوض فاسألهما ما خلفت فيهما».

---

(١) جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل(رض) عن أبي سعيد الخدري (رض) قال: قال رسول الله ﷺ: «إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، أما الأكبر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي الا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». ورواه المغازلي الشافعي عن زيد بن أرقم، والثعلبي في تفسيره عن أبي سعيد الخدري(رض) وأخرجه الترمذي رحمه الله عن زيد بن أرقم(رض). (المحقق).

(وأخرج) أحمد في المناقب عن علي قال طلبني النبيﷺ في حائط فضربني برجله وقال: «قم فوالله لأرضيك أنت أخي وأبو ولدي فقاتل على سنتي، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت». (وأخرج) الدارقطني أن علياً قال للستة الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: أنشدكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول اللهﷺ «يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة» غيري قالوا اللهم لا. ومعناه ما رواه عنترة عن علي الرضا أنه صلىﷺ قال له: «أنت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك»، وروى ابن السماك أن أبا بكر قال له رضي الله عنهما سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز».

(وأخرج) البخاري عن علي رضي الله عنه أنه قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس وفيهم نزلت هذه الآية ﴿**هذان خصمان اختصموا في ربهم**﴾[1] قال هم الذين بارزوا يوم بدر، علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة.

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٩.

الفصل الثالث
في ثناء الصحابة والسلف عليه

(أخرج) ابن سعد عن أبي هريرة: قال قال عمر بن الخطاب: علي أقضانا. (وأخرج) الحاكم عن ابن مسعود قال: أقضى أهل المدينة علي. (وأخرج) ابن سعد عن ابن عباس قال: إذا حدثنا ثقة عن علي الفتيا لا نعدوها، أي لا نتجاوزها. (وأخرج) عن سعيد بن المسيب قال عمر بن الخطاب: نعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن. يعني علياً. وأخرج عنه قال: لم يكن أحد من الصحابة يقول سلوني إلا علي[1]. (وأخرج) ابن عساكر عن ابن مسعود قال: أفرض أهل المدينة وأقضاها علي، وذكر عند عائشة فقالت: إنه أعلم من بقي بالسنة. وقال مسروق: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ إلى عمر وعلي وابن مسعود. وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان القدم في الإسلام والصهر برسول الله ﷺ والفقه في السنة والنجدة

---

(١) جاء في نهج البلاغة خطبة ١٧٣ قول علي عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها وتذهب بأحلام قومها». وعن الكلبي قال ابن عباس: «علم النبي ﷺ من علم الله، وعلم علي من علم النبي ﷺ وعلمي من علم علي، وما علمي وعلم الصحابة في علم علي إلاّ كقطرة في سبعة أبحر» عن ابن المغازلي عن ابن مسعود(رض) قال: كنت عند النبي ﷺ فسئل عن علم علي فقال: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعشر الباقي». أخرجه علقمة عن ابن مسعود. (المحقق).

في الحرب والجود في المال. (وأخرج) الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله ﴿**يا أيها الذين آمنوا...**﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير. (وأخرج) ابن عساكر عنه، قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي[1]. وأخرج عنه أيضاً قال: نزل في علي ثلاثمائة آية[2]. (وأخرج) أبو يعلى عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطاب: لقد أعطي علي ثلاث خصال لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من حمر النعم فسئل ما هي؟ قال: تزويجه ابنته وسكناه في المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له والراية يوم خيبر. وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه. (وأخرج) أحمد وأبو يعلى بسند صحيح عن علي قال: ما رمدت ولا صرعت منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي وتفل في عيني يوم خيبر حين أعطاني الراية. ولما دخل الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال: والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهي كانت أحوج إليك منك إليها. (وأخرج) السلفي في الطيوريات عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي

---

(١) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس أنه قال: «ما نزل في أحد في كتاب الله ما نزل في علي، وقال مرَّة أخرى: نزل في علي ثلاثمئة آية من كتاب الله عز وجل، وأخرج الطبراني وابن أبي واحد وغيرهما عن ابن عباس أنه قال: «ما أنزل الله: يا أيُّها الذين آمنوا إلا وعلي أميرها وشريفها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد ﷺ في غير مكان من كتابه العزيز، وما ذكر علياً إلاّ بخير. المحقق.

(٢) الأثران ضعيفان لا موضوعان كما في تنزيه الشريعة.

عن علي ومعاوية فقال: اعلم أن علياً كان كثير الأعداء فتش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوه فجاؤا إلى رجل قد حاربه وقاتله فأطروه كيداً منهم له.

الفصل الرابع

في نبذ من كراماته وقضاياه وكلماته الدالة على علو قدره علماً وحكمة وزهداً ومعرفة بالله تعالى

(أخرج) ابن سعد عنه: قال «والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت واين نزلت وعلى من نزلت، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً». (وأخرج) ابن سعد وغيره عن أبي الطفيل قال قال علي: «سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم جبل».

(وأخرج) ابن أبي داود عن محمد بن سيرين قال: لما توفي رسول الله ﷺ أبطأ علي عن بيعة أبي بكر فلقيه أبو بكر فقال: أكرهت إمارتي؟ فقال: لا ولكن آليت لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن فزعموا أنه كتبه على تنزيله. قال محمد بن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب كان فيه العلم. (ومن كراماته الباهرة) أن الشمس[1]

---

(١) أخرجه ابن المغازلي، والحمويني، وموفق بن أحمد الخوارزمي بالإسناد عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها، وفي كتاب «الإرشاد» أخرجه عن السيدة أم سلمة زوج النبي ﷺ وأسماء بنت عميسن وجابر بن عبد الله وأبو سعيد الخدري رضي الله

ردت عليه لما كان رأس النبيﷺ في حجره والوحي ينزل عليه وعلي لم يصلِّ العصر فما سرى عنهﷺ إلا وقد غربت الشمس فقال النبيﷺ: اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعدما غربت. وحديث ردها صححه الطحاوي والقاضي في الشفاء وحسنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره وردوا على جمع قالوا إنه

عنهم. وفي الشفاء، أخرجه الطحاوي في مشكل الحديث عن أسماء بنت عميس(رض) من طريقين وجاء في كتاب «ينابيع المودة» للإمام القندوزي الحنفي رحه الله، عن «المناقب» أخرجه عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقرعليه السلام عن أبيه عن جده الحسينعليه السلام قال: لما رجع أبي من قتال النهروان، سار في أرض بابل، وحضرت صلاة العصر فقال: هذه أرض مخسوفة، قد خسفها الله ثلاثاً، ولا يحلّ لوصي نبي أن يصلي فيها، قال جويرية بن مسهر العبدي، وتبعت بمائة فارس أمير المؤمنينعليه السلام إلى أن قطعنا أرض بابل، والشمس غربت فنزل، وقال لي: آتني بماء فأتيته بماء فتوضأ وقال: يا جويرية! أذن للعصر، فقلت في نفسي: كيف نصلي العصر وقد غربت الشمس؟! فأذنت، وقال لي: أقم، فأقمت، وإذا أنا في الإقامة، تحركت شفتاه، وإذا رجعت الشمس، وصلينا وراءه! فلما فرغنا من الصلاة غابت بسرعة، كأنها سراج وقعت في طشت ماء، واشتبكت النجوم، والتفت إليّ وقال: أذن للمغرب يا ضعيف اليقين.

وأخرج موفق بن أحمد الخوارزمي، بسنده عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: ما تقول في شأن علي بن أبي طالبعليه السلام؟ فقال: رحمه الله، والله هو أحد الثقلين، سبق بالشهادتينن وصلى القبلتينن وبايع البيعتين، وهو أبو السبطين الحسن والحسين ورُدّت عليه الشمس مرتين، فمثله في الأئمة مثل ذي القرنين، وهو مولاي ومولى الثقلين.

(المحقق).

موضوع[1] وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردها في محل المنع بل نقول كما أن ردها خصوصية كذلك إدراك العصر الآن أداء خصوصية وكرامة على أن في ذلك أعني أن الشمس إذا غربت ثم عادت هل يعود الوقت بعودتها ترددا حكيته مع بيان المتجه منه في شرح العباب في أوائل كتاب الصلاة. قال سبط ابن الجوزي: وفي الباب حكاية عجيبة حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق أنهم شاهدوا أبا منصور المظفر بن أزدشير القباوي الواعظ ذكر بعد العصر هذا الحديث ونمقه بألفاظه وذكر فضائل أهل البيت فغطت سحابة الشمس حتى ظن الناس أنها قد غابت فقام على المنبر وأومأ إلى الشمس وأنشدها:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجله
واثني عنانك إن أردت ثناءهم ... أنسيت إذ كان الوقوف لأجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجله

قالوا فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت. (وأخرج) عبد الرزاق عن حجر المرادي قال قال لي علي: كيف بك إذا أمرت أن

---

(١) وللسيوطي جزء في تتبع طرق هذا الحديث كشف اللبس في حديث رد الشمس وختمه بقوله: ومما يشهد لصحة ذلك قول الشافعي رضي الله عنه وغيره: ما أوتي نبي معجزة إلا أوتي نبيناﷺ نظيرها أو أبلغ منها وقد صح أن الشمس حبست ليوشع ليالي قاتل الجبارين فلا بد أن يكون لنبينا نظير ذلك والقول مبسوط في ابن كثير وتنزيه الشريعة.

تلعنني؟ قلت: أوكائن ذلك؟ قال: نعم قلت فكيف أصنع؟ قال: إلعني ولا تبرأ مني. فأمرني محمد بن يوسف أخو الحجاج وكان أميراً من قبل عبد الملك بن مروان على اليمن أن ألعن علياً[1] فقلت إن الأمير

---

(١) ذكر العلاّمة ابن أبي الحديد المعتزلي رحمه الله في: ج١ ص ٣٦١، ط١ بمصر، وج٤ ص ٧٣، ط/ مصر، بتحقيق محمد أبو الفضل أن نفراً من الناس إنحرفوا عن علي عليه السلام وكانوا يضعون الأحاديث في ذمّه منهم: أبو هريرة الدوسي، عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبة، عروة بن الزبير، حريز بن عثمان، سمرة بن جندب، وأن أول من فتح باب اللعن في الإسلام هو الطليق بن الطليق، معاوية بن أبي سفيان فقد جعل لعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على منابر المسلمين من سنن العيدين والجمعة وكان يأمر عماله بذلك. هذا ما ذكره ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ج٤ ص ٣٦٦، لجنة التأليف والنشر، وج٢ ص ٣٠١، ط/ أخرى. وراجع في ذلك صحيح مسلم، ج٢ ص ٣٦٠، صحيح الترمذي، ج٥ ص ٣٠١ و٣٨٨، والمستدرك على الصحيحن للحاكم ج٣ ص ١٠٩، وابن عساكر الشافعي في تاريخ دمشق، من ترجمة الإمام علي بن ابي طالب ج١ ص٢٠٦، ح٢٧١ و٢٧٢، وذكره النسائي الشافعي في «خصائص أمير المؤمنين» ص ٤٨، ط/ الحيدرية، وغيرهم كثير كثير.

وقد جاء في نهج البلاغة ص ١١٨، ط/دار المحجة البيضاء ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. قول علي أمير المؤمنين عليه السلام في صفة اللعن والسبّ قوله: «أما إنه سيظهر عليكم بعدي، رجل رحْب البلعوم، مندحق البطن ـ معاوية بن أبي سفيان ـ يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه. ألا إنه سيأمركم بسبّي والبراءة مني، فأما السبّ فسبّوني، فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني، فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة». وجاء في ص ٤٤٠: أن علياً أمير المؤمنين عليه السلام سمع قوماً من أصحابه يسبُّون أهل الشام أيام حربهم بصفين فقال: «إني أكره لكم أن تكونوا سبَّابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم. وذكرتم حالهم. كان

أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله، فما فطـن لهـا إلا رجـل، أي لأنـه إنما لعن الأمير ولم يلعن علياً، فهذا من كرامات علي وإخباره بالغيب.

ومن كراماته أيضاً أنه حدث بحديث فكذبه رجل فقال لـه: أدعـو عليك إن كنت كاذباً قال: ادع فدعا عليه فلم يبرح حتـى ذهـب بـصره. (وأخرج) ابن المدائني عن مجمع أن علياً كان يكنس بيـت المـال ثـم يصلي فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين.

وجلس رجلان يتغديان مع أحـدهما خمـسة أرغفـة ومـع الآخـر ثلاثة ارغفة فمر بهما ثالث فأجلساه فأكلوا الأرغفة الثمانية على الـسواء ثم طرح لهما الثالث ثمانية دراهم عوضاً عما أكله من طعامهما فتنازعـا فصاحب الخمسة أرغفة يقول إن له خمـسة دراهـم ولـصاحب الثلاثـة ثلاثة وصاحب الثلاثة يدعي أن له أربعة ونـصفاً فاختـصما إلـى علـي، فقال لصاحب الثلاثة: خذ ما رضي به صاحبك وهـو الثلاثـة فـإن ذلـك خير لك فقال لا رضيت إلا بمر الحق، فقال علي: ليس في مر الحـق إلا درهم واحد فسأله عن بيان وجه ذلك فقال علي: أليست الثمانية أرغفـة أربعـة وعـشرين ثلثـاً أكلتموهـا وأنـتم ثلاثـة ولا يعلـم أكثـركم أكـلاً

أصوب في القول، وأبلغ في العذر وقلتم مكان سبّكم إيَّـاهم: اللّهـم احقـن دماءنـا ودماءهم وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتـى يعـرف الحـق مـن جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج بـه». وبـذلك يتبـين لـك أن بنـي أميـة وأشياعهم وليس الجعفرية الإمامية الاثني عـشرية، هـم أول مـن سـنّ سـبّ أهـل البيت× والصحابة. (المحقق).

فتحملون على السواء فأكلت أنت ثمانية أثلاث والذي لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث والذي له خمسة عشر ثلثاً فبقي له سبعة ولك واحد فله سبعة بسبعته ولك واحد بواحدك فقال: رضيت الآن.

وأتي برجل فقيل له زعم هذا أنه احتلم بأمي فقال: اذهب فأقمه في الشمس فاضرب ظله[1].

ومن كلامه: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم. لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً، ما هلك امرؤ عرف قدره. قيمة كل امرئ ما يحسنه. من عرف نفسه فقد عرف ربه. كذا نسب هذا إليه والمشهور أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي. المرء مخبوء تحت لسانه. من عذب لسانه كثر إخوانه. بالبر يستعبد الحر. بشر مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر الذي قال وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع البغي ولا ثناء مع الكبر. لا صحة مع النهم والتخم. لا شرف مع سوء الأدب. لا راحة مع الحسد. لاسؤدد مع الانتقام. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة للكذوب. لا كرم أعز من التقى. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعيى من الجهل. المرء عدو ما جهله. رحم الله امرءاً عرف قدره، ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكر بالذنب. النصح بين الملأ تقريع. نعمة

---

(١) أثر كنس المسجد أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن المدائني وكذلك الحكاية التي بعده والتي بعدها.

الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر. المسئوول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة. الحكمة ضالة المؤمن. البخل جامع لمساوئ العيوب. إذا حلت المقادير ضلت التدابير. عبد الشهوة أذل من عبد الرق. الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له. كفى بالذنب شفيعاً للمذنب. السعيد من وعظ بغيره. الإحسان يقطع اللسان. أفقر الفقر الحمق. أغنى الغنى العقل. الطامع في وثاق الذل. ليس العجب ممن هلك كيف هلك بل العجب ممن نجا كيف نجا. احذروا نفار النعم فما شارد بمردود. أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع. إذا وصلت إليكم النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر. إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه. ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وعلى صفحات وجهه. البخيل يستعجل الفقر ويعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه. العلم يرفع الوضيع والجهل يضع الرفيع. العلم خير من المال. العلم يحرسك وأنت تحرس المال. العلم حاكم والمال محكوم عليه. قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك، هذا يفتي وينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه. أقل الناس قيمة أقلهم علماً إذ قيمة كل امرىء ما يحسنه. وكلامه رضي الله عنه في هذا الأسلوب البديع كثير تركته خوف الإطالة.

ومن كلامه أيضاً: كونوا في الناس كالنحلة في الطير ليس في الطير شيء إلا وهو يستضعفها ولو يعلم الطير ما في أجوافها من

البركة لم يفعلوا ذلك بها. خالطوا الناس بألسنتكم وأجسادكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن للمرء ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب.

ومنه: كونوا بقبول العمل أشد اهتماماً منكم بالعمل، فإنه لن يقل عمل مع التقوى، وكيف يقل عمل متقبل!!.

ومنه: يا حملة القرآن اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يجلسون حلقاً فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل يغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ويدعه، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله. ومنه: لا يخافن أحد منكم إلا ذنبه ولا يرجون إلا ربه، ولا يستحي من لا يعلم، أن يتعلم ولا يستحي من يعلم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول: الله أعلم. الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

ومنه: الفقيه كل الفقيه من لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره.

ومنه: لا خير في عبادة لا علم فيها ولا خير في علم لا فهم معه ولا خير في قراءة لا تدبر فيها.

ومنه: ما أبردها على كبدي إذا سئلت عما لا أعلم أن أقول: الله أعلم.

ومنه: من أراد أن ينصف الناس من نفسه فليحب لهم ما يحب لنفسه.

ومنه: سبع من الشيطان، شدة الغضب، وشدة العطاس، وشدة التثاؤب، والقيء، والرعاف، والنجوى، والنوم عن الذكر.

ومنه: الحزم سوء الظن، وهو حديث ولفظه «إن من الحزم سوء الظن».

ومنه: التوفيق خير قائد وحسن الخلق خير قرين، والعقل خير صاحب، والأدب خير ميراث، ولا وحشة أشد من العجب.

وقال ـ لمّا سئل عن القدر ـ طريق مظلم لا تسلكه، وبحر عميق لا تلجه، سر الله قد خفي عليك فلا تفشهِ أيُّها السائل، إن الله خلقك كما شاء أو كما شئت؟ قال بل كما شاء، قال: فيستعملك كما شاء.

وقال: إن للنكبات نهايات لا بد لأحد إذا نكب أن ينتهي إليها فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها فإن في رفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها. (وسئل) عن السخاء فقال: ما كان منه ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم، وأثنى عليه عدو له فأطراه، فقال: إني لست كما تقول وأنا فوق ما في نفسك، وقال: جزاء المعصية الوهن في العبادة والضيق في المعيشة والنغص في اللذة، قيل وما النغص؟ قال: لا ينال شهوة حلال إلا جاءه ما ينغصه إياها، وقال له عدوه ثبتك الله، فقال: على صدرك. ولما ضربه ابن ملجم قال للحسن وقد دخل عليه باكياً: يا بني احفظ عني أربعاً واربعاً، قال: وما هن يا أبت؟ قال: إن أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الكرم حسن الخلق، قال: فالأربع الأخر؟ قال:

إياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يخذلك في أحوج ما تكون إليه وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه. وقال له يهودي متى كان ربنا؟ فتغير وجهه وقال: لم يكن مكان ولا كينونة كان بلا كيف كان ليس له قبل ولا غاية انقطعت الغايات دونه فهو غاية كل غاية، فأسلم اليهودي. وافتقد درعاً وهو بصفّين فوجدها عند يهودي فحاكمه فيها إلى قاضيه شريح وجلس بجنبه وقال: لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس ولكني سمعت رسول اللهﷺ يقول: لا تسوّوا بينهم في المجالس. وفي رواية أصغروهم من حيث أصغرهم الله، ثم ادعى بها فأنكر اليهودي فطلب شريح بينة من علي فأتى بقنبر والحسن فقال له شريح شهادة الابن لأبيه لا تجوز، فقال اليهودي أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه قضى عليه أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله وأن الدرع درعك. (وأخرج) الواقدي عن ابن عباس قال: كان مع علي أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية فنزل فيه ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرُهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[1].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٧٤.

وقال معاوية لضرار بن ضُمرة: صف لي علياً، فقال اعفني فقال: أقسمت عليك بالله فقال: كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلاً ويحكم عدلاً يتفجر العلم من جوانبه وتنطلق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصُر ومن الطعام ما خشُن، وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه، ونحن ـ والله ـ مع تقريبه إيانا وقربه منه ـ لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ـ أي اللديغ ـ ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غرّي غيري ألي أو إلي تشوقّت؟ هيهات هيهات، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك قليل آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق، فبكى معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن كان ـ والله ـ كذلك.

وسبب مفارقة أخيه عقيل له، أنه كان يعطيه كل يوم من الشعير ما يكفي عياله فاشتهى عليه أولاده مريساً فصار يُوفّر كل يوم شيئاً قليلاً حتى أصبح عنده ما اشترى به سمناً وتمراً وصنع لهم فدعوا علياً إليه فلما جاء وقدم له ذلك سأل عنه فقصوا عليه ذلك فقال: أوكان يكفيكم ذاك بعد الذي عزلتم منه؟ قالوا نعم، فنقص مما كان يعطيه مقدار ما كان يعزل كل يوم وقال لا يحل لي أزيد من ذلك، فغضب،

فحمى له حديدة وقربها من خده وهو غافل فتأوه فقال: تجزع من هذه وتعرضني لنار جهنم؟ فقال: لأذهبن إلى من يعطيني تبراً ويطعمني تمراً فلحق بمعاوية.

وقد قال معاوية يوماً لولا علمه بأني خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه. فقال له عقيل أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي وقد آثرت دنياي وأسأل الله خاتمة خير.

وأخرج ابن عساكر أن عقيلاً سأل علياً فقال إني محتاج وإني فقير فأعطني، قال: اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين فأعطيك معهم فألح عليه فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقال له: دق هذه الأقفال وخذ ما في هذه الحوانيت، قال: تريد أن تتخذني سارقاً؟ قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً؟ أن آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم قال[1]: لآتين معاوية، فقال: أنت وذاك، فأتى معاوية فسأله فأعطاه مائة ألف ثم قال اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به علي وما أوليتك، فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إني أخبركم أني أردت علياً على دينه فاختار دينه وإني أردت معاوية على دينه فاختارني على دينه. وقال معاوية لخالد بن معمر: لم أحببت علياً

---

(١) أكثر المحققين من العلماء على أنّ عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه لم يلتحق بمعاوية إلا بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وهذا أجدر بأريحيته وسجاحته. (المحقق).

علينا؟ قال: على ثلاث خصال، على حلمه إذا غضب، وعلى صدقه إذا قال، وعلى عدله إذا حكم. ولما وصل إليه فخر من معاوية قال لغلامه اكتب إليه، ثم أملى عليه:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي ... منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد إبناي منها ... فأيكمو له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً ... غلاماً ما بلغت أوان حلمي

قال البيهقي: إن هذا الشعر مما يجب على كل أحد متوان في علي حفظه ليعلم مفاخره في الإسلام اهـ ومناقب علي وفضائله أكثر ما أن تحصى، ومن كلام الشافعي رضي الله عنه:

إذا نحن فضلنا علياً فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل ابي بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبهما حتى أوسد في الرمل

وقال أيضاً رضي الله عنه:

قالوا ترفَّضتَ قلت كلا ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك ... خير إمام وخير هادي
إن كان حب الولي رفضاً ... فإنني أرفض العباد

وقال أيضاً رضي الله عنه:

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كمتلطم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

قال البيهقي: وإنما قال الشافعي ذلك حين نسبه الخوارج إلى الرفض حسداً وبغياً، وله أيضاً وقد قال المزني إنك رجل توالي أهل البيت، فلو عملت في هذا الباب أبياتاً فقال:

وما زال كتماً منك حتى كأنني ... برد جواب السائلين لأعجم

وأكتم ودي مع صفاء مودتي ... لتسلم من قول الوشاة وأسلم

الفصل الخامس
في وفاته رضي الله عنه

سببها أنه لما طال النزاع بينه وبين معاوية[1] رضي الله عنهما انتدب

---

(١) اعلم رحمك الله أن معاوية أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة، فهو بذلك من الطلقاء، وكان كذلك من المؤلفة قلوبهم الذين كانوا يأخذون ثمناً لإسلامهم، وهو الذي هدم مبدأ الخلافة الرشيدة في الإسلام فلم تقم لها من بعده إلى اليوم قائمة. وعلى كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن إسحاق ابن راهويه، وهو الإمام الكبير، وشيخ البخاري قد قال: إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء، وأخرج ابن الجوزي أيضاً من طريق ابن عبد الله بن أحمد بن حنبل، سألت أبي ما تقول في علي ومعاوية؟ فأطرق ثم قال: إعلم أن علياً كان كثير الأعداء، ففتش له

ثلاثة نفر من الخوارج: عبد الرحمن بن ملجم المرادي، والبرك وعمرو التميميين فاجتمعوا بمكة وتعاهدوا وتعاقدوا ليقتلن هؤلاء الثلاثة: علياً ومعاوية وعمرو بن العاص ويريحوا العباد منهم، فقال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البرك أنا لكم بمعاوية وقال عمرو أنا لكم بعمرو، وتعاهدوا على أن ذلك يكون ليلة حادى عشر أو ليلة سابع عشر رمضان، ثم توجه كل منهم إلى مصر صاحبه. فقدم ابن ملجم الكوفة فلقي اصحابه من الخوارج فكاتمهم ما يريد ووافقه منهم شبيب بن عجرة الأشجعي وغيره، فلما كانت ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين استيقظ علي سحراً وقال لابنه الحسن: رأيت الليلة رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما لقيت من أمتك خيراً، فقال لي ادع الله عليهم فقلت: اللهم أبدلني بهم خيراً لي منهم وأبدلهم بي شراً لهم مني، وأقبل عليه الأوز يصحن في وجهه فطردوهن فقال: دعوهن فإنهن نوائح، ودخل عليه المؤذن فقال الصلاة فخرج على الباب ينادي: أيها الناس الصلاة الصلاة فشد عليه شبيب فضربه بالسيف فوقع سيفه بالباب وضربه ابن ملجم بسيفه فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل دماغه وهرب، فشبيب دخل منزله فدخل عليه رجل من

أعداؤه عيباً فلم يجدوا فعمدوا إلى رجل قد حاربه فأطروه كيداً منهم لعليّ، فأشار بهذا إلى ما اختلقوه لمعاوية من الفضائل مما لا أصل له، وقد ورد في فضائل معاوية أحاديث كثيرة لكن ليس فيها صحيح من طريق الإسناد، وبذلك جزم إسحاق بن راهويه والنسائي، وغيرهما والله أعلم. انتهى كلام ابن حجر، العلامة الحافظ، ص ٨٣ ج٧ من فتح الباري. (المحقق).

بني أمية فقتله. وأما ابن ملجم فشد عليه الناس من كل جانب فلحقه رجل من همدان فطرح عليه قطيفة ثم صرعه، وأخذ السيف منه وجاء به إلى علي فنظر إليه وقال: النفس بالنفس إذا ما مت فاقتلوه كما قتلني وإن سلمت رأيت فيه رأيي، وفي رواية والجروح قصاص. فأمسك وأوثق. وأقام علي الجمعة والسبت وتوفي ليلة الأحد وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية يصب الماء، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص وصلى عليه الحسن وكبّر عليه سبعاً ودفن بدار الإمارة بالكوفة ليلاً أو بالغريّ. موضع يزار الآن أو بين منزله والجامع الأعظم أقوال. ثم قطعت أطراف ابن ملجم وجعل في قوصرة وأحرقوه بالنار، وقيل بل أمر الحسن بضرب عنقه ثم حرقت جيفته أم الهيثم بنت الأسود النخعية وكان علي في شهر رمضان الذي قتل فيه يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر ولا يزيد على ثلاث لقم ويقول: أحب أن ألقى الله وأنا خميص، فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها أكثر الخروج والنظر إلى السماء وجعل يقول: والله ما كذبت ولا كذبت وإنها الليلة التي وعدت فلما خرج وقت السحر ضربه ابن ملجم الضربة الموعود بها، كما قدمنا في أحاديث فضائله وعُمِّي قبر علي لئلا ينبشه الخوارج وقال شريك: نقله ابنه الحسن إلى المدينة[1]. وأخرج ابن

(١) قلت المشهور والمعتمد عند الإمامية الاثني عشرية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام دفن في ارض الغريّ في النجف وأن أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وعدد قليل من أخص أصحابه المعتمد عليهم قد ابتعدوا عن الكوفة في

عساكر أنه لما قتل حملوه ليدفنوه مع رسول اللهﷺ فبينما هم في

جوف الليل قاصدين النجف، وقد أخفوا قبره كما أوصى به. فقد روي في منتخب التواريخ أن الحجّاج بن يوسف نبش في النجف آلاف القبور يفتش عن جثمان علي عليه السلام ولكنه لم يعثر عليه، ولم يزل القبر مخفياً عن الناس لا يعرف به إلا أولاد الإمام، وأخصاء الشيعة إلى أيام هارون الرشيد. قال عبد الله بن حازم: خرجنا يوماً مع الرشيد من الكوفة نتصيد فصرنا إلى ناحية الغريّ، فرأينا ظبيات، فأرسلنا إليها الصقور والكلاب، فحاولتها ساعة، ثم لجأت الظباء إلى الأكمة فسقطت عليها، فسقطت الصقور والكلاب، فتعجب الرشيد من ذلك ثم أن الظباء هبطت من الأكمة فسقطت الصقور والكلاب فرجعت الظباء إلى الأكمة، فتراجعت عنها الكلاب والصقور ففعلت ذلك ثلاثة، فقال هارون: اركضوا فمن لقيتموه آتوني به؟ فأتيناه بشيخ من بني أسد، فقال هارون ما هذه الأكمة؟ قال: إن جعلت لي الأمان أخبرتك! قال: لك عهد الله وميثاقه أن لا أهيجك ولا أوذيك. قال الشيخ: حدَّثني أبي عن أبيه أنهم كانوا يقولون: هذه الأكمة قبر علي بن أبي طالب جعله الله حرماً لا يأوي إليه أحد إلا أمن. فنزل هارون ودعا بماء فتوضأ، وصلى عند الأكمة، وتمرغ عليها، وجعل يبكي، وهو أول من أمر ببناء القبّة على القبر، وهو اليوم ضريح عظيم بديع شاهق يقصده الملايين من السنة والشيعة للزيارة والبركة، وقد ذكر القصة الآنفة الذكر ابن أبي الحديد علاّمة المعتزلة في شرح نهج البلاغة، وهو القائل:

يا برقُ إن جئت الغريّ فقل له ... أتُراك تعلم من بأرضك مودع

فيك ابن عمران الكليم وبعده ... عيسى يقفّيه وأحمد يتبع

بل فيك جبريل وميكال وإسر ... افيل والملأ المقدّس أجمع

بل فيك نور الله جلَّ جلاله ... لذوي البصائر يستشف ويلمع

فيك الإمام المرتضى فيك الوصي ... المجتبى فيك البطين الأنزع

يا قالع الباب الذي عن هزّه ... عجزت أكفّ أربعون وأربع.

(المحقق)

مسيرهم ليلاً إذ ندَّ الجمل الذي عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه فلذلك يقول أهل العراق: هو في السحاب وقال غيره إن البعير وقع في بلاد طيء فأخذوه ودفنوه وكان لعلي حين قتل ثلاث وستون سنة، وقيل اربع وستون، وقيل خمس وستون، وقيل سبع وخمسون وقيل ثمان وخمسون.

وسئل وهو على المنبر بالكوفة عن قوله تعالى: ﴿**رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا**﴾[1] فقال: اللهم غفراً هذه الآية نزلت فيّ وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أحد، وأما أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه وأشار بيده إلى لحيته ورأسه، عهد عهده إلي حبيبي أبو القاسمﷺ، ولما أصيب دعا الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال لهما: أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تبكيا على شيء زوى منها عنكما، وقولا الحق وارحما اليتيم وأعينا الضعيف واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصماً وللمظلوم أنصاراً، واعملا لله ولا تأخذكما في الله لومة لائم. ثم نظر إلى ولده محمد بن الحنفية فقال له: هل حفظت ما أوصيت به أخويك؟ قال: نعم، فقال: أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك لعظم حقهما عليك، ولا تواثق أمراً دونهما، ثم قال أوصيكما به

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

فإنه أخوكما وابن أبيكما وقد علمتما أن أباكما كان يحبه. ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله إلى أن قبض كرم الله وجهه، وروي أن علياً جاءه ابن ملجم يستحمله فحمله ثم قال رضي الله عنه.

أريد حياته ويريد قتلي   عَذيرك من خليلك من مراد

ثم قال: هذا والله قاتلي، فقيل له ألا تقتله؟ فقال: فمن يقتلني؟ وفي المستدرك عن السدي قال: كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها قطام فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل علي وفي ذلك يقول الفرزدق:

فلم أرَ مهراً ساقه ذو سماحة   كمهر قطام بيّناً غير معجم

وفي رواية «من فصيح وأعجم».

ثلاثة آلاف وعبد وقينة   وضرب علي بالحسام المصمم

فلا مهر أعلى من علي وإن علا   ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم[1]

---

(١) وللنسائي كتاب خصائص علي ولأبي عبد الله النزاري في تاريخه «الأنوار العلوية».

الباب العاشر

(في خلافة الحسن وفضائله ومزاياه وكرامته وفي فصول)

الفصل الأول
في خلافته

هو آخر الخلفاء الراشدين بنص[1] جدهﷺ ولي الخلافة بعد قتل أبيه بمبايعة أهل الكوفة فأقام بها ستة أشهر وأياماً، خليفة حق وإمام عدل وصدق تحقيقاً لما أخبر به جده الصادق المصدوقﷺ بقوله: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»، فإن تك الستة الأشهر هي المكملة لتلك الثلاثين، فكانت خلافته منصوصاً عليها وقام عليها إجماع من ذكر، فلا مرية في حقيتها، ولذا ناب معاوية عنه، وأقر له بذلك كما ستعلمه مما

---

(١) لما رواه البزار والبيهقي في الاعتقاد. كما في حضرات التجلي لمحمد صديق خان عن سفينة مولى رسول اللهﷺ مرفوعاً. الخلافة ثلاثون عاماً ثم يكون بعد ذلك الملك. وأخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان، قال سعيد بن جمهان قال لي سفينة أمسك بخلافة أبي بكر وخلافة عمر وخلافة عثمان وخلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة، وذكر السيوطي أنه لم يكن في الثلاثين إلا أيام الخلفاء الأربعة وأيام الحسن وقد أقام في الخلافة نحو ستة أشهر وأياماً وتنازل عنها حقناً للدماء في سنة إحدى وأربعين.

يأتي قريباً في خطبته حيث قال: إن معاوية[1] نازعني حقاً وهو لي دونه، وفي كتاب الصلح والنزول عن الخلافة لمعاوية، وبعد تلك الأشهر الستة سار إلى معاوية في أربعين ألفاً وسار إليه معاوية ولمّا تراءى الجمعان علم الحسن أنه لن يغلب أحد الفئتين حتى يذهب أكثر الأخرى، فكتب إلى معاوية يخبره أنه يصير الأمر إليه على أن تكون له الخلافة من بعده وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضي عنه ديونه، فأجابه معاوية إلى ما طلب إلا عشرة فلم يزل يراجعه حتى بعث إليه برق أبيض، وقال اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه، كذا في كتب السير[2].

---

(١) جاء في كتاب الدمعة الساكبة: ٢٣٨/٢: دسّ معاوية إلى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وإلى حجر بن الحجر، وشبث بن ربعي، دسيساً، أفرد كل واحد بعين من عيونه يقول: إنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مائتا ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي، فبلغ الحسن عليه السلام فاستلأم، ولبس درعاً.. فرماه أحدهم في الصلاة بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللأمّة. انتهى. (المحقق).

(٢) جاء في كتاب «الإرشاد» للشيخ المفيد: «أن معاوية خطب بالنخيلة بعد أن صلى بالناس ضحى النهار وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلُّوا ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتزكُّوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وإني كنت منّيت الحسن بن علي على أشياء وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشيء منها». وجاء في كتاب «الحسن بن علي» الكامل ١٩٦: ووقف معاوية مرة بين رجالات قريش، وقال: إني ما وليتها بمحبّة علمتها منكم، ولا مسرّة بولايتي، لكن جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضيت لكم نفسي

والذي في صحيح البخاري عن الحسن البصري رضي الله عنه قال: استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص لمعاوية إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين من لي بنسائهم من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الرحمن بن عامر،

على عمل ابن أبي قحافة فامتنعت عليّ، وأردتها على عمل عمر فنفرت من ذلك نفاراً شديداً، وأردت على ثنيات عثمان فأبت عليّ، فسلكت بها طريقاً لي ولكم فيه منفعة، مؤاكلة حسنة، ومشاربة جميلة فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم ولاية». ورآه أبو الدرداء ـ صاحب رسول الله ﷺ ـ يقول: يشرب بأواني الذهب والفضة فقال له: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الشارب فيها لتجرجر في جوفه نار جهنم، فقال معاوية: أما أنا فلا أرى بذلك بأساً، فقال أبو الدرداء: من عذيري من معاوية!! أنا أخبره عن رسول الله ﷺ وهو يخبرني عن رأيه، لا أساكنك بأرض أبداً.

وقال الحسن البصري: أربع موبقات في معاوية، الواحدة منها تكفيه خزياً وعاراً: الأولى: قتاله إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو إمام زمانه، والثانية: قتله الصحابي الجليل حجراً بن عدي وأصحابه في مرج عذراء، والثالثة: إدعاؤه أخوة زياد بن أبيه، والنبي ﷺ يقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، والرابعة: توليته على المسلمين ولده الخليع السكير يزيد وهو من أمر بقتل سيد شباب أهل الجنة، ابن رسول الله الإمام الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه في كربلاء، وهو الذي أباح مدينة رسول الله ﷺ في وقعة الحرّة، فقُتل الصحابة وفضت بكارات نساء المسلمين وضرب الكعبة بالمنجنيق، وأباح وهتك الحرمات وولى على المسلمين فراعنة الزمن، وفسقة البلاد، وطغاة العباد، فيا لله وللمسلمين. (المحقق).

فقال اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه، فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا إليه، فقال لهم الحسن بن علي رضي الله عنهما: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عامت في دمائها، قالا له فإنه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك قال: من لي بهذا؟ قالا: نحن لك به فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به فصالحه انتهى. ويمكن الجمع بأن معاوية ارسل إليه فكتب الحسن إليه يطلب ما ذكر ولما تصالحا كتب به الحسن كتاباً لمعاوية صورته: (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية بن أبي سفيان صالحه على أن يسلم إليه ولاية المسلمين على أن يعمل فيها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهداً، بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين وعلى أن الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم وعلى أن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله وميثاقه وأن لا يبتغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله ﷺ غائلة[1]، سراً ولا جهراً، ولا يخيف

---

(١) وصف الشيخ المفيد ﵀ في كتاب «الإرشاد» ص ١٩٣ جيش الإمام الحسن ؑ فقال: «واستنفر الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خفوا، ومعه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكمة يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكاك، وبعضهم أصحاب عصبية اتبعوا

أحداً منهم في أفق من الآفاق أشهد عليه فلان بن فلان وكفى بالله شهيداً).

رؤساء قبائلهم، لا يرجعون إلى دين» انتهى. وجاء في تاريخ اليعقوبي ٢٠٤/٢ قوله: وعسكر الحسن عليه السلام بذلك الجيش المتفتت بالنخيلة، وأرسل طلائعه ـ اثني عشر ألفاً ـ بقيادة عبيد الله بن العباس، وكان هذا القائد جديراً بهذا المنصب، فقد سبق له أن عمل لأمير المؤنين عليه السلام، كما أنه موتور من معاويةن فقد قتل له بسر بن أرطاة في غارته على اليمن طفلين صغيرين، كان هذا وغيره مبرراً لتأميره على الجيش. وأخرج هذا الجيش حتى إذا وصل العيوضة ـ قرب مسكن ـ ووقف قبالة جيش الشام، راسله معاوية وتمت الصفقة بمبلغ ألف ألف درهم، على أن يعجل له نصفها، ونصفها الآخر إذا دخل الكوفة. استهوت الرجل الأموال، فانساب إليه في جنح الظلام، وأصبح الجيش وهم ينتظرون قائدهم ليصلي بهم، وإذا هو في صفوف معاوية، ومنادي أهل الشام: هذا أميركم عندنا قد بايع، وإمامكم الحسن قد صالح فعلامَ تقتلون أنفسكم. ويظهر أن الجيش بعد هذه النكبة أخذ يتحرك نحو معاوية تدريجياً. قال اليعقوبي: سار عبيد الله إلى معاوية في ثمانية آلاف من أصحاب÷. وقال الشيخ في الدمعة الساكبة: ٢٣٨/١: «إن الحسن عليه السلام أرسل جيشاً عداده أربعة ألاف عليهم رجل من كندة، ولمّا عسكر بالأنبار أرسل إليه معاوية خمسمائة ألف درهم، فخفّ إلى معاوية في مائة من خاصته، ثم إنه عليه السلام أرسل جيشاً بقيادة رجل من مراد، وصنع معاوية ما صنع بصاحبهم، فترك المرادي جيشه والتحق بمعاوية».

وجاء في كتاب «أئمتنا» لعلي محمد دخيل، ج١ ص١٥٦، وفي كتاب «حياة الإمام الحسن للقرشي ٢٣٠/٢، وفي بحار الأنوار للمجلسي ١٠١/١٠، أن الإمام الحسن عليه السلام قال لمالك بن ضمرة لما عاتبه على الصلح: إني خشيت أن يجتث المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناعي. ويجيب سفيان بن يا ليل لما قال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين فيقول عليه السلام: ما أذللتهم ولكن كرهت أن أفنيهم وأستأصل شأفتهم. ويقول لأبي سعيد: ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قُتل. (المحقق).

ولما انبرم الصلح التمس معاوية من الحسن أن يتكلم بجمع من الناس ويعلمهم أنه قد بايع معاوية وسلم إليه الأمر فأجابه إلى ذلك فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمدﷺ وقال: أيها الناس إن أكيس الكيس التقى وأحمق الحمق الفجور إلى أن قال: وقد علمتم أن الله تعالى جل ذكره وعز اسمه هداكم بجدي وأنقذكم من الضلالة وخلصكم من الجهالة وأعزكم به بعد الذلة وكثركم به بعد القلة، إن معاوية نازعني حقاً هو لي دونه فنظرت إصلاح الأمة وقطع الفتنة وقد كنتم بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني فرأيت أن أسالم معاوية وأضع الحرب بيني وبينه وقد بايعته ورأيت أن حقن الدماء خير من سفكها ولم أرد بذلك إلا إصلاحكم وبقاءكم وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين. ومما شرح الله به صدره في هذا الصلح ظهور معجزة النبيﷺ في قوله في حق الحسن: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» رواه البخاري وأخرج الدولابي أن الحسن قال: إن كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء لوجه الله، وحقن دماء المسلمين. وكان نزوله عنها سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع الأول وقيل الآخر وقيل في جمادى الأولى، فكان أصحابه يقولون له: «يا عار المؤمنين» فيقول: العار خير من النار، وقال له رجل: السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال: لست بمذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك، ثم ارتحل من الكوفة إلى المدينة وأقام بها.

الفصل الثاني
في فضائله

(الحديث الأول) أخرج الشيخان عن البراء، قال: رأيت رسول الله ﷺ والحسن على عاتقه، ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه». (الحديث الثاني) أخرج البخاري عن أبي بكرة قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة ويقول: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين».

(الحديث الثالث) أخرج البخاري عن ابن عمر، قال قال النبي ﷺ «هما ريحانتاي من الدنيا، يعني الحسن والحسين». (الحديث الرابع) أخرج الترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري، قال قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

(الحديث الخامس) أخرج الترمذي عن أسامة بن زيد قال رأيت رسول الله ﷺ والحسن والحسين على وركيه، فقال: «هذان ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما». (الحديث السادس) أخرج الترمذي عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ أي أهل بيتك أحب إليك؟ قال: الحسن والحسين. (الحديث السابع) أخرج الحاكم عن ابن عباس، قال: أقبل النبي ﷺ وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل فقال: نعم المركب ركبت يا غلام، فقال رسول الله ﷺ: «ونعم الراكب هو».

(الحديث الثامن) أخرج ابن سعد عن عبد الله بن عبد الرحمن بن

الزبير قال: أشبه[1] أهل النبيﷺ به وأحبهم إليه الحسن، رأيته يجيء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر. (الحديث التاسع) أخرج ابن سعد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: كان رسول اللهﷺ يدفع لسانه للحسن بن علي فإذا رأى الصبي حمرة اللسان يهش إليه.

(الحديث العاشر) أخرج الحاكم عن زهير بن الأرقم قال: قام الحسن بن علي يخطب، فقام رجل من أزد شنوءة فقال: أشهد لقد رأيت رسول اللهﷺ واضعه على حبوته وهو يقول: «من أحبني فليحبه وليبلغ الشاهد الغائب ولولا كرامة النبيﷺ ما حدثت به أحداً». (الحديث الحادي عشر) أخرج أبو نعيم في الحلية عن أبي بكر، قال: كان النبيﷺ يصلي بنا فيجيء الحسن وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره مرة وعلى رقبته فيرفعه النبيﷺ رفعاً رفيقاً، فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله إنك تصنع بهذا الصبي شيئاً لا

---

(١) وروى البخاري عن أنس في الحسين: أشبههم برسول الله. رواه عنه ابن سيرين وعنه أيضاً لم يكن أشبه برسول الله من الحسن، وروى الترمذي عن علي أنه لم ير قبل النبي ولا بعده مثله وجمع الحافظ بين هذه الروايات بأن قول ابن سيرين في الحسين كان بعد موت الحسن أو أن كل واحد منهما أشد شبهاً في بعض أعضائه، كما أخبر علي أن الحسن أشبه رسول الله بما بين الرأس إلى الصدر والحسين بما كان أسفل من ذلك، والمراد بالمنفي في قول علي الشبه التام في كل الأعضاء، وذكروا من أشبه النبي عليه السلام فبلغوا عشراً نظمهم الحافظ في الفتح.

تصنعه بأحد، فقال النبيﷺ: «إن هذا ريحانتي وإن هذا ابني سيد وحسبي أن يصلح الله تعالى به بين فئتين من المسلمين. (الحديث الثاني عشر) أخرج الشيخان عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: «اللهم إني أحبه وأحب من يحبه» يعني الحسن. وفي رواية: «اللهم إني أحبه وأحب من يحبه». قال أبو هريرة فما كان أحد أحب إلي من الحسن بعد أن قال رسول اللهﷺ ما قال. وفي حديث أبي هريرة أيضاً عند الحافظ السلفي قال: ما رأيت الحسن بن علي قط إلاّ فاضت عيناي دموعاً وذلك أن رسول اللهﷺ خرج يوماً وأنا في المسجد فأخذ بيدي واتكأ علي حتى جئنا سوق بني قينقاع فنظر فيه ثم رجع حتى جلس في المسجد، ثم قال: ادع ابني قال فأتى الحسن بن علي يشتد حتى وقع في حجره فجعل رسول اللهﷺ يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه» ثلاث مرات. وروى أحمد «من أحبني وأحب هذين يعني حسناً وحسيناً وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» ورواه الترمذي بلفظ كان معي في الجنة، وقال حديث غريب، وليس المراد بالمعية هنا المعية من حيث المقام بل من جهة رفع الحجاب نظير ما في قوله تعالى ﴿**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء الصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾[1].

---

(١) سورة النساء، أية ٦٩.

الفصل الثالث
في بعض مآثره

كان رضي الله عنه سيداً كريماً حليماً زاهداً ذا سكينة وحشمة، جواداً ممدوحاً وسيأتي بسط شيء من ذلك. (أخرج) أبو نعيم في الحلية أنه قال: إني لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته فمشى عشرين حجة. (وأخرج) الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: لقد حج الحسن خمساً وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد بين يديه. (وأخرج) أبو نعيم أنه خرج من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات[1] حتى أنه كان ليعطي نعلاً ويمسك نعلاً ويعطي خفاً ويمسك

---

(١) عن مطالب السؤول ١٠/٢ الفصول المهمة ١٣٩، أنّ رجلاً جاء إليه وسأله حاجة فقال له: ما هذا حق سؤالك إياي يعظم لديّ، ومعرفتي بما يجب تكبر عليّ ويدي تعجز عن نيلك بما أنت أهله، والكثير في ذات الله عز وجل قليل، وما في ملكي وفاء بشكرك، فإن قبلت مني الميسور، ورفعت عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما أتكفله من واجبك فعلت، فقال: يا ابن رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية، وأعذر على المنع، فدعا الحسن عليه السلام بوكيله، وجعل يحاسبه على نفقاته حتى استقصاها فقال: هات الفاضل من الثلثمائة ألف درهم، فأحضر خمسين ألفاً قال: فما فعلت بالخمسمائة دينار؟ قال: هي عندي، قال: أحضرها، فأحضرها فدفع الدراهم والدنانير إلى الرجل، وقال: هات من يحملها، فأتاه بحمالين فدفع الحسن إليهم رداءه لكراء الحمل، فقال له مواليه: والله ما عندنا درهم. فقال: لكي أرجو أن يكون لي عند الله أجر عظيم.

وعن إسعاف الراغبين بهامش نور الأبصار ١٧٦، أن الحسن بن علي عليهما السلام اشترى حائطاً من قوم من الأنصار بأربعمائة ألف، فبلغه أنهم احتاجوا ما في أيدي الناس،

خفاً، وسمع رجلاً يسأل ربه عز وجل عشرة آلاف درهم فبعث بها إليه. وجاءه رجل يشكو إليه حاله وفقره وقلة ذات يده بعد أن كان مثرياً، فقال: ما هذا حق سؤالك يعظم لدي معرفتي بما يجب لك ويكبر علي ويدي تعجز عن نيلك ما أنت أهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفاء لشكرك فإن قبلت الميسور ورفعت عني مؤنة الاحتفال والاهتمام لما أتكلفه فعلت، فقال: يا ابن بنت رسول الله أقبل القليل وأشكر العطية وأعذر على المنع فأحضر الحسن وكيله وحاسبه وقال: هات الفاضل، فأحضر خمسين ألف درهم وقال: ما فعلت في

فردَّه إليهم. وعن أعيان الشيعة للمقدس الأمين(رض) ٤ ق١٠٩/١، قال: جاء الإمام الحسن بن علي عليه السلام بعض الأعراب فقال: أعطوه ما في الخزانة، فوجد فيها عشرون ألف درهم، فدفعها إليه. فقال الأعرابي: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي، فأنشأ الحسن عليه السلام:

نحن أناس نوالنا خضل	يرتع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا	خوفاً على ماء وجه من يسل
لو علم البحر فضل نائلنا	لفاض من بعد فيضه خجل

وعن نور الأبصار للشبلنجي رحمه الله ١٧٦: أن الإمام الحسن بن علي عليه السلام سمع رجلاً يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم، فانصرف الحسن عليه السلام إلى منزله وبعث بها إليه، وعن حياة الإمام الحسن بن علي للقرشي ١١٩/١، أنه مرّ الحسن على فقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز كانوا قد التقطوها وهم يأكلون منها، فدعوه إلى مشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك، وهو يقول: إن الله لا يحب المتكبرين، ولمّا فرغوا من الطعام دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم. فالسلام على الحسن بن علي بن فاطمة الزهراء÷ يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

(المحقق).

الخمسمائة دينار التي معك؟ قال: هي عندي، قال: أحضرها، فأحضرها فدفعها والخمسين ألفاً إلى الرجل واعتذر. وأضافته هو والحسين وعبد الله بن جعفر عجوز فأعطاها ألف دينار وألف شاة وأعطاها الحسين مثل ذلك وأعطاها عبد الله بن جعفر مثلهما ألفي شاة وألفي دينار. (وأخرج) البزار وغيره عنه أنه لما استخلف، بينما هو يصلي إذ وثب عليه رجل فطعنه بخنجر وهو ساجد، ثم خطب الناس فقال: يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾[1] فما زال يقولها حتى ما بقي أحد في المسجد إلا وهو يبكي. (وأخرج) ابن سعد عن عمير بن اسحاق أنه لم يسمع منه كلمة فحش إلا مرة كان بينه وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في أرض فقال: ليس له عندنا إلا ما أرغم أنفه، قال: فهذه أشد كلمة فحش سمعتها منه، وأرسل إليه مروان[2] يسبه وكان عاملاً على المدينة

---

(١) سورة الأحزاب، آية ٣٣.

(٢) إعلم أن مروان رجلٌ مطعون في دينه ودين أبيه الحكم الذي كان يتجسس على رسول الله مع نسائه، وقد لعن رسول الله ﷺ مروان وهو في ظهر أبيه قبل ولادته وقال عنه: «وزغ بن وزغ» وكان مهيمناً ومسيطراً سيطرة كاملة على الخليفة الثالث عثمان وكثير من المؤرخين يرى بأنه السبب في الجلبة عليه وقتله، وهو الذي زوَّر الكتاب الذي أرسله الخليفة إلى عامله على مصر ابن أبي سرح ويأمره فيه بقتل محمد بن أبي بكر ونفر من الناس كانوا معه، وهو الذي قتل في حرب الجمل طلحة بن عبيد الله الصحابي بدعوى الأخذ بالثأر لدم الخليفة عثمان. (المحقق).

ويسب علياً كل جمعة على المنبر فقال الحسن لرسوله: ارجع إليه فقل له: إني والله لا أمحو عنك شيئاً مما قلت بأن أسبك ولكن موعدي وموعدك الله فإن كنت صادقاً فجزاك الله خيراً بصدقك وإن كنت كاذباً فالله أشد نقمة. وأغلظ عليه مروان مرة وهو ساكت ثم امتخط بيمينه، فقال له الحسن: ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج؟ أف لك. فسكت مروان. وكان رضي الله عنه مطلاقاً للنساء وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة. (وأخرج) ابن سعد عن علي أنه قال: يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن، فإنه مطلاق، فقال رجل من همدان لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق، ولما مات بكى مروان في جنازته، فقال له الحسين: أتبكيه وقد كنت تجرعه ما تجرعه؟ فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا، وأشار بيده إلى الجبل. (وأخرج) ابن عساكر أنه قيل له إن أبا ذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب من الصحة إلي، فقال: رحم الله أبا ذر، أما أنا فأقول: من اتكل إلى حسن اختيار الله لم يتمن أنه في غير الحالة التي اختار الله له.

وكان عطاؤه كل سنة مائة ألف فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له إضاقة شديدة قال: فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لذكره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: كيف أنت يا حسن؟ فقلت بخير يا أبت وشكوت إليه تأخر المال عني فقال: أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك؟ قلت: نعم يا

رسول الله فكيف أصنع؟ فقال قل: (اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحداً غيرك، اللهم وما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحداً من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا ارحم الراحمين).

قال: فوالله ما انجحت فيه أسبوعاً حتى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب من دعاه، فرأيت النبيﷺ في المنام فقال: يا حسن كيف أنت؟ فقلت: بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي فقال: يا بني هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق. ولما احتضر قال لأخيه: يا أخي إن أباك قد استشوف لهذا الأمر فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر ثم استشوف لها وصرفت عنه إلى عمر ثم لم يشك وقت الشورى أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان فلما قتل عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف فما صفت له وإني والله ما أرى أن يجمع الله فينا النبوة والخلافة فلا أعرفن بما استخفك سفهاء الكوفة فأخرجوك وقد كنت طلبت إلى عائشة رضي الله عنها أن أدفن مع رسول اللهﷺ فقالت نعم؛ فإذا مت فاطلب ذلك إليها وما أظن القوم إلا سيمنعوك فإن فعلوا فلا تراجعهم، فلمّا مات أتى الحسين عائشة رضي الله عنها فقالت: نعم وكرامة[1]، فمنعهم مروان فلبس الحسين ومن معه السلاح

---

(١) ذكر جمع من المؤرخين منهم: ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ١٨/٤، وأبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبيين ٥٢ والشيخ المفيد في الإرشاد

حتى رده أبو هريرة، ثم دفن بالبقيع إلى جنب أمه رضي الله عنهما.

وكان سبب موته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي دس إليها يزيد[1] أن تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة ألف درهم ففعلت،

١٩٩، ركوب عائشة الجمل ومنعها من دفن الحسن عليه السلام مع جدّه النبي محمد صلى الله عليه وآله، وجاء في هذه المجامع: أن الإمام الحسين عليه السلام أخذ في تجهيز الإمام الحسن عليه السلام ثم حمله إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدد به عهداً ـ كما أوصاه بذلك ـ فمنع مروان بن الحكم من ذلك، وركبت بنو أمية في السلاح، وجعل مروان يقول: يا رب هيجا هي خير من دعة، أيدفن عثمان في أقصى المدينة، ويدفن الحسن في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف، فكادت الفتنة تقع. قالت المصادر الآنفة الذكر: ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول: ما لي ولكم، تريدون أن تدخلوا بيتي من لا أحب، وأقبل ابن عباس على عائشة وقال لها: واسوأتاه يوماً على بغل ويوماً على جمل تريدين أن تطفئي نور الله، وتقاتلي أولياء الله، ارجعي فقد كفيت الذي تخافين، وبلغت ما تحبين، والله منتصر لأهل البيت ولو بعد حين. ثم رموا بالنبال جنازته حتى سلّ سبعون سهماً. وأراد بنو هاشم المجالدة، ولكن الحسين عليه السلام صاح بهم: الله الله يا بني هاشم، لا تضيعوا وصية أخي الحسن، وحمل إلى البقيع ودفن عند قبر جدته فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها، فإنا لله ولا حول ولا قوة إلا بالله. المحقق.

(١) جاء في الفصول المهمة ١٥٠ن ومقاتل الطالبيين ٥٠، والذخيرة إلى المعاد ٢٠٣، والإرشاد ١٩٧، وتاريخ أبي الفداء ١٩٣/١، وبحار الأنوار ١٣٢/١٠ن وتاريخ ابن عساكر ٢٢٦/٤، وتذكرة الخواص ١٢١، وأعيان الشيعة ٤ق ٩٥/١، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧/٤، والدمعة الساكبة ٢٥١/٢: أن المؤرخين شيعة وسنة قد أجمعوا ـ إلا من شذّ من النواصب ـ على أن معاوية لما عزم على البيعة ليزيد لم يكن شيء أثقل عليه من الحسن بن علي فدسّ إليه سمّاً على يد زوجته جعدة بنت الأشعث، وضمن لها مائة ألف درهم، وأن يزوجها بيزيد، فسقته السمّ في جرعة من اللبن، وكان صائماً فبقي أربعين يوماً يعاني آلام السمّ حتى لحق بالرفيق الأعلى سلام الله عليه.

فمرض أربعين يوماً، فلما مات بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال لها: إنا لم نرضك للحسن فنرضاك لأنفسنا. وبموته مسموماً شهيداً جزم غير واحد من المتقدمين كقتادة وأبي بكر بن حفص والمتأخرين كالزين العراقي في مقدمة شرح التقريب. وكانت وفاته سنة تسع واربعين أو خمسين أو إحدى وخمسين أقوال، والأكثرون على الثاني كما قاله جماعة وغلط الواقدي ما عدا الأول؛ لا سيما من قال سنة ست وخمسين ومن قال سنة تسع وخمسين. وجَهِدَ به أخوه أن يخبره بمن سقاه فلم يخبره وقال: الله أشد نقمة إن كان الذي أظن وإلا فلا يقتل بي والله بريء. وفي رواية يا أخي قد حضرت وفاتي ودنا فراقي لك وإني لاحق بربي وأجد كبدي تقطّع وإني لعارف من أين دهيت فأنا أخاصمه إلى الله تعالى فبحقي عليك لا تكلمت في ذلك بشيء فإذا أنا قضيت نحبي فقمصني وغسلني وكفني واحملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله ﷺ أجدد به عهداً ثم ردني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد فادفني هناك واقسم عليك بالله أن لا تريق في أمري بجَّة دم[1].

---

(١) هذه أخلاق الأنبياء والأولياء وأهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فهم يحرّمون أن يراق الدم ويسفك ولو بسبب الذين قلبوا لهم ظهر المجن وعملوا على قتلهم واغتيالهم من بني أمية وبني العباس وغيرهم من الخوارج والنواصب، من الذين تعقبوا آل محمد ﷺ بعد وفاته في مشارق الأرض ومغاربها بالتشريد والتقتيل والسجون والتعذيب وأنت جد عليم بما فعل بنو أميّة وأذنابهم بالسبط النبوي خيرة أهل الأرض الإمام الحسين بن علي الشهيد وأهل بيته الميامين وأصحابه الكرام في أرض الشهادة كربلاء من سفك الدماء، ومنع

وفي رواية إني يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسقه مثل هذه المرة فقال: من سقاك؟ قال: ما سؤالك عن هذا تريد أن تقاتلهم؟ أكل أمرهم إلى الله. أخرجه ابن عبد البر. وفي أخرى لقد سقيت السم مراراً ما سقيته مثل هذه المرة ولقد لفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبها بعود فقال له الحسين: أي أخي من سقاك؟ قال وما تريد إليه أتريد أن تقتله؟ قال: نعم، قال لئن كان الذي أظن فالله أشد نقمة وإن كان غيره فلا يقتل بي بريء. ورأى كأن مكتوباً بين عينيه قل هو الله أحد فاستبشر به هو وأهل بيته فقصوها على ابن المسيب فقال: إن صدقت رؤياه فقل ما بقي من أجله فما بقي إلا أياماً حتى مات، وصلى عليه[1] سعيد بن العاص لأنه كان والياً على المدينة من قبل معاوية ودفن عند جدته بنت أسد بقبته المشهورة وعمره سبع وأربعون سنة كان منها مع رسول الله ﷺ سبع سنين ثم مع أبيه ثلاثون سنة ثم خليفة ستة أشهر ثم تسع سنين ونصف سنة بالمدينة.

الماء عن سلالة الأنبياء عليهم السلام حتى قضى الجميع عطشاً وظلماً وقتلاً وعدواناً، فإلى الله المشتكى والموعد الله ومحمّد ﷺ. (المحقق).

(١) الأولى أن يُذكر رأي الإمامية في الصلاة عليه لأن المعصوم لا يصلي عليه إلا معصوم.

الباب الحادي عشر

في فضائل أهل البيت النبوي وفيه فصول

ولنقدم على ذلك أصله. وهو تزويج النبيﷺ فاطمة من علي كرم الله وجههما وذاك أواخر السنة الثانية من الهجرة على الأصح وكان سنها خمس عشرة سنة ونحو نصف سنة، وسنه إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها حتى ماتت وأراده[1] فمنعهﷺ خوفاً عليها لشدة غيرتها، عن أنس كما عند ابن أبي حاتم ولأحمد نحوه قال: جاء أبو بكر وعمر يخطبان فاطمة إلى النبيﷺ فسكت ولم يرجع إليهما شيئاً فانطلقا إلى علي كرم الله وجهه يأمرانه بطلب ذلك، قال علي: فنبهاني لأمر، فقمت أجر ردائي حتى أتيت إلى النبيﷺ فقلت: تزوجني فاطمة؟ قال: وعندك شيء؟ قلت: فرسي وبدني، فقال أما فرسك فلا بد لك منها وأما بدنك فبعها، فبعتها بأربعمائة وثمانين فجئته بها فوضعها في حجره فقبض منها قبضة فقال: أي بلال ابتع

---

(١) إنّ خُلق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودماثته وأريحيته وطهارة جيبه تمنع من هذا القول وهذه الفريّة ولا يخفى عليك أنها من وضع خصومه الحاقدين من أمويين وعباسيين فقد كان علي عليه السلام يعرف ويقدر من هي سيدة نساء العالمين وأنّ الزهراء عليها السلام لو لم يتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام لما وُجد لها كفؤٌ وإذا كانوا قد كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته فأحرى بهم أن يكذبوا عليه بعد وفاته، فلا حول ولا قوة إلا بالله. (المحقق).

لنا بها طيباً، وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف، وقال لعلي: إذا أتتك فلا تحدث شيئاً حتى آتيك، فجاءت مع أم أيمن فقعدت من جانب البيت وأنا في جانب، وجاء رسول الله ﷺ فقال: أههنا أخي؟ فقالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك؟ قال: نعم ودخل ﷺ فقال لفاطمة: ائتيني بماء فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه ثم قال لها: تقدمي فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال: «اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» ثم قال لها: أدبري فأدبرت فصبه بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك لعلي ثم قال: ادخل بأهلك بسم الله والبركة. وفي رواية أخرى عن أنس أيضاً عن أبي الخير القزويني الحاكمي. خطبها بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهم فقال: قد أمرني ربي بذلك. قال أنس ثم دعاني النبي ﷺ بعد أيام فقال: ادع أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن وعدة من الأنصار، فلما اجتمعوا وأخذوا مجالسهم وكان علي غائباً قال ﷺ «الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره في سمائه وأرضه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل المصاهرة سبباً لاحقاً وأمراً مفترضاً أوشج به الأرحام ـ أي ألف بينها ـ وجعلها مختلطة مشتبكة وألزم الأنام فقال عز من قائل ﴿**وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً**﴾[1] فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه، وقضاؤه

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٥٤. وروى الحافظ أبو نعيم وابن المغازلي وأخرجا بسنديهما

يجري إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب ﴿**يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب**﴾[1] ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي بن أبي طالب فاشهدوا أني قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك علي. ثم دعاﷺ بطبق من بسر ثم قال: انتبهوا فانتبهنا ودخل علي فتبسم النبيﷺ في وجهه ثم قال: «إن الله عز وجل أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟ قال: قد رضيت بذلك يا رسول الله فقالﷺ «جمع الله شملكما وأعز جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيراً طيباً». قال أنس: فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب.

(تنبيه) ظاهر هذه القصة لا يوافق مذهبنا من اشتراط الإيجاب والقبول فوراً بلفظ التزويج أو النكاح دون نحو رضيت، واشتراط عدم التعليق لكنها واقعة حال محتملة أن علياً قبل فوراً لما بلغه الخبر وعندنا أن من زوج غائباً بالإيجاب صحيح كما هنا، فبلغه الخبر فقال فوراً قبلت تزويجها أو قبلت نكاحها صح. وقوله إن رضي بذلك ليس تعليقاً حقيقياً لأن الأمر منوط برضا الزوج وإن لم يذكر فذكره تصريح بالواقع، ووقع

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس(رض) قال: نزلت هذه الآية في الخمسة أهل العباء ثم قال: المراد من الماء نور النبيﷺ الذي كان قبل خلق الخلق، ثم أودعه في صلب آدمعليه السلام، ثم نقله من صلب إلى صلب إلى أن وصل إلى صلب عبد المطلب، فصار جزئين: جزء إلى صلب عبد الله فولد النبيﷺ وجزء إلى صلب أبي طالب فولد علياً ثم ألف النكاح فزوج علياً بفاطمة فولد حسناً وحسيناً(رض).

(١) سورة الرعد، الآية ٣٩.

لبعض الشافعية ممن لم يتقن الفقه هنا كلام غير ملائم فليجتنب. (تنبيه آخر) أشار الذهبي في الميزان على أن هذه الرواية كذب[1] فقال في

---

(١) اعلم أيُّها المسلم أن الروايات تضافرت على أن أهل النفاق والحسد والتنافس لمّا علموا أن رسول الله ﷺ سيزوّج علياًعليه السلام من بضعته الزهراءعليها السلام وهي عديلة مريم وسيدة نساء أهل الجنة حسدوه لذلك وعظم عليهم الأمر ولا سيما بعد أن خطبها الشيخان أبو بكر وعمر(رض) وهذا الزواج ميزة ظهر بها فضل عليعليه السلام فلا يلحقه لاحق، ولا يطمع في إدراكه طامع بعد ذلك. وقال الإمام شرف الدين+ في كتاب «المراجعات»: وأخرج الخطيب في المتفق بسنده المعتبر إلى ابن عباس(رض) قال: لما زوّج النبيﷺ فاطمة من علي، قالت فاطمة: يا رسول الله زوجتني من رجل فقير ليس له شيء فقال النبيﷺ: «أما ترضين أن الله اختار من أهل الأرض رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك». وأخرج الحاكم في مناقب عليعليه السلام ص ١٢٩ من الجزء الثالث من المستدرك عن طريق سريح بن يونس، عن أبي حفص الأبار، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قالت فاطمة: «يا رسول الله زوجتني من علي وهو فقير لا مال له؟ قالﷺ: «يا فاطمة أما ترضين أن الله عزّ وجل اطلع إلى أهل الأرض فاختار رجلين، أحدهما أبوك والآخر بعلك». وعن الحاكم والطبراني وعن الخطيب بالإسناد إلى ابن عباس قال: قال رسول اللهﷺ: «أما ترضين أني زوجتك أول المسلمين إسلاماً، وأعلمهم علماً، وأنك سيدة نساء أمتي، كما سادت مريم نساء قومها، أما ترضين يا فاطمة أن الله اطلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك». وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في ص ٢٦ من الجزء الخامس من مسنده من حديث معقل بن يسار «إن النبيﷺ عاد فاطمةعليها السلام في مرض أصابها على عهده فقال لها: كيف تجدينك؟ قالت: والله لقد اشتد حزني واشتدت فاقتي وطال سقمي، قالﷺ: أوما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلماً، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً. انتهى.

وحديث تزويج علي من فاطمةعليها السلام بأمر من الله في السماء، يوجد في المستدرك للحاكم ج٣ ص ١٢٩ ط/ أفست ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي ج١ ص ٢٤٩، وتذكرة الخواص للسبط ابن الجوزي الحنفي

ترجمة محمد بن دينار أتى بحديث كذب ولا يدري من هو انتهى. قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في لسان الميزان والخبر المذكور أسنده عن أنس قال: بينما أنا عند النبيﷺ إذ غشيه الوحي فلما سرى عنه قال: إن ربي أمرني أن أزوج فاطمة من علي فانطلق فادع أبا بكر وعمر وسمى جماعة من المهاجرين وبعددهم من الأنصار فلما أخذوا مجالسهم خطب النبيﷺ فقال: الحمد لله المحمود بنعمته فذكر الخطبة والعقد وقدر الصداق وذكر البشر والدعاء. أخرجه ابن عساكر في ترجمته عن أبي القاسم النسيب بسند له إلى محمد بن شهاب بن أبي الحياء عن عبد الملك بن عمر عن يحيى بن معين عن محمد هذا عن عشيم عن يونس بن عبد عن الحسين عن أنس قال ابن عساكر غريب ثم نقل عن محمد بن طاهر أنه ذكره في تكملة الكامل والراوي فيه جهالة انتهى. وبه يعلم أن إطلاق الذهبي كونه كذباً فيه نظر وإنما هو غريب في سنده مجهول وسيأتي في الآية الثانية عشرة بسط يتعلق بذلك وفيه عن النسائي بسند صحيح ما يرد على الذهبي ويبين أن للقصة أصلاً أصيلاً فليكن منك على ذكر[1].

ص ٣٠٩ ط/ الحيدرية، وينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص ٤٢١ ط/ اسلامبول، كفاية الطالب للكنجي الشافعي ص ٢٩٧ ط/ الحيدرية، وكنز العمال ج٦ ص ٣٩١ ح ٥٩٩٢ ط/١، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٤ ص ١٩٥-١٩٦. (المحقق).

(١) هذه الرواية أخرجها الخطيب في تلخيص المتشابه وحكم ابن الجوزي بوضعها. قال السيوطي وأخرجها ابن عساكر وذكر أن هذا الخبر من وضع محمد بن دينار العرفي في رواية أنس ووضعه أيضاً على جابر وقال ابن عراق قال الذهبي في تلخيصه: فيه من الركة أشياء والله أعلم، وذكره في القسم الذي لم يخالف فيه ابن الجوزي من تنزيه الشريعة.

الفصل الأول
(في الآيات الواردة فيهم)

الآية الأولى قال الله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[1] أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين، لتذكير ضمير عنكم وما بعده، وقيل نزلت في نسائه لقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن. ونسب لابن عباس ومن ثم كان مولاه عكرمة ينادي به في السوق، وقيل المراد النبيﷺ وحده. وقال آخرون نزلت في نسائه لأنهن في بيت سكناه ولقوله تعالى ﴿**واذكرن ما يتلى في بيوتكن**﴾[2]. وأهل بيته نسبه وهم من تحرم الصدقة عليهم. واعتمده جمع ورجحوه وأيده ابن كثير بأنهن سبب النزول وهو داخل قطعاً إما وحده على قول أو مع غيره على الأصح، وورد في ذلك أحاديث منها ما يصلح متمسكاً للأول ومنها ما يصلح متمسكاً للآخر وهو أكثرها فلذا كان هو المعتمد كما تقرر.

ولنذكر من تلك الأحاديث فنقول جملة.

(أخرج) أحمد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في خمسة: النبيﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأخرجه ابن جرير مرفوعاً بلفظ أنزلت هذه الآية في خمسة في النبي وفي علي والحسن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٤.

والحسين وفاطمة، وأخرجه الطبراني أيضاً ولمسلم أنهﷺ أدخل أولئك تحت كساء عليه وقرأ هذه الآية، وصح أنهﷺ جعل على هؤلاء كساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي ـ أي خاصتي ـ أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقالت أم سلمة وأنا معهم قال: إنك على خير، وفي رواية أنه قال بعد تطهيراً. أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم. وفي أخرى ألقى عليهم كساء ووضع يده عليهم ثم قال: اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنه حميد مجيد، وفي أخرى أن الآية نزلت ببيت أم سلمة فأرسلﷺ إليهم وجللهم بكساء ثم قال نحو ما مر. وفي أخرى أنهم جاءوا واجتمعوا فنزلت فإن صحتا حمل على نزولها مرتين، وفي أخرى أنه قال: اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ثلاثاً، وأن أم سلمة قالت له: ألست من أهلك؟ قال: بلى وأنه أدخلها الكساء بعد ما قضى دعاءه لهم[1]. وفي أخرى أنه لما جمعهم ودعا لهم بأطول

---

(١) وهذا غير دقيق، والحق ما جاء في صحيح مسلم عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: خرج النبيﷺ غداة غد، وعليه مرط من مرجل من شعر أسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسين فأدخله، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. وأيضاً أخرج الحاكم هذا الحديث عن عائشة. وفي سنن الترمذي بعد ذكر مناقب الأصحاب: عن أم سلمة أن النبيﷺ جلل على الحسن والحسين وفاطمة كساء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ قال: قفي في مكانك إنك إلى خير. هذا حديث

مما مر قام واثلة وقال: وعليّ يا رسول الله فقال: اللهم وعلى واثلة. وفي رواية صحيحة قال واثلة: وأنا من أهلك؟ قال: وأنت من أهلي». قال واثلة إنها لمن أرجى ما أرجو. قال البيهقي وكأنه جعله في حكم الأهل تشبيهاً بمن يستحق هذا الاسم لا تحقيقاً وأشار المحب الطبري إلى أن هذا الفعل تكرر منهﷺ في بيت أم سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه جمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم، وما جللهم به وما دعا به لهم وما أجاب به واثلة وأم سلمة وأزواجه، ويؤيد ذلك رواية أنه قال نحو ذلك لهؤلاء وهم في بيت فاطمة. وفي رواية أنه ضم إلى هؤلاء بقية أقاربه وأزواجه، وصح عن أم سلمة فقلت يا رسول الله أنا من أهل البيت؟ فقال: بلى إن شاء الله.

وذهب الثعلبي على أن المراد من أهل البيت في الآية جميع بني هاشم[1]، ويؤيده الحديث الحسن أنهﷺ اشتمل على العباس وبنيه

حسن صحيح وأحسن شيء روي في هذا الباب عن أنس وعمر بن أبي سلمة وأبي الحمراء. وأخرج الطبراني وابن جرير، وابن المنذر عن أم سلمة رضي الله عنها مثله. (المحقق).

(١) المراد بأهل البيتعليهم السلام الذين أذهب الله عنهم الرجس حصراً خمسة وهم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسينعليهما السلام وليس لأحد من العالمين كآية تطهيرهم، وقد امتازوا بها فلا يلحقهم لاحق ولا يطمع في إدراكهم طامع، وهذا يوجد في: صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أهل بيت النبي ج٢ ص ٣٦٨ عيسى الحلبي، وفي صحيح الترمذي ج٥ ص ٣٠ ح ٣٢٥٨، وفي مسند أحمد بن حنبل ج١ ص ٣٣٠ الميمنية بمصر، وتلخيص المستدرك الذهبي مطبوع بذيل

بملاءة ثم قال: يا رب هذا عمي وصنوُ أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه، فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقال آمين وهي ثلاثاً. وفي رواية فيها من وثقه ابن معين وضعفه غيره، ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً وذلك قوله عز وجل: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[1] والحاصل أن أهل بيت السكنى داخلون في الآية لأنهم المخاطبون بها ولما كان أهل بيت النسب تخفى إرادتهم منها بينﷺ بما فعله مع من مر أن المراد من أهل البيت هنا ما يعم أهل بيت سكناه

المستدرك عين الصفحات، والمعجم الصغير للطبراني ج١ ص ٦٥- ١٣٥، وشواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي ج٢ ص ١١-٩٢، واختصاص أهل البيت عليهم السلام بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام. جاء في حديث صحيح عن النبيﷺ مشيراً إليهم في قوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وأخرج الإمام أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر والحاكم والبيهقي والطبراني، عن واثلة بن الأسقع قال: جاء النبيﷺ إلى بيت فاطمة، ومعه حسن وحسين حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة وأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذه، ثم لفّ عليهم ثوبه وأنا مستدبرهم، ثم تلا هذه الآية وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيت أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وجاء في صحيح الترمذي، وشواهد التنزيل للحسكاني، وفي الدر المنثور للسيوطي، وفي تفسير الطبري، وأسد الغابة لابن الأثير، وأنساب الأشراف للبلاذري ما أخرجه أحمد بن حنبل وابن أبي شيبة عن أنس بن مالك قال: إن رسول اللهﷺ كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة يا أهل البيت يرحمكم الله» ثلاثاً مدة ستة أشهر، انتهى شرح الكبريت الأحمر. (المحقق).

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

كأزواجه وأهل بيت نسبه وهم جميع بني هاشم والمطلب، وقد ورد عن الحسن من طرق بعضها سنده حسن وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فبيت النسب مراد في الآية كبيت السكنى، ومن ثم أخرج مسلم عن زيد بن أرقم أنه لما سئل أنساؤه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الله الصدقة عليهم فأشار على أن نساءه من أهل بيت سكناه الذين امتازوا بكرامات وخصوصيات أيضاً لا من أهل بيت نسبه وإنما أولئك من حرمت عليهم الصدقة.

ثم هذه الآية منبع فضائل أهل البيت النبوي لاشتمالها على غرر من مآثرهم والاعتناء بشأنهم حيث ابتدأت بـ«إنما» المفيدة لحصر إرادته تعالى في أمرهم على إذهاب الرجس الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به عنهم وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة وسيأتي في بعض الطرق تحريمهم على النار وهو فائدة ذلك التطهير وغايته إذ منه إلهام الإنابة إلى الله تعالى وإدامة الأعمال الصالحة ومن ثم لما ذهبت عنهم الخلافة الظاهرة لكونها صارت ملكاً - ولذا لم تتم للحسن - عُوضوا عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمن لا يكون إلا منهم وممن قال يكون من غيرهم الأستاذ أبو العباس المرسي كما نقله عنه تلميذه التاج بن عطاء الله ومن تطهيرهم تحريم صدقة الفرض - بل والنفل على قول لمالك - عليهم لأنها أوساخ الناس مع كونها تنبئ عن ذُلٍّ الآخذ وعزٍّ

المأخوذ منه وعوضوا عنها خمس خمس الفيء والغنيمة المنبئ عن عزّ الآخذ وذلّ المأخوذ منه ومن ثم كان المعتمد دخول أهل بيت النسب في الآية ولذا اختصوا بمشاركته ﷺ في تحريم صدقة الفرض والزكاة والنذر والكفارة وغيرها

وخالف بعض المتأخرين فبحث أن النذر كالنفل وليس كما قال، وأشار ﷺ بحرمة النفل وإن كان على جهة عامة أو غير متقوم على الأصح واختار الماوردي حل صلاته في المساجد وشربه من سقاية زمزم وبئر رومة. واستدل الشافعي رضي الله عنه لحل النفل لهم بقول الباقر لما عوتب في شربة من سقايات بين مكة والمدينة إنما حرم علينا الصدقة المفروضة[1] ووجهه أن مثله لا يقال من قبل الرأي لتعلقه

(١) جاء في جواهر العقدين: إن الله تعالى جعل أهل بيت نبيه ﷺ مطابقاً له في أشياء كثيرةن عدّ فخر الدين الرازي منها خمسة أشياء:

١ - إحداها في السلام قال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وقال لأهل بيته سلام على آل ياسين.

والثانية: في الصلاة على النبي وعلى الآل كما في التشهد وغيره حيث لا تكون الصلاة عليه صلى الله عليه وآله الصلاة البتراء.

والثالثة في الطهارة: قال الله عز وجل: ﴿طه﴾ أي يا طاهر ﴿**ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى**﴾ (سورة طه، الآيات ١-٣)، وقال لأهل بيت نبيه ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ (الأحزاب، آية ٣٣).

والرابعة: تحريم الصدقة قال: «لا تحل الصدقة لمحمد وآل محمد».

والخامسة: قال الله عز وجل: ﴿**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**﴾ (آل عمران، آية ٣١)، وقال لإهل بيته: ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودّة في**

بالخصائص فيكون مرسلاً لأن الباقر تابعي جليل وقد اعتضد مرسله بقول أكثر أهل العلم، وتحريم ذلك يعم بني هاشم والمطلب ومواليهم قيل وأزواجه، وهو ضعيف وإن حكى ابن عبد البر الإجماع عليه، ولزوم نفقتهن بعد الموت لا يحرم الأخذ إلا من جهة الفقر والمسكنة بخلافه بجهة أخرى كدين أو سفر كما هو مقرر في الفقه، وفي خبر أنها تحل لبعض بني هاشم من بعض لكنه ضعيف مرسل فلا حجة فيه. وشربهﷺ من سقاية زمزم واقعة حال تحتمل أن الماء الذي فيها من نزعهﷺ أو نزع مأذونه فلم يتحقق أنه من صدقة العباس، وحكمة ختم الآية بتطهير المبالغة في وصولهم لأعلاه وفي رفع التجوز عنه، ثم

القربى﴾ (الشورى، آية ٢٣) انتهى.

وقد جاء في ينابيع المودة للقندوزي، وفي الإصابة: وفي سنن النسائي عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال: لمّا قسم رسول اللهﷺ سهم ذي القربى بين بني هاشم وبني المطلب أتيته أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله! هؤلاء بنو هاشم لا ننكر فضلهم، لمكانك الذي جعلك الله بهم منهم، أرأيت بني المطلب أعطيتهم ومنعتنا وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة! فقال: «إنهم لم يفارقوني في الجاهلية والإسلام».

وجاء في جواهر العقدين عن جعفر الصادقعليه السلام عن أبيه أنه شرب من سقايات بين مكة والمدينة فقيل له: أتشربه من الصدقة؟ قال: إنما حرِّم علينا الصدقة المفروضة، وعن الحسن بن عليعليه السلام قال: كنت مع جديﷺ فمرّ على جريق من الصدقة، فأخذت منهما تمرة فألقيتها في في، فأدخل يده في فيّ فأخذها بلعابها فقال لي: أما شعرت أنّا آل محمد لا تحل لنا الصدقة؟ رواه أحمد والطحاوي، وقال إسناده قوي جداً. انتهى. (المحقق).

تنوينه تنوين التعظيم والتكثير والإعجاب المفيد على أنه ليس من جنس ما يتعارف ويؤلف، ثم أكدﷺ ذلك كله بتكرير طلب ما في الآية لهم بقوله: اللهم هؤلاء أهل بيتي إلى آخر ما مر، وبإدخاله نفسه معهم في العدِّ لتعود عليهم بركة اندراجهم في سلكه، بل في رواية أنه اندرج معهم جبريل وميكائيل إشارة إلى علو قدرهم، وأكده أيضاً بطلب الصلاة عليهم بقوله فاجعل صلاتك إلى آخر ما مر، وأكده أيضاً بقوله أنا حرب لمن حاربهم إلى آخر ما مر أيضاً. وفي رواية أنه قال بعد ذلك ألا من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى. وفي أخرى والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذويَّ فأقامهم مُقام نفسه ومن ثم صح أنهﷺ قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي»، وألحقوا به أيضاً في قصة المباهلة في آية ﴿**قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم**﴾[1] الآية فغداﷺ محتضناً الحسن آخذاً بيد الحسين وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهؤلاء هم أهل الكساء فهم المراد في آية المباهلة كما أنهم من جملة المراد بآية ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت**﴾[2] فالمراد بأهل البيت فيها وفي كل ما جاء في فضلهم أو فضل الآل أو ذوي القربى جميع آلهﷺ وهم مؤمنو بني هاشم[3] والمطلب

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

(٣) ذكر السخاوي في القول البديع اختلاف العلماء في المراد بالآل في صيغة الصلاة

وخبر آلي كل مؤمن تقي ضعيف بالمرة ولو صح لتأيد به. جمع بعضهم بين الأحاديث بأن الال في الدعاء لهم في نحو الصلاة يشمل كل مؤمن تقي وفي حرمة الصدقة عليهم مختص بمؤمن بني هاشم والمطلب وايد ذلك الشمول بخبر البخاري ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثاً اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً، وفي قول أن الآل هم الأزواج والذرية فقط.

(الآية الثانية) قوله تعالى: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً**﴾[1] صحّ عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصل عليك؟ فقال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» إلى آخره فسؤالهم بعد نزول الآية وإجابتهم باللهم صل على محمد وعلى آل محمد إلى آخره دليل ظاهر على أن الأمر بالصلاة على أهل بيته وبقية آله مراد من هذه الآية وإلا لم يسألوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها وأنهﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه لأن القصد

على النبي عليه السلام في التشهد قال: فالمرجع أنهم من حرمت عليهم الصدقة، وذكر أنه اختيار الجمهور ونص الشافعي وأن مذهب أحمد أنهم أهل بيته وقيل المراد أزواجه وذريته قال: وتعقب بأنه ثبت الجمع بين الثلاثة فيحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظه غيره والمراد بالآل في التشهد الأزواج ومن حرمت عليهم الصدقة ويدخل فيهم الذرية فبذلك يجمع بين الأحاديث.

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثم لما أدخل من مر في الكساء قال: «اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم» وقضية استجابة هذا الدعاء أن الله صلى عليهم معه فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه. ويروى: «لا تصلوا علي الصلاة البتراء فقالوا وما الصلاة البتراء قال تقولون: اللهم صل على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»، ولا ينافي ما تقرر حذف الآل في الصحيحين قالوا يا رسول الله، كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم إلى آخره لأن ذكر الآل ثبت في روايات أخر وبه يعلم أنهﷺ قال ذلك كله فحفظ بعض الرواة ما لم يحفظه الآخر، ثم عطف الأزواج والذرية على الآل في كثيرمن الروايات يقتضي أنهما ليس من الآل وهو واضح في الأزواج بناء على الأصح في الآل أنهم مؤمنو بني هاشم والمطلب، وأما الذرية فمن الآل على سائر الأقوال فذكرهم بعد الآل للإشارة إلى عظيم شرفهم[1].

(١) ذكر السخاوي في القول البديع اختلاف العلماء في المراد بالآل في صيغة الصلاة على النبي عليه السلام في التشهد قال: فالمرجع أنهم من حرمت عليهم الصدقة، وذكر أنه اختيار الجمهور ونص الشافعي وأن مذهب أحمد أنهم أهل بيته وقيل المراد أزواجه وذريته قال: وتعقب بأنه ثبت الجمع بين الثلاثة فيحمل على أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظه غيره والمراد بالآل في التشهد الأزواج ومن حرمت عليهم الصدقة ويدخل فيهم الذرية فبذلك يجمع بين الأحاديث.

روى أبو داود: من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: «اللهم صل على النبي محمد وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد». وقولهم علمنا كيف نسلم عليك أشاروا به على السلام عليه في التشهد كما قاله البيهقي وغيره ويدل له خبر مسلم أمرنا الله أن نصلي عليك فسكت النبيﷺ حتى تمنينا أننا لم نسأله ثم قالﷺ «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» الحديث. وزاد آخره والسلام كما قد علمتم أي من العلم، ويروى من التعليم لأنهﷺ كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة وصح أن رجلاً قال: يا رسول الله أما السلام عليك فقد عرفناه فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا عليك في صلاتنا صلى الله عليك فصمتﷺ حتى أحببنا أن الرجل لم يسأله فقال: «إذا أنتم صليتم علي فقولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد الحديث». لا يقال تفرد به ابن إسحق ومسلم لم يخرج له إلا في المتابعات. لأنا نقول الأئمة وثقوه وإنما هو مدلس فقط وقد زالت علة التدليس بتصريحه فيه بالتحديث فاتضح أن ذلك خرج مخرج البيان للأمر الوارد في الآية ويوافقه قوله: قولوا فإنها صيغة أمر وهو للوجوب وما صح عن ابن مسعود يتشهد الرجل في الصلاة ثم يُصلِّي على النبيﷺ ثم يدعو لنفسه فهذا الترتيب منه لا يكون من قبل الرأي فيكون في حكم المرفوع وصح أيضاً أنهﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله ولم يصل على النبيﷺ فقال: عجل هذا ثم دعاه فقال له أو لغيره «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ثم يصلي على النبيﷺ ثم يدعو بما شاء» ومحل البداءة

بالتحميد والثناء على الله تعالى جلوس التشهد. وبهذا كله اتضح قول الشافعي رضي الله عنه بوجوب الصلاة على النبيﷺ [1] في التشهد لما

(١) أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن أبي الطفيل، وجعفر بن حبّان قالا: خطب الحسن بن علي رضي الله عنهما بعد وفاة أبيه قال: أيُّها الناس! أنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الذي ارسل رحمة للعالمين، وأنا ابن الداعي إلى الله، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين كان جبرئيل ينزل عليهم، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا**﴾ (الشورى، آية ٢٣)، واقتراف الحسنة مودتنا. ولما نزلت: ﴿**يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليما**﴾ الأحزاب، آية ٥٦)، فقالوا يا رسول الله! كيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، فحقّ على كل مسلم أن يصل علينا فريضة واجبة، وأحلّ الله خمس الغنيمة لنا كما أحل له، وحرم الصدقة علينا كما حرم عليهﷺ، فأخرج جديﷺ يوم المباهلة أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين، ومن النساء فاطمة أمي، فنحن أهله ولحمه ودمه ونحن منه وهو منّا، وهو يأتينا كل يوم عند طلوع الفجر فيقول: الصلاة يرحمكم الله وتلا: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ (الأحزاب: ٣٣) وقد قال الله تعالى: ﴿**أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه**﴾ (هود، آية ١٧) فجدي على بيّنة من ربه، وأبي الذي يتلوه وهو شاهد منه، وأمر الله رسوله أن يبلغ أبي سورة البراءة في موسم الحج، وقال جديﷺ، حين قضى بينه وبين أخيه جعفر ومولاه زيد في ابنة عمه حمزة «أما أنت يا علي فمني وأنا منك، وأنت وليّ كل مؤمن بعدي، فكان أبي أولهم إيماناً، فهو سابق السابقين، وفضل الله السابقين على المتأخرين، كذلك فضل سابق السابقين على السابقين، وذلك أنه لم يسبقه إلى الإيمان أحد غير جدتنا خديجة عليها السلام، وإن الله عزّ وجل بمنّه وبرحمته، فرض عليكم الفرائض لا

علمت منه أنه صح عنهﷺ الأمر بوجوبها فيه ومن أنه صح عن ابن مسعود تعيين محلها وهو بين التشهد والدعاء فكان القول بوجوبها لذلك الذي ذهب إليه الشافعي هو الحق الموافق لصريح السنة ولقواعد الأصوليين ويدل له أيضاً أحاديث صحيحة كثيرة استوعبتها في شرحي الرشاد والعباب مع بيان الرد الواضح على من شنع على الشافعي وبيان أن الشافعي لم يشذ بل قال قبله جماعة من الصحابة كابن مسعود وابن عمر وجابر وأبي مسعود البدري وغيرهم. والتابعين كالشعبي والباقر وغيرهم كاسحاق بن راهويه وأحمد بل لمالك قول موافق للشافعي رجحه جماعة من أصحابه، قال شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ ابن حجر: لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح بعدم الوجوب إلا ما نقل عن إبراهيم النخعي مع إشعاره بأن غيره كان قائلاً بالوجوب انتهى. فزعم أن الشافعي شذ وانه خالف ذلك فقهاء الأمصار مجرد دعوى باطلة لا يلتفت إليها ولا يعول عليها. ومن ثم قال ابن القيم أجمعوا على مشروعية الصلاة عليهﷺ في التشهد وإنما اختلفوا في الوجوب والاستحباب ففي تمسك من لم يوجبها بعمل السلف نظر لأنهم كانوا يأتون بها في صلاتهم فإن أريد بعملهم اعتقادهم احتاج إلى نقل صريح عنهم بعدم الوجوب وأنى يوجد ذلك قال وأما قول عياض إن الناس شنعوا على الشافعي فلا معنى له فأي

لحاجة منه إليها، بل برحمة منه، لا إله إلا هو، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي الله ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، ولتتسابقوا إلى رحمته، وللتفاضلوا منازلكم في جنته». (المحقق).

شناعة في ذلك لأنه لم يخالف في ذلك نصاً ولا إجماعاً ولا مصلحة راجحة بل القول بذلك من محاسن مذهبه ولله در القائل حيث قال:

وإذا محاسني اللاتي أدل بها صارت ذنوباً فقل لي كيف أعتذر

واعلم أن النووي نقل عن العلماء كراهة إفراد الصلاة والسلام عليه ومن ثم قال بعض الحفاظ: كنت أكتب الحديث فأكتب الصلاة فقط فرأيت النبيﷺ في النوم، فقال: أما تتم الصلاة في كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت عليه وسلمت، ولا يحتج بتعليمهم كيفية الصلاة السابقة لأن السلام سبقها في التشهد فلا إفراد فيه، وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام في مواطن منها عقب ما يقال عند ركوب الدابة كما رواه الطبراني في الدعاء مرفوعاً وكذا في غيره وإنما حذف في بعض المواطن اختصاراً وكذا حذف الآل[1] (وقد أخرج) الديلمي أنهﷺ قال: «الدعاء محجوب حتى يصلي على محمد وأهل بيته اللهم صل على محمد وآله». وكأن قضية الأحاديث السابقة وجوب الصلاة على الآل في التشهد الأخير كما هو قول الشافعي خلافاً لما يوهمه كلام الروضة وأصلها ورجحه بعض أصحابه ومال إليه البيهقي. ومن ادعى الإجماع على عدم الوجوب فَقَدْ سَها لكن بقية الأصحاب قد ذهبوا إلى أن اختلاف تلك الروايات من

---

(١) قال السخاوي: قال شيخنا وفيه أي في قول النووي ـ نظر: نعم يكره أن يفرد الصلاة ولا يسلم أصلاً أما لو صلى في وقت وسلم في وقت آخر فإنه يكون ممتثلاً.

أجل أنها وقائع متعددة فلم يوجبوا إلا ما اتفقت الطرق عليه وهو أصل الصلاة عليهﷺ وما زاد فهو من قبيل الأكمل، ولذا استدلوا على عدم وجوب قوله كما صليت على إبراهيم بسقوطه في بعض الطرق وللشافعي رضي الله عنه:

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلِّ عليكم لا صلاة له

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه[1] (الآية الثالثة) قوله تعالى: ﴿**سلام على آل ياسين**﴾[2] فقد نقل جماعة من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد بذلك سلام على آل محمد وكذا قاله الكلبي، وعليه فهوﷺ داخل بالطريق الأولى أو النص كما في اللهم صلّ على آل أبي أوفى، أكثر المفسرين على أن المراد الياس عليه السلام وهو قضية السياق.

(تنبيه) لفظ السلام في نحو هذه الجملة خبر مراد به الإنشاء والطلب على الأصح، والطلب يستدعي مطلوباً منه فطلبه تعالى من

---

(١) ذكر السخاوي مذاهب العلماء في حكم الصلاة على النبي عليه السلام وأنها عشرة وذكر اختلافهم في الوجوب العيني أو الكفائي، وفي المجلس مرة أو كلما ذكر اسمه الشريف وذكر أدلتهم مع البسط والتحقيق في القول البديع وابن القيم في جلاء الأفهام.

(٢) سورة الصافات، الآية ١٣٠.

غيره محال، فالمراد بسلامه تعالى على عباده إما بشارتهم بالسلامة وإما حقيقة الطلب فكأنه طلب من نفسه، إذ سلامه تعالى يرجع لكلامه النفسي الأزلي وتضمنه الطلب منه لإنالة السلامة الكاملة للمسلم عليه غير محال إذ هي طلب نفسي مقتض لتعلق الإرادة به والطلب من النفس معقول يعلمه كل أحد من نفسه، فالحاصل أنه تعالى طلب لهم منه إنالتهم السلامة الكاملة فيتعلق ذلك بهم في الوقت الذي أراد الله تعالى تخصيصهم به كما في أمره ونهيه المتعلقين بنا مع قدمهما. وذكر الفخر الرازي أن أهل بيته يساوونه في خمسة أشياء، في السلام قال السلام عليك أيها النبي وقال ﴿**سلام على آل ياسين**﴾[1] وفي الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي الطهارة. قال تعالى ﴿**طه**﴾[2] أي يا طاهر وقال: يطهركم تطهيراً وفي تحريم الصدقة وفي المحبة قال تعالى: ﴿**فاتبعوني يحببكم الله**﴾[3] وقال ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾[4]. (الآية الرابعة) قوله تعالى ﴿**وقفوهم إنهم مسؤولون**﴾[5] أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أن النبيﷺ قال «وقفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية علي»، وكأن هذا هو مراد الواحدي

---

(١) سورة الصافات، الآية ١٣٠.

(٢) سورة طه، الآية ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٤) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٥) سورة الصافات، الآية ٢٤.

بقوله روي في قوله تعالى وقفوهم إنهم مسؤولون أي عن ولاية عليّ وأهل البيت، لأن الله أمر نبيهﷺ أن يعرف الخلق أنه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودة في القربى، والمعنى أنهم يسئلون هل والوهم حق الموالاة كما أوصاهم النبيﷺ أم أضاعوها وأهملوها فتكون عليهم المطالبة والتبعة انتهى. وأشار بقوله: كما أوصاهم النبيﷺ إلى الأحاديث الواردة في ذلك وهي كثيرة وسيأتي منها جملة في الفصل الثاني.

ومن ذلك حديث مسلم عن زيد بن أرقم قال قام فينا رسول اللهﷺ خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «(أما بعد) أيها الناس إنما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتي رسول ربي عز وجل فأجيبه وإني تارك فيكم الثِّقْلين، أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث فيه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات. فقيل لزيد مَن أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: بلى إن نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده، قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل عباس، قال كل هؤلاء حرم عليهم الصدقة؟ قال نعم. (وأخرج) الترمذي وقال حسن غريب أنهﷺ قال: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

(وأخرجه) أحمد في مسنده بمعناه، ولفظه إني أوشك أن أدعي فأجيب وإني تارك فيكم الثِّقْلين كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بم تخلفوني فيهما». وسنده لا بأس به. وفي رواية أن ذلك كان في حجة الوداع[1] وفي أخرى مثله يعني كتاب الله

---

(١) أخرج البزار في مسنده عن أم هاني بنت أبي طالب قالت: رجع رسول الله ﷺ من حجته حتى نزل بغدير خم، ثم قام خطيباً بالهاجرة فقال: «أيها الناس إني أوشك أن أدعى فأجيب، وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً: كتاب الله حبل طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض». وأخرج ابن عقدة من طريق عمرو بن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جده عن أم سلمة قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بغدير خم، فرفعها حتى رأينا بياض إبطه فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم قال: أيها الناس! إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض. وأخرج الترمذي في جامعه عن أبي ذر أنه أخذ بحلقة باب الكعبة فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

وأخرج الطبراني، وابن جرير، والترمذي، والحاكم في مناقب علي من مستدركه، والإمام أحمد والنسائي وابن عساكر في ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق، وغيرهم بسند مجمع على صحته، عن زيد بن أرقم قال: خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع بغدير خم تحت شجرات، فقال: «أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول، وإنكم مسؤولونن فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت فجزاك الله خيراً، فقال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله،

كسفينة نوح من ركب فيها نجا ومثلهم ـ أي أهل بيته ـ كمثل باب حطة من دخله غفرت له الذنوب. وذكر ابن الجوزي لذلك في العلل المتناهية وهم أو غفلة من استحضار بقية طرقه بل في مسلم عن زيد بن أرقم أنهﷺ قال ذلك يوم غدير خُم ـ وهو ماء بالجحفة ـ كما مر وزاد: «أذكركم الله في أهل بيتي قلنا لزيد من أهل بيته نساؤه؟ قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أهله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده. وفي رواية صحيحة: إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي. زاد الطبراني إني سألت ذلك لهما

وأن محمداً عبده ورسوله، وأن جنته حق وأن ناره حق، وأن الموت حق وأن البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك، قال: اللهم اشهد ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، ثم قال: يا أيها الناس إني فرطكم، وإنكم واردون على الحوض، حوض أعرض مما بين بُصرى إلى صنعاء، فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سائلكم حين تردون عليّ عن الثقلين، كيف تخلفوني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله عز وجل، سبب طرفه بيد الله تعالى، وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنه قد أنبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتى يردا على الحوض» انتهى.

وخطبة رسول اللهﷺ يوم الغدير أخرجها الطبراني في المعجم الكبير عن حذيفة بن أسيد الغفاري، وأخرجه المتقي الهندي في كنز العمال، وفي الفصول المهمة لابن صباغ المالكي، وفي مناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي الشافعي. (المحقق).

فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم». وفي رواية: كتاب الله وسنتي وهي المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب لأن السنة مبينة له فأغنى ذكره عن ذكرها، والحاصل أن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنة وبالعلماء بهما من أهل البيت ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة ثم اعلم أن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً ومر له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه وفي بعض تلك الطرق إنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة. وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه[1] وقد امتلأت الحجرة بأصحابه. وفي أخرى أنه قال ذلك بغدير خم. وفي أخرى أنه قال لمّا قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف كما مر ولا تنافي إذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماماً بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة. وفي رواية عند الطبراني عن ابن عمر آخر ما تكلم به النبيﷺ «اخلفوني في أهل بيتي. وفي أخرى عند الطبراني وأبي الشيخ إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه ومن لم يحفظهن لم يحفظ

---

(١) أخرج ابن عقدة من طريق عروة بن خارجة، عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها قالت: سمعت أبيﷺ في مرضه الذي قُبض فيه يقول، وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: «أيها الناس، يوشك أن أقبض سريعاً، وقد قدمت إليكم القول معذرة إليكم، ألا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل، وعترتي أهل بيتي، ثم أخذ بيد علي فقال: هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألكم ما تخلفوني فيهما». انتهى. (المحقق).

الله دنياه ولا آخرته قلت: ما هن؟ قال: حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي. وفي رواية للبخاري عن الصديق من قوله: يا أيها الناس ارقبوا محمداًﷺ في أهل بيته أي احفظوه فيهم فلا تؤذوهم. (وأخرج) ابن سعد والملا في سيرته أنهﷺ قال: استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار وأنه قال: من حفظني في أهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهداً. (وأخرج) الأول: أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً والثاني حديث في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون. (وأخرج) أحمد هذا الخبر: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت، وفي خبر حسن: ألا إن عيبتي وكرشي أهل بيتي والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم».

(تنبيه) سمى رسول اللهﷺ القرآن وعترته، (وهي بالمثناة الفوقية الأهل والنسل والرهط الأدنون) ثقلين لأن كل نفيس خطير مصون وهذان كذلك إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية والأسرار والحكم العلية والأحكام الشرعية، ولذا حثﷺ على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم وقال: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت» وقيل: سميا ثقلين لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنة رسوله إذ هم الذين لا

يفارقون الكتاب إلى الحوض ويؤيده الخبر السابق ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لأن الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة وقد مر بعضها وسيأتي الخبر الذي في قريش وتعلموا منهم فإنهم أعلم منكم فإذا ثبت هذا العموم لقريش[1] فأهل البيت أولى منهم بذلك لأنهم

---

(١) جاء في لسان العرب ج١٢ ص ٥٣، والنهاية لابن الأثير ج٢ ص ٤٩٠، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ج٣ ص ٢٥١ ط/ دار العلم للجميع، ومجمع الأمثال للميداني، قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة الشقشقية: «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي أمراً هو لي، ثم قالوا ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه». وجاء في الخطبة ١٦٧ من نهج البلاغة قوله عليه السلام، وقد قال له قائل: «إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص، فقال: بل أنتم والله لأحرص وإنما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه». وقال عليه السلام في الخطبة الخامسة: «فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض الله نبيه صلى الله عليه وآله حتى يوم الناس هذا». وقال عليه السلام: «أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا؟ كذباً علينا وبغياً أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطى الهدى، ويستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة من غيرهم». وجاء في آخر الخطبة الثانية من الجزء الأول من النهج قوله عليه السلام: «لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله».

وجاء في التاريخ الكامل لابن الأثير الجزء الثالث في آخر سيرة الخليفة عمر سنة ٢٣،

امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش[1]. وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض كما يأتي ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي إلى آخره. ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته ومن ثم قال أبو بكر على عترة رسول

ص ٢٤: «قال عمر: أتدري ما منع قومكم منكم بعد محمدﷺ؟ قال ابن عباس: أمير المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتجحفوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، قال ابن عباس مستأذناً أما قولك يا أمير المؤمنين: اختارت قريش لأنفسها، فلو أن قريشاً اختارت لأنفسها من حين اختار لها لكان الصواب بيدها غير مردود ومحسود، وأما قولك أبوا لنا النبوة والخلافة فإن الله وصف قوماً بالكراهة قائلاً ﴿**ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم**﴾ (محمد، آية ٩)، فقال عمر: بلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزيل منزلتك مني، فقال ابن عباس ما هي؟ وإن كنت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً فقلت: أما قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأما قولك حسداً فإن آدم حُسد ونحن ولده المحسودون، فقال عمر: هيهات هيهات، أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلا حسداً لا يزول قال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وأوردها العلامة المعتزلي في شرح نهج البلاغة من المجلد الثالث من سيرة عمر ص ١٠٧. (المحقق).

(١) يوصف أهل البيت بأربعة ألفاظ الآل وأهل البيت وذو القربى والعترة. وقيل في العترة إنهم العشيرة وقيل الذرية. كما في الزرقاني على المواهب.

اللهﷺ أي الذين حث على التمسك بهم فخصه لما قلنا وكذلك خصهﷺ بما مر يوم غدير خم. والمراد بالعيبة والكرش مستودع لما يخفي فيه مما به القوام والصلاح لأن الأول لما يحرز فيه نفائس الأمتعة والثاني مستقر الغذاء الذي به النمو وقوام البنية وقيل هما مثلان لاختصاصهم بأموره الظاهرة والباطنة، إذ مظروف الكرش باطن والعيبة ظاهر وعلى كل فهذا غاية في التعطف عليهم والوصية بهم. ومعنى وتجاوزوا عن مسيئهم أي في غيرالحدود وحقوق الآدميين. وهذا ايضاً محمل لخبر الصحيحين أقيلوا ذوي الهيآت عثراتهم. ومن ثم ورد في رواية إلا الحدود، وفسرهم الشافعي بأنهم الذين لا يعرفون الشر ويقرب منه قول غيره هم أصحاب الصغائر دون الكبائر، وقيل من إذا أذنب تاب. (الآية الخامسة) قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**﴾[1]. أخرج الثعلبي في تفسيرها عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه قال: نحن حبل الله الذي قال الله فيه «واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، وكان جده زين العابدين إذا تلا قوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[2] يقول دعاء طويلاً يشتمل على طلب اللحوق بدرجة الصادقين والدرجات العلية وعلى وصف المحن وما أنتحلته المبتدعة المفارقون لأئمة الدين والشجرة النبوية ثم يقول: وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا

---

(١) سورة التوبة، الآية ١١٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

بآرائهم واتهموا مأثور الخبر إلى أن قال: فإلى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام هذه الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضاً والله تعالى يقول: ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات**﴾[1] فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكم إلى أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدى من غير حجة، هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب. (الآية السادسة) قوله تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾[2]. أخرج أبو الحسن المغازلي عن الباقر رضي الله عنه أنه قال في هذه الآية: نحن الناس والله. (الآية السابعة) قوله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾[3] أشارﷺ إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته وإنهم أمان لأهل الأرض كما كان هوﷺ أماناً لهم، وفي ذلك أحاديث كثيرة يأتي بعضها، ومنها «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي أخرجه جماعة كلهم بسند ضعيف. وفي رواية ضعيفة أيضاً أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا

---

(١) سورة آل عمران، اآية ١٠٥.

(٢) سورة النساء، الآية ٥٤.

(٣) سورة الأنفال، الآية ٣٣.

يوعدون. وفي أخرى لأحمد فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء[1] وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض. وفي رواية صححها الحاكم على شرط الشيخين: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس، وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضاً: إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا. وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق. وفي رواية هلك وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له، وفي رواية غفر له الذنوب». وقال بعضهم يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان ـ علماؤهم لأنهم الذين يهتدى بهم كالنجوم والذين إذا فقدوا جاء أهل الأرض من

---

(١) وأخرج الإمام أحمد بسند معتبر عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون». وقال أحمد: إن الله خلق الأرض من أجل النبي فجعل دوامها بدوام أهل بيته وعترته عليهم السلام. وجاء في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي رحمه الله ج١ ص ٢٦، أخرج الحمويني عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء». وأخرجه الحاكم أيضاً عن قتادة عن عطاء عن ابن عباس، وأخرج الحاكم في المستدرك على شرط الشيخين، عن جابر بن عبد الله، وأبي موسى الأشعري وابن عباس، رضي الله عنهم قالوا: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمام لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض. وفي نوادر الأصول عن سلمة بن الأكوع قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي» انتهى. (المحقق).

الآيات ما يوعدون، وذلك عند نزول المهدي لما يأتي في أحاديثه أن عيسى يصلي خلفه ويقتل الدجال في زمنه وبعد ذلك تتابع الآيات، بل في مسلم «أن الناس بعد قتل عيسى الدجال يمكثون سبع سنين ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضه فيبقى شرار في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً» الحديث. قال ويحتمل وهو الأظهر عندي أن المراد بهم سائر أهل البيت فإن الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبيﷺ جعل دوامها بدوامه ودوام أهل بيته، لأنهم يساوونه في أشياء مر عن الرازي بعضه ولأنه قال في حقهم: اللهم إنهم مني وأنا منهم ولأنهم بضعة منه بواسطة أن فاطمة أمهم بضعته فأقيموا مقامه في الأمان انتهى ملخصاً. ووجه تشبيههم بالسفينة فيما مر «أن من أحبهم وعظمهم شكراً لنعمة مشرفهمﷺ وأخذ بهدى علمائهم نجا من ظلمة المخالفات، ومن تخلف عن ذلك غرق في بحر كفر النعم وهلك في مفاوز الطغيان، ومر في خبر: إن من حفظ حرمة الإسلام وحرمتهﷺ وحرمة رحمه، حفظ الله تعالى دينه ودنياه، ومن لا يحفظه لم يحفظ دنياه ولا آخرته. وورد يرد الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتي كهاتين السبابتين ويشهد له خبر: المرء مع من أحب». وباب حطة أن الله تعالى جعل دخول ذلك الباب الذي هو باب أريحاء أو بيت المقدس مع التواضع والاستغفار سبباً للمغفرة وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت سبباً لها كما سيأتي قريباً.

(الآية الثامنة) قوله تعالى: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى**﴾[1] قال ثابت البناني: اهتدى إلى ولاية أهل بيته ﷺ وجاء ذلك عن أبي جعفر الباقر أيضاً. وأخرج الديلمي مرفوعاً إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار[2]. وأخرج أحمد أنه ﷺ أخذ بيد الحسنين وقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة» ولفظ الترمذي وقال حسن غريب. وكان معي في الجنة، ومعنى المعية هنا معية القرب والشهود لا معية المكان والمنزل. وأخرج ابن سعد عن علي أخبرني رسول الله ﷺ «أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين، قلت يا رسول الله فمحبونا؟ قال: من ورائكم». ومر في فضائل أبي بكر رضي الله عنه أنه أول من يدخل الجنة. وفي فضائل عمر رضي الله عنه ذلك أيضاً، ومر الجمع بينهما بما يعلم به محمل هذا الحديث.

ولا تتوهم الرافضة والشيعة قبحهم الله[3] من هذه الأحاديث إنهم

---

(١) سورة طه، الآية ٨٢.

(٢) الحديث من رواية أبي هريرة قال ابن الجوزي: فيه محمد بن زكريا الغلابي وهو من عمله، وقال ابن عراق: وفيه أيضاً بشر بن ابراهيم الأنصاري، وجاء من حديث علي قلت يا رسول الله لم سميت فاطمة؟ قال: إن الله فطمها وذريتها عن النار يوم القيامة. أخرجه ابن عساكر وفي سنده من ينظر فيه كما في تنزيه الشريعة.

(٣) الشيعة على ضربين: الأول شيعة ومحبو وموالو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام وقد عرفوا في زمن النبي ﷺ وبعد وفاته وهم خيرة الصحابة من أمثال سلمان وعمّار وأبي ذر والمقداد وحذيفة وعثمان بن مظعون وعثمان بن

يحبون أهل البيت لأنهم أفرطوا في محبتهم حتى جرهم ذلك إلى تكفير

حنيف ومالك التيهان وخزيمة ذو الشهادتين، وجابر بن عبد الله الأنصاري وابن عباس وأبو أيوب الأنصاري، وعدي بن حاتم وسهل بن سعد الأنصاري وسهيل بن حنيف الأنصاري وغيرهم كثير كثير لا مجال لذكرهم في هذه العجالة، فهؤلاء هم من أسس الشيعة، وهم النخبة من علماء الإسلام في القرن الأول، وهم حماة الدين والملّة والشريعة، ومن قدَّم الغالي والنفيس والروح والمهج في سبيل الإسلام، والشريعة والحق، والنهج المحمدي على هدي القرآن والسنة الصحيحة، وهم من وقف إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام علي بن أبي طالب أخي الرسول صلى الله عليه وآله وابن عمه، وزوج ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين وخليفته ووصيّه الحق من بعده، في حروبه للمارقين والناكثين، في صفين والجمل والنهروان. والثاني: شيعة آل أبي سفيان وهم الذين حاربوا الوصي إمام المتقين علي بن أبي طالب ومحبيه ومواليه في طول البلاد، وعرضها، وقتلوا على الظن والتهمة جميع من لا يسبّ أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء والحسن والحسين ريحانتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسيدي شباب أهل الجنة، وهم الذين قتلوا أبا الأوصياء في مسجد الكوفة، وسموا الإمام الشهيد الحسن بن علي بطريق زوجته جعدة بنت الأشعث، وقتلوا الإمام الشهيد ابن الشهيد الإمام الحسين عليه السلام مع أهل بيته وأصحابه الميامين في كربلاء العراق وأباحوا الدم الحرام في الشهر الحرام وهم من أباح مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله في وقعة «الحرة» وقتلوا عشرة آلاف مسلم وافتضوا بكارة ألف من المسلمات وهتكوا الأعراض وروّعوا الشيوخ والأطفال والنساء، وقتلوا الشهيد زيداً بن علي عليه السلام والعشرات من أهل بيت النبوة، ومن قادة هذا الحزب معاوية بن أبي سفيان ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وعبيد الله بن عمر بن الخطاب المقتول في صفين وزياد بن أبيه والأشعث بن قيس والوليد بن عتبة وعبد الله بن أبي سرح وعمر بن سعد بن أبي وقاص وعبيد الله بن زياد وشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين عليه السلام. (المحقق).

الصحابة وتضليل الأمة، وقد قال علي: يهلك فيَّ محب مفرط يقرظني بما ليس في، ومر خبر لا يجتمع حب علي وبغض أبي بكر وعمر في قلب مؤمن وهؤلاء الضالون الحمقى أفرطوا فيه وفي أهل بيته فكانت محبتهم عاراً عليهم وبواراً قاتلهم الله أنى يؤفكون.

وأخرج الطبراني بسند ضعيف أن علياً أتي يوماً في البصرة بذهب وفضة فقال: أبيضاً وأصفراً غري غيري غري أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك فشق قوله ذلك على الناس فذكر ذلك له فأذن في الناس فدخلوا عليه فقال إن خليليﷺ قال: «يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين»، ثم جمع عليٌّ يده إلى عنقه يريهم الإقماح وشيعته هم أهل السنة لأنهم الذين أحبوهم منذ أمر الله ورسوله وأما غيرهم فأعداؤه في الحقيقة لأن المحبة الخارجة عن الشرع الحائدة عن سنن الهدى هي العداوة الكبرى فلذا كانت سبباً لهلاكهم كما مر آنفاً عن الصادق المصدوقﷺ وأعداؤهم الخوارج ونحوهم من أهل الشام لا معاوية ونحوه من الصحابة لأنهم متأولون فلهم أجر وله هو وشيعته أجران رضي الله تعالى عنهم. ويؤيد ما قلناه من أن أولئك المبتدعة الرافضة والشيعة[1] ونحوهما ليسوا من شيعة علي وذريته

(١) الرافضة في اللغة والاصطلاح والعرف، والتاريخ الإسلامي، هم الذين رفضوا بيعة وخلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبن وهي بيعة حق ودين، أجمع عليها أهل الحل والعقد وصحابة الرسولﷺ الذين كانوا مع الإمام عليعليه السلام في حروبه للرافضين لخلافته من المارقين والناكثين والقاسطين في حروب صفين والجمل والنهروان. ونحن نعتقد بخطأ وانزلاق جميع من حارب الإمامعليه السلام إلا من تاب وآمن

بل من أعدائهم كما أخرجه صاحب المطالب العالية عن علي ومن جملته: أنه مر على جمع فأسرعوا إليه قياماً فقال مَن القوم؟ فقالوا من شيعتك يا أمير المؤمنين، فقال لهم خيراً ثم قال: يا هؤلاء ما لي لا أرى فيكم سمة شيعتنا وحلية أحبتنا فأمسكوا حياء فقال له من معه: نسألك بالذي أكرمكم أهل البيت وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم، فقال: شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمر الله أهل الفضائل الناطقون بالصواب مأكولهم القوت وملبوسهم الاقتصاد ومشيهم التواضع نجعوا لله بطاعته وخضعوا إليه بعبادته مضوا غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم رامقين أسماعهم على العلم بربهم نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت منهم في الرخاء رضوا عن الله تعالى بالقضاء فلولا الآجال التي كتب الله تعالى لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى لقاء الله والثواب وخوفاً من أليم العقاب عظم الخالق في أنفسهم وصغر ما

وعمل عملاً صالحاً، فأولئك يتوب الله عليهم وهو التواب الرحيم، والذي يبدو لي أن المصنف ﷺ اشتبهت عليه الغلاة من الشيعة فقد قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام في الحديث الصحيح: «يا علي هلك فيك إثنان محبّ غال ومبغض قال»، فخلط بين الباطنية الغلاة والشيعة الجعفرية الإمامية الاثني عشرية الذين هم اليوم شطر كبير من العالم الإسلامي وهم الملايين في العراق وإيران وباكستان والهند وبلاد الشام والكثير في أوروبا وتركيا وآسيا والأمريكيتين، وأما الغلاة الذين لا يقيمون الفرائض والسنن ويؤلهون علياً وأهل بيته عليهم السلام ويكفرون فريقاً من صحابة رسول الله ﷺ فهم في الفقه الإسلامي الجعفري قولاً واحداً كفّار وأعيانهم نجسة، وبالتالي لا يجوز مصاهرتهم ولا يرثون المسلمين. وانظر تحرير الوسيلة للإمام الخميني، ومنهاج الصالحين للإمام الخوئي، وشرح اللمعة الدمشقية للشهيدين الأول والثاني. (المحقق).

دونه في أعينهم فهم والجنة كمن رآها فهم على أرائكها متكئون وهم والنار كمن رآها فهم فيها معذبون، صبروا أياماً قليلة فأعقبهم راحة طويلة أرادتهم الدنيا فلم يريدوها وطلبتهم فأعجزوها أما الليل فصافون أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلاً يعظون أنفسهم بأمثاله ويستشفون لدائهم بدوائه تارة وتارة يفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم تجري دموعهم على خدودهم يمجدون جباراً عظيماً ويجأرون إليه في فكاك رقابهم هذا ليلهم فأما نهارهم فحكماء بررة علماء أتقياء براهم خوف باريهم فهم سلطانه ما طاشت له قلوبهم وذهلت منه عقولهم فإذا أشفقوا من ذلك بادروا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية لا يرضون له بالقليل، ولا يستكثرون له الجزيل فهم لأنفسهم متهمون ومن أعمالهم مشفقون ترى لأحدهم قوة في دين، وحزماً في لين وإيماناً في يقين. وحرصاً على علم وفهماً في فقه، وعلماً في حلم وكيساً في قصد، وقصداً في غنى وتجملاً في فاقة وصبراً في شفقة وخشوعاً في عبادة ورحمة لمجهود وإعطاء في حق ورفقاً في كسب، وطلباً في حلال ونشاطاً في هدى واعتصاماً في شهوة لا يغره ما جهله ولا يدع إحصاء ما عمله يستبطئ نفسه في العمل وهو من صالح عمله على وجل يصبح وشغله الذكر ويمسي وهمه الشكر يبيت حذراً من سنة الغفلة ويصبح فرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة ورغبته فيما يبقى وزهادته فيما يفنى وقد قرن العلم بالعمل والعلم بالحلم دائماً نشاطه بعيداً كسله قريباً أمله قليلاً زَلله متوقعاً أجله عاشقاً قلبه شاكراً ربه قانعاً نفسه محرزاً دينه كاظماً غيظه آمناً منه جاره سهلاً أمره معدوماً كبره بيناً صبره كثيراً ذكره لا يعمل شيئاً من

الخير رياء ولا يتركه حياء، أولئك شيعتنا وأحبتنا ومنا ومعنا، ألا هؤلاء شوقاً إليهم. فصاح بعض من معه ـ وهو همام بن عباد بن خيثم وكان من المتعبدين ـ صيحة فوقع مغشياً عليه فحركوه فإذا هو فارق الدنيا فغسل وصلى عليه أمير المؤمنين ومن معه. فتأمل وفقك الله لطاعته وأدام عليك من سوابغ نعمه وحمايته هذه الأوصاف الجليلة الرفيعة الباهرة الكاملة المنيعة تعلم أنها لا توجد إلا في أكابر العارفين لأئمة الوارثين فهؤلاء هم شيعة علي رضي الله تعالى عنه وأهل بيته. وأما الرافضة والشيعة[1]

---

(١) عن ظهور لفظة الشيعة يحدثنا الأستاذ محمد كرد علي في موسوعته «خطط الشام» ج٢ ص ٢٥١ ط/ بيروت ١٩٦٩من قال: إن أول اسم ظهر في الإسلام على عهد رسول الله الشيعة، وكان لقب اربعة من الصحابة وهم: أبو ذر وسلمان، وعمّار، والمقداد. أما أول من نطق بلفظ الشيعة، وخصها بعد عمومها في اللغة بعلي عليه السلام فهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث جاءت الأحاديث الصحيحة عنه بما لشيعة علي من مزايا وفضائل، وعلى سبيل الاستشهاد، ما ورد في «الدر المنثور» للسيوطي في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾ (البينة، آية ٧) قال: وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري(رض) قال: كنا جلوساً عند النبي، فأقبل علي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة». وجاء في الصواعق المحرقة لابن حجر بعد ذكره للآية الآنفة الذكر قال: أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي عدوّك غضابى مقمحين». وجاء في كتاب الملل والنحل للشهرستاني ص ١٠٧، دار المعرفة ـ بيروت ١٤٠٢هـ قال: «الشيعة هم الذين شايعوا علياً وقالوا بإمامته وخلافته، نصاً ووصاية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامية لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو

ونحوهما اخوان الشياطين وأعداء الدين وسفهاء العقول ومخالفو الفروع والأصول ومنتحلو الضلال ومستحقو عظيم العقاب والنكال فهم ليسوا بشيعة لأهل البيت المبرئين من الرجس المطهرين من شوائب النقص والدمس لأنهم أفرطوا وفرطوا في جنب الله فاستحقوا منه أن يبقيهم متحيرين في مهالك الضلال والاشتباه وإنما هم شيعة إبليس اللعين وخلفاء أبنائه المتمردين فعليهم لعنة الله وملائكته والناس أجمعين، وكيف يزعم محبة قوم من لم يتخلق قط بخلق من أخلاقهم ولا عمل في عمره بقول من أقوالهم ولا تأسى في دهره بفعل من أفعالهم ولا تأهل لفهم شيء من أحوالهم ليست هذه محبة في الحقيقة بل بغضة عند أئمة

بتقيّة من عنده».

وجاء في كتاب «دائرة معارف القرن العشرين» لمحمد فريد وجدي ج٥ ص ٤٢٤، ط٤، ١٣٨٦هـ قال: «والشيعة هم الذين شايعوا علياً في إمامته، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عن أولاده، ويقولون بعصمة الأئمة من الكبائر والصغائر، والقول بالتولي، والتبري، إلا في حال التقية إذا خافوا بطش ظالم». وجاء في كتاب «موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي» عن الشيخ المفيد رحمه الله تعالى قال: «الشيعة هم من شايع علياً وقدَّمه على أصحاب رسول الله ﷺ، واعتقد أنه الإمام بوصية من رسول الله أو بإرادة من الله تعالى، نصاً كما يرى الإمامية»، وبعد: فإذا كان من يقول بالتشيع لعلي بن أبي طالب وأبنائه عليهم السلام ويقدمه في الخلافة والولاية على غيره من الصحابة ويتولاهم ويواليهم ويحبهم ويفضلهم على غيرهم من الصحابة ويقول بخطأ من تقدَّم عليهم ويكفر من أقدم على لعنهم وشتمهم على المنابر وقتلهم وسبيهم وتشريدهم. أقول إذا كان من يقول بذلك عند ابن حجر كافراً وملعوناً وضالاً وشيطاناً، فعند الله يجتمع الخصوم ويعلم من المبطل ومن المحق. (المحقق).

الشريعة والطريقة إذ حقيقة المحبة طاعة المحبوب وإيثار محابه ومرضاته على محاب النفس ومرضاتها والتأدب بآدابه وأخلاقه، ومن ثم قال علي كرم الله وجهه: لا يجتمع حبي وبغض أبي بكر وعمر لأنهما ضدان وهما لا يجتمعان. (الآية التاسعة) قوله تعالى: ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾[1] قال في الكشاف لا دليل أقوى من هذا على فضل اصحاب الكساء وهم علي وفاطمة والحسنان لأنها لما نزلت دعاهمﷺ فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفهما فعلم أنهم المراد من الآية وأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة نافعة في الدنيا والآخرة.

ويوضح ذلك أحاديث نذكرها مع ما يتعلق بها تتميماً للفائدة فنقول: صح عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال على المنبر: «ما بال أقوام يقولون إن رحم رسول اللهﷺ لا ينفع قومه يوم القيامة بلى والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم على الحوض. وفي رواية ضعيفة وإن صححها الحاكم أنهﷺ بلغه أن قائلاً قال لبريدة إن محمداً لن يغني عنك من الله شيئاً فخطب ثم قال: ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا ينفع بل حتى ـ جبأ وحكم ـ أي هما قبيلتان من اليمن إني لأشفع فأشفع حتى إن من أشفع له فيشفع حتى إن إبليس ليتطاول طمعاً في

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٦١.

الشفاعة»[1]. (وأخرج) الدارقطني أن علياً[2] يوم الشورى احتج على أهلها فقال لهم: أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرحم مني ومن جعله ﷺ نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري، قالوا اللهم لا، الحديث. (وأخرج) الطبراني أن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب. (وأخرج) أبو

---

(١) ألف ابن عابدين رسالة في ذلك تسمى «العلم الظاهر في نفع النسب الطاهر» ذكر فيها من السنة ما يدل على المطلوب ثم قال: ولا يعارض ذلك أيضاً ما تقدم من الأحاديث من نحو قوله ﷺ «كل سبب ونسب منقطع» لأنه ﷺ لا يملك لأحد من الله شيئاً لا ضراً ولا نفعاً ولكن الله يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك إلا ما يملكه الله له.

(٢) ذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ص ٣١٩ من المجلد الرابع: أن الخليفة أبا بكر حاجّ الأنصار في السقيفة فقال: نحن عترة رسول الله ﷺ وبيضته التي تفقأت عنه فلما بُويع احتج إلى الناس بالبيعة، وعند ذلك قال علي عليه السلام مخاطباً أبا بكر:

فإن كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبيّ وأقرب
وإن كنت بالشورى ملكت أمورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غُيّبُ

ثم قال علي عليه السلام أما احتجاجك على الأنصار بأنك من بيضة رسول الله ﷺ ومن قومه، فغيرك أقرب نسباً منك إليه، وأما احتجاجك بالاختيار ورضا الجماعة بك، فقد كان قوم من جملة الصحابة غائبين لم يحضروا العقد، انتهى.

وجاء في كتاب «الإمامة والسياسة» لابن قتيبة ص ١٥، ط/ مصطفى محمد بمصر، وفي تاريخ اليعقوبي ج٢ ص ١٠٤، أن العباس بن عبد المطلب(رض) عمّ النبي احتج على أبي بكر فقال له في كلام دار بينهما: «فإن كنت برسول الله طلبت، فحقنا أخذت، وإن كنت بالمؤمنين طلبت، فنحن منهم متقدمون فيهم، وإن كان هذا الأمر إنما يجب لك بالمؤمنين، فما وجب إذ كنا كارهين». انتهى. (المحقق).

الخير الحاكمي وصاحب كنوز المطالب في بني أبي طالب أن علياً دخل على النبيﷺ وعنده العباس فسلم فرد عليهﷺ السلام وقام فعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه فقال له العباس: أتحبه؟ قال: «يا عم والله لله أشد حباً له مني إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب هذا، زاد الثاني في روايته إنه إذا كان يوم القيامة دُعِيَ الناس بأسماء أمهاتهم ستراً عليهم إلا هذا وذريته فإنهم يدعون بأسمائهم لصحة ولادتهم. (وأخرج) أبو يعلى والطبراني أنهﷺ قال كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم» وله طرق يقوي بعضها بعضاً. وقول ابن الجوزي بعد أن أورد ذلك في العلل المتناهية أنه لا يصح غير جيد كيف وكثرة طرقه ربما توصله إلى درجة الحسن. بل صح عن عمر أنه خطب أم كلثوم من علي فاعتلّ بصغرها وبأنه أهداها لابن أخيه جعفر فقال له: ما أردت الباءة ولكن سمعت رسول اللهﷺ يقول: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي وكل بني أنثى عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم». وفي رواية أخرجها البيهقي والدارقطني بسند رجاله من أكابر أهل البيت أن علياً عزل بناته لولد أخيه جعفر فلقيه عمر رضي الله تعالى عنهما فقال له: يا أبا الحسن أنكحني ابنتك أم كلثوم بنت فاطمة بنت رسول اللهﷺ، فقال: فقد حبستهن لولد أخي جعفر فقال عمر: إنه والله ما على وجه الأرض من يرصد من حسن صحبتها ما أرصد فأنكحني يا أبا الحسن، فقال: قد أنكحتكها، فعاد عمر إلى مجلسه بالروضة مجلس المهاجرين والأنصار فقال: هنوني، قالوا بمن يا أمير المؤمنين قال بأم كلثوم بنت علي وأخذ

يحدث أنه سمع رسول اللهﷺ يقول: «كل صهر أو سبب أو نسب ينقطع يوم القيامة إلا صهري وسببي ونسبي» وإنه كان لي صحبة فأحببت أن يكون لي معها سبب. وبهذا الحديث المروي من طريقة أهل البيت يزداد التعجب من إنكار جماعة من جهلة أهل البيت في أزمنتنا تزويج عمر بأم كلثوم[1]. لكن لا عجب لأن أولئك لم يخالطوا العلماء ومع ذلك استولى على عقولهم جهلة الروافض فأدخلوا فيها ذلك فقلدوهم فيه وما دروا أنه عين الكذب ومكابرة للحس إذ من مارس العلماء وطالع كتب الأخبار والسنن علم ضرورة أن علياً زوجها له وأن إنكار ذلك جهل وعناد ومكابرة للحس وخبال في العقل وفساد في الدين وفي رواية للبيهقي أن عمر لما قال: فأحببت أن يكون لي من رسول اللهﷺ سبب ونسب، قال علي للحسنين زوجا عمكما فقالا هي امرأة من النساء تختار لنفسها فقام علي مغضباً فأمسك الحسن ثوبه وقال لا صبر لنا على هجرانك يا أبتاه فزوجاه. وفي رواية أن عمر صعد المنبر فقال: أيها الناس إنه والله ما حملني على الإلحاح على علي في ابنته إلا أني سمعت رسول اللهﷺ يقول كل حسب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلاّ حسبي ونسبي وصهري

---

(١) أقول وبالله التوفيق: إن مسألة تزويج عمر بن الخطاب الخليفة الثاني من أم كلثوم بنت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام اختلف حولها العلماء فأكثر أئمة أهل البيت عليهم السلام أن الزواج قد وقع قسراً، وعنوة وبهيبة الخلافة وسطوتها وأن عظيماً من أئمة أهل البيت قال حينما سئل عن هذه المسألة: «ذاك فرج قد اغتصبناه» وقال فريق آخر من أهل البيت، ومحبوهم: أنّ الزواج لم يقع وأنكروا التزويج والله العالم. (المحقق).

فأمر بها علي فزينت وبعث بها إليه فلما رآها قام إليها وأجلسها في حجره وقبلها ودعا لها فلما قامت أخذ بساقها وقال لها: قولي لأبيك قد رضيت قد رضيت فلما جاءت قال لها ما قال لك؟ فذكرت له جميع ما فعله وما قاله وأنكحها إياه فولدت له زيداً مات رجلاً. وفي رواية أنه لما خطبها إليه قال حتى استأذن ولد فاطمة فأذنوا له. وفي رواية أن الحسين سكت وتكلم الحسن فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أبتاه من بعد عمر صحب رسول الله ﷺ وتوفي وهو عنه راض ثم ولي الخلافة فعدل، فقال له أبوه: صدقت ولكن كرهت أن أقطع أمراً دونكما ثم قال لها: انطلقي إلى أمير المؤمنين فقولي له إن أبي يُقرؤك السلام ويقول لك إنا قد قضينا حاجتك التي طلبت فأخذها عمر وضمها إليه وأعلم من عنده أنه تزوجها فقيل له إنها صبية صغيرة فذكر الحديث السابق. وفي آخره أردت أن يكون بيني وبين رسول الله ﷺ سبب وصهر، وتقبيله وضمه لها على جهة الإكرام لأنها لصغرها لم تبلغ حداً تشتهي حتى يحرم ذلك ولولا صغرها لما بعث بها أبوها ذلك، ثم حديث عمر هذا جاء عن جماعة آخرين من الصحابة كالمنذر وابن عباس وابن الزبير وابن عمر قال الذهبي وإسناده صالح.

(تنبيه) علم مما ذكر في هذه الأحاديث عظيم نفع الانتساب إليه ﷺ ولا ينافيه ما في أحاديث أخر من حثه لأهل بيته على خشية الله واتقائه وطاعته وأن القرب إليه يوم القيامة إنما هو بالتقوى فمن ذلك الحديث الصحيح أنه لما نزل قوله تعالى ﴿**وانذر عشريتك الأقربين**﴾[1] دعا

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

قريشاً فاجتمعوا فعم وخص وطلب منهم أن ينقذوا أنفسهم من النار إلى أن قال: «يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها. (وأخرج) أبو الشيخ عن ابن حبان: يا بني هاشم لا يأتين الناس يوم القيامة بالآخرة يحملونها على ظهورهم وتأتون بالدنيا على ظهوركم لا أغني عنكم من الله شيئاً. (وأخرج) البخاري في الأدب المفرد أن أوليائي يوم القيامة المتقون وإن كان نسب أقرب من نسب لا تأتي الناس بالأعمال وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم فتقولون: يا محمد فأقول هكذا هكذا وأعرض في كلا عطفيه. (وأخرج) الطبراني أن أهل بيتي هؤلاء يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك إنما أوليائي منكم المتقون من كانوا وحيث كانوا.

(وأخرج) الشيخان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سر يقول: إن آل بني فلان ليسوا بأوليائي إنما ولي الله وصالح المؤمنين، زاد البخاري لكن لهم رحم سأبلها ببلالها ـ يعني سأصلها بصلتها» ـ ووجه عدم المنافاة كما قاله المحب الطبري وغيره من العلماء أنه ﷺ لا يملك لأحد شيئاً لا نفعاً ولا ضراً لكن الله عز وجل يملكه نفع أقاربه بل وجميع أمته بالشفاعة العامة والخاصة فهو لا يملك إلا ما يملكه له مولاه كما أشار إليه بقوله: غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها وكذا معنى قوله: لا أغني عنكم من الله شيئاً، أي بمجرد نفسي من غير ما يكرمني به الله من نحو شفاعة أو

مغفرة، وخاطبهم بذلك رعاية لمقام التخويف والحث على العمل والحرص على أن يكونوا أولى الناس حظاً في تقوى الله وخشيته. ثم أومأ على حق رحمه إشارة إلى إدخال نوع طمأنينة عليهم، وقيل هذا قبل علمه بأن الانتساب إليه ينفع وبأنه يشفع في إدخال قوم الجنة بغير حساب ورفع درجات آخرين وإخراج قوم من النار، ولما خفي ذلك الجمع عن بعضهم حمل حديث «كل سبب ونسب» على أن المراد أن أمتهﷺ يوم القيامة ينسبون إليه بخلاف أمم الأنبياء لا ينسبون إليهم وهو بعيد. وإن حكاه وجهاً في الروضة، بل يرده ما مر من استناد عمر إليه في الحرص على تزويجه بأم كلثوم وإقرار علي والمهاجرين والأنصار له على ذلك. ويرده أيضاً ذكر الصهر والحسب مع السبب والنسب كما مر. وغضبهﷺ لما قيل إن قرابته لا تنفع على أن في حديث البخاري ما يقتضي نسبة بقية الأمم إلى أنبيائهم فإن فيه يجيء نوح عليه السلام وأمته فيقول الله تعالى: «هل بلغت» فيقول: اى رب نعم فيقول لأمته: هل بلغكم، الحديث. وكذا جاء في غيره واعلم أنه استفيد من قولهﷺ في الحديث السابق: إن أوليائي منكم المتقون وقوله: «إنما وليي الله وصالح المؤمنين» أن نفع رحمه وقرابته وشفاعته للمذنبين من أهل بيته وإن لم تنتف لكن ينتفي عنهم بسبب عصيانهم ولاية الله ورسوله لكفرانهم نعمة قرب النسب إليه بارتكابهم ما يسوءهﷺ عند عرض عملهم عليه ومن ثم يعرضﷺ عمن يقول له منهم يوم القيامة يا محمد كما في الحديث السابق، وقد قال الحسن بن الحسن السبط لبعض

الغلاة فيهم: «ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصيناه فأبغضونا. ويحكم لو كان الله نافعاً بقرابة من رسول اللهﷺ بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا، والله إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين وإن يؤتى المحسن منا أجره مرتين» وكأنه أخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿**يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين**﴾[1].

(**خاتمة**) علم من الأحاديث السابقة اتجاه قول صاحب التلخيص من اصحابنا. من خصائصهﷺ أن أولاد بناته ينسبون إليهﷺ وأولاد بنات غيره لا ينسبون إلى جدهم من الكفاءة وغيرها، وأنكر ذلك القفال وقال لا خصوصية بل كل أحد ينسب إليه أولاد بناته ويرده الخبر السابق كل بني أم ينتمون إلى عصبة إلى آخره، ثم معنى الانتساب إليهﷺ الذي هو من خصوصياته أنه يطلق عليه أنه أب لهم وأنهم بنوه حتى يعتبر ذلك في الكفاءة فلا يكافئ شريفة هاشمي غير شريف. وقولهم إن بني هاشم بالمطلب أكفاء محله فيما عدا هذا الصورة كما بينته بما فيه في إفتاء طويل مسطر في الفتاوى. وحتى يدخلون في الوقف على أولاده والوصية لهم، وأما أولاد بنات غيره فلا يجري فيهم مع جدهم لأمهم هذه الأحكام. نعم يستوي الجد للأب والأم في الانتساب إليهما من حيث تطلق الذرية والنسل والعقب عليهم فأراد صاحب التلخيص

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٠.

بالخصوصية ما مر وأراد القفال لعدمها هذا وحينئذ فلا خلاف بينهما في الحقيقة[1].

ومن فوائد ذلك أيضاً أنه يجوز أن يقال للحسنين أبناء رسول اللهﷺ وهو أب لهما اتفاقاً، ولا يجري فيه القول الضعيف لأنه لا يجوز أن يقال لهﷺ أب المؤمنين ولا عبرة بمن منع ذلك حتى في الحسنين من الأمويين للخبر الصحيح الآتي عن ذلك أنّ ابني هذا سيد: ومعاوية وإن نقل عنه ذلك لكن نقل عنه ما يقتضي أنه رجع عن ذلك وغير معاوية من بقية الأمويين المانع لذلك لا يعتد به. وعلى الأصح فقوله تعالى: ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**﴾[2] إنما سيق لانقطاع حكم التبني لا لمنع هذا الاطلاق المراد به أنه أبو المؤمنين في الاحترام والإكرام. (الآية العاشرة) قوله تعالى: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾[3] نقل القرطبي عن ابن عباس أنه قال: رضي محمدﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار وقاله السدي انتهى. (وأخرج) الحاكم وصححه أنهﷺ قال: «وعدني ربي في أهل بيتي من أقرّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم». (وأخرج) الملا «سألت ربي أن لا يدخل

(١) ذكر القاسمي في كتابه شرف الأسباط الأدلة على شمول البنوة والذرية أولاد البنات وأعقابهم حفدة وأسباطاً، وتوسع في ذلك وذكر فتاوى العلماء في باب الوقف بأن الذرية والعقب والنسل والبنين والأولاد تتناول أولاد البنات.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

(٣) سورة الضحى، الآية ٥.

النار أحد من أهل بيتي فأعطاني ذلك». (وأخرج) أحمد في المناقب أنهﷺ قال: يا معشر بني هاشم والذي بعثني بالحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم. (وأخرج) الطبراني عن علي قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «أول من يرد على الحوض أهل بيتي[1] ومن أحبني

---

(١) جاء في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي قوله:

أخرج أبو نعيم الحافظ عن أبي هريرة قال: قال رسول اللهﷺ لعليعليه السلام: «أنت يا علي على حوضي، تذود عنه المنافقين، وإن أباريقه عدد نجوم السماء! أنت والحسن والحسين، وحمزة وجعفر، في الجنة إخواناً، على سرر متقابلين، وأنت وأتباعك معي، ثم قرأ ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سرر متقابلين**﴾ (الحجر، آية ٤٧). وفي مسند أحمد، عن الحسن بن علي (رضي الله عنهما) قال: نزلت فينا هذه الآية.

وجاء في جواهر التعديل، أخرج الطبراني عن أبي كثير قال: كنت جالساً عند الحسن بن علي (رضي الله عنهما)، جاء رجل فقال له: إن معاوية بن خديج يسبّ أباك عند ابن أبي سفيان، فقال له: إن رأيته من بعد فأرنيه. فرآه ذاك الرجل، فقال الحسنعليه السلام لابن خديج: أنت تسبّ أبي عند ابن آكلة الأكباد؟! أما لئن وردت على الحوض وما أراك ترده، لتجدن أبي مشمراً حاسراً ذراعيه، يذود المنافقين عن حوض رسول اللهﷺ، وهذا قول المصدوق الصادقﷺ.

وجاء في المناقب للإمام أحمد، أنّ رسول اللهﷺ قال: «أعطيت في علي خمسة من أحب إليّ من الدنيا وما فيها، إلى أن قال: وأما الثالثة، فهو واقف على حوضي يسقي من عرفه من أمتي.

وفي عيون الأخبار، سئل الرضاعليه السلام عن حديث: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فقال: هذا حديث صحيح، لكن يريد من لم يبدل بعده ولم يغير، لأنهﷺ قال: «ليذدن رجال من أصحابي يوم القيامة عن حوضي، كما تذاد الإبل عن الماء، فأقول: يا ربي إنهم أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فيؤخذ بهم

من أمتي»، وهو ضعيف والذي صح أول من يرد على الحوض فقراء المهاجرين، فإن صح الأول أيضاً حمل على أن أولئك أول من يرد بعد هؤلاء.

(وأخرج) المخلص والطبراني والدارقطني: «أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من اليمن، ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أولاً أفضل. وعند البزار والطبراني وغيرهما أول من أشفع له من أمتي من أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف». ويجمع بينهما بأن ذاك فيه ترتيب من حيث القبائل وهذا فيه ترتيب من حيث البلدان، فيحتمل أن المراد البداءة في قريش بأهل المدينة ثم مكة ثم الطائف وكذا في الأنصار ثم من بعدهم ومن أهل مكة بذلك على هذا الترتيب ومن أهل الطائف بذلك كذلك. (وأخرج) تمام والبزار والطبراني وأبو نعيم أنه ﷺ قال: فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار. وفي رواية فحرمها الله وذريتها على النار[1]. (وأخرج) الحافظ أبو القاسم الدمشقي

ذات الشمال، فأقول: بعداً لهم وسحقاً لهم! والأحاديث الواردة في دفع الأصحاب، تسعة مها في مسلم، وثمانية في البخاري، وأيضاً في الترمذي والنسائي وابن ماجة موجود، وفي المشكاة حديثان. (المحقق).

(١) أخرج بن عدي من حديث ابن مسعود من طريق عمر بن غياث مرفوعاً إن فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار وابن غياث من شيوخ الشيعة ضعفه الدارقطني والذهبي وللحديث شاهد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني من

أنهﷺ قال: «يا فاطمة لم سميت فاطمة؟ قال علي: لم سميت فاطمة يا رسول الله؟ قال: إن الله قد فطمها وذريتها من النار. (وأخرج) النسائي أن ابنتي فاطمة حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث إنما سماها فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار. (وأخرج) الطبراني بسند رجاله ثقات أنهﷺ قال لها: إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك. وورد أيضاً يا عباس إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك. وصح يا بني عبد المطلب. وفي رواية يا بني هاشم إني قد سألت الله عز وجل لكم أن يجعلكم رحماء نجباء وسألته أن يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم. (وأخرج) الديلمي وغيره أنهﷺ قال: نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر بن أبي طالب والحسن والحسين والمهدي، وفي حديث ضعيف عن علي شكوت إلى رسول اللهﷺ حسد الناس فقال لي: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة، أول من يدخل الجنة أنا وأنت الحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وذريتنا خلف أزواجنا». (وأخرج) أحمد في المناقب أنهﷺ قال لعلي: «أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا

قول الرسول لفاطمة: «إن الله غير معذبك ولا ولدك». قال في مجمع الزوائد رجاله ثقات، وخصه محمد الرضا بالحسن والحسين وعم الولد أبو كريب فيمن أطاع من أولادها في النسب. وأما الحديث الذي بعده فقد تقدم القول فيه وأما حديث إن ابنتي فاطمة حوراء فأخرجه الخطيب وليس بثابت وفيه غير واحد من المجهولين، ورواية أسماء أيضاً بأنها لم تر لفاطمة حيضاً ولا نفاساً. أورده المحب الطبري في ذخائر العقبى وهو باطل كما ذكره ابن عراق.

وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا». ومر عن علي في الآية التاسعة بيان صفة تلك الشيعة فراجع ذلك فإنه مهم، وبه تبين لك أن الفرقة المسماة بالشيعة الآن إنما هم شيعة إبليس[1] لأنه استولى

---

(١) جاء في كتاب «الصلة بين التصوف والتشيع» للدكتور كامل مصطفى ص ٢٣، ط/ بغداد ما يلي: «ويتضح بعد ذلك أن التشيع قد عاصر بدء الإسلام باعتباره جوهراً، وأنه ظهر كحركة سياسية بعد أن نازع معاوية علياً على الإمارة وتدبير شؤون المسلمين. ويتبين بعد ذلك أن تبلور الحركة السياسية تحت اسم الشيعة، كان بعد قتل الإمام الحسين مباشرة، وإن كانت الحركة سبقت الاصطلاح، وبذلك يمكننا أن نلخص هذا الفصل في كلمة بيانها، أن التشيع كان تكتلاً إسلامياً ظهرت نزعته أيام النبي، وتبلور اتجاهه بعد قتل عثمان، واستقل الاصطلاح عليه بعد قتل الحسين عليه السلام.

ومما تقدّم علمنا أن الشيعة الجعفرية الاثني عشرية الإمامية هم المسلمون الذين أخذوا بمذهب أهل البيت واستندوا في الدرجة الأولى إلى الكتاب والسنة، وهم من صميم الإسلام الذين أحبوا علياً وأهل بيته، ونهجوا نهجهم واقتدوا بسيرتهم العطرة، عقيدة ونهجاً وفكراً، لأنهم أقرب إلى الإسلام وإلى نهج القرآن والعمل بهدي سيد الأنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن خلافة أهل البيت ثابتة بالنصوص الصحيحة والأحاديث المعتبرة، سواء استلموا زمام السلطة أم لم يستلموها، وسواء عاداهم الناس وأبغضوهم وخذلوهم أم أحبوهم وناصروهم، فهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين نص عليهم بشهادة القريب والبعيد، وأن الحقيقة المجردة التي تعنيها تلك الأحاديث هي وجوب رجوع المسلمين قاطبة إلى هؤلاء الخلفاء في الأحكام الشرعية الإسلامية، وهذا سر قوله لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي». وقوله لعلي عليه السلام: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وقوله في أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى».

على عقولهم فأضلها ضلالاً مبيناً. (وأخرج) الطبراني أنهﷺ قال لعلي: «أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا». وسنده ضعيف لكن يشهد له ما صح عن ابن عباس أن الله يرفع ذرية المؤمن معه في درجته وإن كانوا دونه في العمل ثم قرأ. ﴿**والذين آمنوا واتَّبَعَتْهُمْ ذرِّيتُهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**﴾[1] الآية. (وأخرج) الديلمي يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك

وجاء في كتاب «كنز العمال» للمتقي الهندي ج٦ ص ٢٠١، توفي ٩٧٥هـ منسورات مكتبة التراث الإسلامي حلب ـ سوريا، ما يلي: «عن ابن مسعود قال: قال رسول اللهﷺ: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر خليفة قيماً لا يضرهم من خذلهم، كلهم من قريش» ويضيف الهيثمي في مجمعه، قال: «لا يضرهم عداوة من عاداهم» فالتفت خلفي فإذا بعمر بن الخطاب في أناس فأثبتوا الحديث كما سمعت. وفي صحيح البخاري من كتاب «الأحكام» عن جابر بن سمرة قال: «سمعت النبيﷺ يقول: «يكون إثنا عشر أميراً: فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: كلهم من قريش». ورواه الإمام أحمد في مسنده بطريقين في الصفحات ٥-٩-٩٢، والترمذي في صحيحه. وفي صحيح مسلم روي بسندين عن عامر بن سعد عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول يوم الجمعة، عشية رجم الأسلمي «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم إثنا عشر خليفة كلهم من قريش» قلت: لا يمكن أن يحمل على ملوك بني أمية لزيادتهم على اثني عشر، ولظلمهم وخبثهم، ما خلا العبد الصالح عمر بن العزيز، ولا ملوك بني العباس لفحش انحرافهم عن الملة ولزيادتهم على العدد المذكور ولمخالفتهم الآية ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ (الشورى، آية ٢٣). (المحقق).

(١) سورة الطور، الآية ٢١.

ولشيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين وهو ضعيف، وكذا خبر أنت وشيعتك تردون على الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم وإن عدوك يردون على الحوض ظماء مقمحين»، ضعيف أيضاً[1]، ومرَّ بيان

---

(١) جاء في تاريخ ابن عساكر الشافعي من ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ دمشق والمناقب للخوارزمي الحنفي، وشواهد التنزيل للحسكاني الحنفي ج٢، وكفاية الطالب للكنجي الشافعي، وكنوز الحقائق للمناوي الشافعي، قوله ﷺ مشيراً إلى علي بن أبي طالب عليه السلام: «والذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة». وقوله: «أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا».

جاء في كتاب الغدير ج٩ ص ٢٦٤-٣٩٦، وفي كتاب أضواء على السنة المحمدية ص ١٢٦-١٣٤، أنّ وضع الأحاديث تطوّر كثيراً في عهد معاوية بن أبي سفيان فصار طلاب الدنيا يضعون عشرات الأحاديث في فضائله وفضائل بني أمية، ويضعون الذم لأعدائه. وقال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي فيما نقله عنه العلامة ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: إن معاوية حمل قوماً من الصحابة، وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلقوا له ما أرضاه قال: منهم: أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شيبة، ومن التابعين عروة بن الزبير. وفي دولة بني العباس لم يكن وضع الحديث أقل من الدور الذي كان في عهد الدولة الأموية فقد وضع الوضاعون الحديث في فضائل بني العباس، وإخبار النبي بدولتهم: راجع أضواء على السنة المحمدية ص ١٣٥، وجاء في البيان والتبيين للجاحظ ج٢ ص ٨٥« تمكن معاوية بن أبي سفيان من أن يجلس بالكوفة للبيعة، ويبايعه الناس على البراءة من علي بن أبي طالب». وقد أجمع المؤرخون على أن ابن آكلة الأكباد معاوية كان يلعن في الصلاة علي بن أبي طالب، والحسن والحسين وابن عباس، فالأمويون وشيعة آل أبي سفيان الذين حاربوا علي بن أبي

صفات شيعته فاحذر من غرور الضالين وتمويه الجاحدين الرافضة والشيعة ونحوهما ﴿**قاتلهم الله أنى يؤفكون**﴾[1].

الآية الحادية عشرة) قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية**﴾[2]. (أخرج) الحافظ جمال الدين الذرندي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية لما نزلت قالﷺ لعلي: «هو أنت وشيعتك تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مقمحين. قال: ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك ولعنك»[3]. وخبر «السابقون إلى ظل العرش يوم القيامة طوبى لهم. قيل ومن هم يا رسول الله؟ قال: شيعتك يا علي ومحبوك»، فيه كذاب. واستحضر ما مر في صفات شيعته واستحضر أيضاً الأخبار السابقة في المقدمات أول الباب في الرافضة. (وأخرج) الدارقطني «يا أبا الحسن أما

طالب والحسن والحسين وأفتوا بقتالهم وحربهم وحلّية دمائهم، هم الرافضة لأنهم رفضوا الكتاب والسنة، والحق، واتهام الشيعة بالرفض قديم وفي ذلك يقول الإمام الشافعي رحمه الله وشعره الآتي من المتواتر قال:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الشأن أنكم ... من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

ويقول:

إن كان رفضاً حب آل محمّد ... فليشهد الثقلان أنّي رافضي

(المحقق)

(١) سورة التوبة، الآية ٣٠.

(٢) سورة البينة، الآية ٧.

(٣) أول من سنَّ لعن علي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام على المنابر معاوية وبنو أمية.

أنت وشيعتك في الجنة وإن قوماً يزعمون أنهم يحبونك يصغرون الإسلام. ثم يلفظونه يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية لهم نبز يقال لهم الرافضة فإن أدركتهم فقاتلهم فإنهم مشركون». قال الدارقطني: لهذا الحديث عندنا طرقات كثيرة، ثم أخرج عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كانت ليلتي وكان النبيﷺ عندي فأتته فاطمة فتبعها علي رضي الله عنهما فقال النبيﷺ «يا علي أنت وأصحابك في الجنة أنت وشيعتك في الجنة إلا أنه ممن يحبك أقوام يصغرون الإسلام يلفظونه يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم لهم نبز يقال لهم الرافضة فجاهدهم فإنهم مشركون، قالوا يا رسول الله ما العلامة فيهم؟ قال: لا يشهدون جمعة ولا جماعة، ويطعنون على السلف»[1]. ومن ثم قال موسى بن علي بن الحسين بن علي وكان فاضلاً عن أبيه عن جده إنما شيعتنا من أطاع الله ورسوله وعمل أعمالنا. (الآية الثانية عشرة) قوله تعالى: ﴿**وإنه لعلم للساعة**﴾[2] قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين إن هذه

---

(١) أخرج مسلم في صحيحه في ص ١٢٠ من الجزء الثاني، ورواه سائر أصحاب السنن، عن حذيفة بن اليمان(رض) قوله ﷺ: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال حذيفة: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع» وقوله ﷺ في حديث أم سلمة: «ستكون أمراء عليكم، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برىء، ومن أنكر سلم، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا» انتهى. (المحقق).

(٢) سورة الزخرف، الآية ٦١.

الآية نزلت في المهدي وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي وحينئذ ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة وعلي رضي الله عنهما وأن الله ليخرج منهما طيباً وأن يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة، وسر ذلك أنهﷺ أعاذها وذريتها من الشيطان الرجيم، ودعا لعلي بمثل ذلك وشرح ذلك كله يعلم بسياق الأحاديث الدالة عليه. (وأخرج) النسائي بسند صحيح أن نفراً من الأنصار قالوا لعلي رضي الله عنه لو كانت عندك فاطمة فدخل على النبيﷺ يعني ليخطبها. فسلم عليه فقال له ما حاجة ابن أبي طالب، قالِ فذكرت فاطمة فقالﷺ مرحباً وأهلاً فخرج على الرهط من الأنصار ينتظرونه فقالوا له: ما وراءك قال ما أدري غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً، قالوا يكفيك من رسول اللهﷺ أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب فلما كان بعد ما زوّجه قال له: يا علي إنه لا بد للعرس من وليمة قال سعد رضي الله عنه عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار أصوعاً من ذرة فلما كان ليلة البناء قال: يا علي لا تحدث شيئاً حتى تلقاني فدعا بماء فتوضأ به ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي الله عنهما فقال: اللهم بارك لهما في نسلهما. وفي رواية في شملهما ـ وهو بالتحريك الجماع ـ وفي أخرى شبليهما قيل وهو مصحف فإن صحت فالشبل ولد الأسد فيكون ذلك كشفاً وإطلاعاً منهﷺ على أنها تلد الحسنين فأطلق عليهما شبلين وهما كذلك.

(وأخرج) أبو علي الحسن بن شاذان أن جبريل جاء إلى النبيﷺ

فقال إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي فدعاﷺ جماعة من أصحابه فقال: «الحمد لله المحمود بنعمته الخطبة المشهورة[1] ثم زوج علياً وكان غائباً وفي آخرها فجمع الله شملهما وطيب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمان الأمة»، فلما حضر علي تبسمﷺ وقال له: إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك؟ فقال: قد رضيتها يا رسول الله، ثم خر علي ساجداً لله شكراً فلما رفع رأسه قال لهﷺ «بارك الله لكما وبارك فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب». قال أنس رضي الله عنه والله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وأخرج أكثره أبو الخير القزويني الحاكمي. والعقد له مع غيبته سائغ لأن من خصائصهﷺ أن ينكح من شاء لمن شاء بلا إذن لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم، على أنه يحتمل أنه بحضور وكيله ويحتمل أنه إعلام لهم بما سيفعله وقوله رضيتها، يحتمل أنه إخبار عن رضاه بوقوع العقد السابق من وكيله فهي واقعة حال محتملة.

وأخرج أبو داود السجستاني أن أبا بكر[2] خطبها فأعرض عنهﷺ ثم

---

(١) هذه القصة وهذه الخطبة أخرجها الخطيب في تلخيص المتشابه من حديث أنس وابن عساكر من حديث جابر والروايتان باطلتان الثانية فيها محمد بن دينار العرفي كما في تنزيه الشريعة.

(٢) جاءت الأخبار متواترة عن أئمة أهل بيت النبوةعليهم السلام بأنه لو لم تتزوج فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمينعليها السلام من علي بن أبي طالبعليه السلام لم يكن لها كفؤ غيره، وقد صح في الحديث المتواتر قولهﷺ: «أمرني ربي أن أزوّج علياً بفاطمة، وأن جبريل أعلمني أن الله زوجها في السماء». (المحقق).

عمر فأعرض عنه فأتيا علياً فنبهاه إلى خطبتها فجاء فخطبها فقال ﷺ ما معك؟ فقال فرسي وبدني قال: أما فرسك فلا بد لك منه وأما بدنك فبعها وأتني بها، فباعها بأربعمائة وثمانين ثم وضعها في حجره فقبض منها قبضة وأمر بلال أن يشتري بها طيباً، ثم أمرهم أن يجهزوها فعمل لها سرير مشرط ووسادة من أدم حشوها ليف وملأ البيت كثيباً يعني رملاً وأمر أم أيمن أن تنطلق إلى ابنته وقال لعلي لا تعجل حتى آتيك ثم أتاهم ﷺ فقال لأم أيمن «ههنا أخي قالت أخوك وتزوجه ابنتك قال: نعم، فدخل على فاطمة ودعا بماء فأتته بقدح فيه ماء فمج فيه، ثم نضح على رأسها وبين ثدييها وقال: اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم، ثم قال لعلي: ائتني بماء فعلمت ما يريد فملأت القعب فأتيته به فنضح منه على رأسي وبين كتفي وقال: اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. ثم قال ادخل بأهلك على اسم الله تعالى وبركته». وأخرج أحمد وأبو حاتم نحوه وقد ظهرت بركة دعائه ﷺ في نسلهما فكان منه من مضى ومن يأتي ولو لم يكن في الآتين إلا الإمام المهدي لكفى وسيأتي ـ في الفصل الثاني ـ جملة مستكثرة من الأحاديث المبشرة به، ومن ذلك ما أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه والبيهقي وآخرون: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة. وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله فيه رجلاً من عترتي، وفي رواية رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وفي رواية لمن عدا الأخير: لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي. وفي أخرى لأبي داود والترمذي لو لم يبق

من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأحمد وغيره المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة والطبراني المهدي منا يختم الدين بنا كما فتح بنا والحاكم في صحيحه يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلاطينهم لم يسمع بلاء أشد منه حتى لا يجد الرجل ملجأ فيبعث الله رجلاً من عترتي أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحبه ساكن الأرض وساكن السماء، وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها لا تمسك فيها شيئاً يعيش فيهم سبع سنين أو ثمانياً أو تسعاً يتمنى الأحياء الأموات مما صنع الله بأهل الأرض من خيره. وروى الطبراني والبزار نحوه وفيه: يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً فإن أكثر فتسعاً. وفي رواية لأبي داود والحاكم يملك فيكم سبع سنين وفي أخرى للترمذي: إنَّ في أمتي المهدي يخرج يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله، وفي رواية فيلبث في ذلك ستاً أو سبعاً أو ثمانياً أو تسع سنين»، وسيأتي أن الذي اتفقت عليه الأحاديث سبع سنين من غير شك[1]. (وأخرج) أحمد ومسلم «يكون في آخر الزمان خليفة يحثي المال

---

(١) هذه الرواية الصحيحة ترد قول الشيعة بأنه محمد بن الحسن العسكري وما وجد في كتب الشعراني بأنه هو مدسوس عليه. واختلاف الروايات في أنه من ولد الحسن أو الحسين يمكن الجمع بينها بأنه من ولد الحسن أو الحسين وللآخر فيه ولادة من جهة أمهاته. وكذلك يقال في رواية إنه من ولد العباس، ولا يعرف اسم أمه من طريق صحيح.

حثياً ولا يعده عداً، وابن ماجه مرفوعاً يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدي سلطانه، وصح أن اسمه يوافق اسم النبيﷺ واسم أبيه اسم أبيه، وأخرج ابن ماجه: بينما نحن عند رسول اللهﷺ إذ أقبل فئة من بني هاشم فلما رآهمﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه قال فقلت ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه، فقال: إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء شديداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق معهم رايات سود فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيلمؤها قسطاً كما ملأوها جوراً فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي»، وفي سنده من هو سيء الحفظ مع اختلاطه في آخر عمره. (وأخرج) أحمد عن ثوبان مرفوعاً إذا رأيتم الرايات السود قد خرجت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي وفي سنده ضعيف له مناكير. وإنما أخرج له مسلم متابعة ولا حجة في هذا والذي قبله لو فرض أنهما صحيحان لمن زعم أن المهدي ثالث خلفاء بني العباس. (وأخرج) نصير بن حماد مرفوعاً «هو رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي». (وأخرج) أبو نعيم «ليبعثن الله رجلاً من عترتي أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الأرض عدلاً يفيض المال فيضاً. (وأخرج) الروياني والطبراني وغيرهما: المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في الجو يملك عشرين سنة».

وأخرج الطبراني مرفوعاً يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء فيقول المهدي تقدم فصل بالناس فيقول عيسى إنما أقيمت الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولدي، الحديث وفي صحيح ابن حبان في إمامة المهدي نحوه، وصح مرفوعاً «ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا فيقول لا إن بعضكم أئمة على بعض تكرمة الله هذه الأمة». (وأخرج) ابن ماجة والحاكم أنهﷺ قال: لا يزداد الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إدباراً ولا الناس إلا شحاً ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس ولا مهدي إلا عيسى بن مريم ـ أي لا مهدي على الحقيقة سواه لوضعه الجزية وإهلاكه الملل المخالفة لملتنا ـ كما صحت به الأحاديث، أولا مهدي معصوماً إلا هو ولقد قال ابراهيم بن ميسرة لطاوس: عمر بن عبد العزيز المهدي قال: لا إنه لم يستكمل العدل كله أي فهو من جملة المهديين وليس الموعود به آخر الزمان، وقد صرح أحمد وغيره بأنه من المهديين المذكورين في قولهﷺ «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي». ثم تأويل حديث لا مهدي إلا عيسى إنما هو على تقدير ثبوته وإلا فقد قال الحاكم أوردته تعجباً لا محتجاً به، وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد، وقد قال الحاكم إنه مجهول، واختلف عنه في إسناده، وصرح النسائي بأنه منكر، وجزم غيره من الحفاظ بأن الأحاديث التي قبله أي الناصة على أن المهدي من ولد فاطمة أصح سنداً. (وأخرج) ابن عساكر عن علي: «إذا قام قائم آل

محمدﷺ جمع الله أهل المشرق وأهل المغرب فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة وأما الابدال فمن أهل الشام، وصح أنهﷺ قال: يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليهم بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب. والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهمﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض». (وأخرج) الطبراني أنهﷺ قال لفاطمة: «نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر ومنا سبطا هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك والمراد أنه يتشعب منهما قبيلتان ويكون من نسلهما خلق كثير ومنا المهدي»[1].

(وأخرج) ابن ماجه أنهﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي يملك جبل الديلم والقسطنطينية» وصح عند الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما: منا

---

(١) أحاديث المهدي كثيرة متواترة ألف فيها كثير من الحفاظ منهم أبو نعيم وقد جمع السيوطي ما ذكره أبو نعيم وزاد عليه في العرف الوردي في أخبار المهدي. وللمؤلف ابن حجر فيه: كتاب المختصر في علامات المهدي المنتظر.

أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي. فإن أراد بأهل البيت ما يشمل جميع بني هاشم ويكون الثلاثة الأول من نسل العباس والأخير من نسل فاطمة فلا إشكال فيه، وإن أراد أن هؤلاء الأربعة من نسل العباس أمكن حمل المهدي في كلامه على ثالث خلفاء بني العباس لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية لما أوتيه من العدل التام والسيرة الحسنة، ولأنه جاء في الحديث الصحيح أن اسم المهدي يوافق اسم النبيﷺ واسم أبيه اسم أبيه. والمهدي هذا كذلك لأنه محمد[1] بن عبد الله المنصور ويؤيد ذلك خبر ابن عدي:

---

(١) جاء في الصواعق المحرقة للشيخ ابن حجر الهيثمي المكي الشافعي حول الإمامين الحادي عشر الحسن العسكري والمهدي الحجّة محمد بن الحسن ما يلي: «أبو محمد الحسن الخالص العسكري، ولد سنة اثنين وثلاثين ومائتين، ولمّا حبسه المعتمد بن المتوكل، وقع قحط شديد فخرج المسلمون للاستسقاء ثلاثة أيام لم يستسقوا، فخرج النصارى ومعهم راهب فلما مدّ يده إلى السماء، غيّمت فأمطرت في اليوم الأول، ثم في اليوم الثاني كذلك، فشك بعض جهلة المسلمين وارتد بعضهم، فشق ذلك على المعتمد فأمر بإحضار الحسن العسكري، وقال له: أدرك أمّة جدكﷺ قبل أن يهلكوا! فقال الحسن في إطلاق أصحابه من السجن، فأطلق كلهم له، فلما رفع الراهب يده مع النصارى غيّمت السماء، فأمر الحسن رضي الله عنه رجلاً بالقبض بما في يد الراهب، فقبض فإذا عظم آدمي في يده، فأخذه من يده وقال: استسق! فرفع يده على السماء فزال الغيم وظهرت الشمس! فعجب الناس من ذلك فقال المعتمد: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبيّ قد ظفر به هذا الراهب، وما كشف عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر! وامتحنوا ذلك العظم الشريف، وزالت الشبهة عن الناس، ورجع الحسن إلى داره، وتوفي رضي الله عنه، ويقال: إنه مات بالسمّ، ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجّة،

المهدي من ولد العباس عمي. لكن قال الذهبي تفرد به محمد بن الوليد مولى بني هاشم وكان يضع الحديث ولا ينافي هذا الحمل وصف ابن عباس للمهدي في كلامه بأنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وتأمن البهائم والسباع في زمنه وتلقي الأرض أفلاذ كبدها، أي أمثال الاسطوان من الذهب والفضة، لأن هذه الأوصاف يمكن تطبيقها على المهدي العباسي وإذا أمكن حمل كلامه على ما ذكرناه لم يناف الأحاديث الصحيحة السابقة أن المهدي من ولد فاطمة لأن المراد بالمهدي فيها الآتي آخر الزمان الذي يأتم به عيسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم، ورواية أنه يلي الأمر بعد المهدي اثنا عشر رجلاً: ستة من ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين وآخر من غيرهم واهية جداً. كما قاله شيخ الإسلام والحافظ الشهاب ابن حجر أي مع مخالفتها للأحاديث الصحيحة أنه آخر الزمان وأن عيسى يأتم به، ولخبر الطبراني سيكون من بعدي خلفاء ثم من بعد الخلفاء أمراء ثم من بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. ثم يؤمر القحطاني فوالذي بعثني بالحق ما هو دونه، وفي نسخة ما يقوونه على ما حملنا عليه كلام ابن عباس، يمكن أن يحمل على ما رواه هو عن النبيﷺ: لن تهلك أمة أنا أولها وعيسى بن مريم آخرها والمهدي وسطها، أخرجه

وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله تعالى الحكمة، ويسمى القائم المنتتظر لأنه ستر وغاب، ولم يعرف أين ذهب!! (المحقق).

أبو نعيم فيكون المراد به المهدي العباسي ثم رأيت بعضهم قال المراد بالوسط في خبر لن تهلك أمة أنا أولها ومهديها أوسطها والمسيح بن مريم آخرها ما قبل الآخر. (وأخرج) أحمد والماوردي أنهﷺ قال: «أبشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً ويرضى عنه ساكن الأرض والسماء ويقسم المال صحاحاً بالسوية ويملأ قلوب أمة محمد غنى ويسعهم عدله حتى إنه يأمر منادياً فينادي من له حاجة إلي فما يأتيه أحد إلا رجل واحد يأتيه فيسأله فيقول ائت السادن حتى يعطيك فيأتيه فيقول: أنا رسول المهدي إليك لتعطيني مالاً فيقول احث فيحثي ما لا يستطيع أن يحمله فيلقي حتى يكون قدر ما يستطيع أن يحمل فيخرج به فيقول: أنا كنت أجشع أمة محمد نفساً كلهم دعي إلى هذا المال فتركه غيري فيرد عليه فيقول إنا لا نقبل شيئاً أعطيناه فيلبث في ذلك ستاً أو سبعاً أو تسع سنين ولا خير في الحياة بعده»[1].

---

(١) اختفاء العسكري وظهوره لخواص شيعته يناقض ما روي عن أبي عبد الله الحسين بأنه لا يعرفه إلا الأولياء وما يروى عن الباقر من ظهوره واختفائه هو ما ذكره علماء السنة في المهدي من أنه يغيب غيبة طويلة وأخرى قصيرة يختفي بجبال الطائف ثم يظهر بجبال مكة ولا يسمى ظهور العسكري لخواص شيعته ظهوراً وليس بسرداب بذي طوى كما يقولونه ولظهوره علامات ذكرها السيوطي والبرزنجي في الإشاعة، واختلاف الروايات في مدة حكمه من خمس إلى أربعين جمع بينها ابن حجر في القول المختصر: بأن الكل صحيح، وإن ملكه متفاوت الظهور والقوة فيحمل الأكثر على كل المدة والأقل على غاية الظهور.

(تنبيه) الأظهر أن خروج المهدي قبل نزول عيسى وقيل بعده: قال أبو الحسين الآجري قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىﷺ بخروجه وإنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه انتهى.

وما ذكره من أن المهدي يصلي بعيسى هو الذي دلت عليه الأحاديث كما علمت وأما ما صححه السعد التفتازاني من أن عيسى هو الإمام بالمهدي لأنه أفضل. فإمامته أولى، فلا شاهد له فيما علله به لأن القصد بإمامة المهدي لعيسى إنما هو إظهار أنه نزل تابعاً حاكماً بشريعته غير مستقل بشيء من شريعة نفسه واقتداؤه ببعض هذه الأمة مع كونه أفضل من ذلك الإمام الذي اقتدى به فيه من إذاعة ذلك وإظهاره ما لا يخفى على أنه يمكن الجمع بأن يقال إن عيسى يقتدي بالمهدي أولا لإظهار ذلك الغرض ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل وبه يجتمع القولان.

وروى أبو داود في سننه أنه من ولد الحسن وكأن سره ترك الحسن الخلافة لله عز وجل شفقة على الأمة فجعل الله القائم بالخلافة الحق عند شدة الحاجة إليها من ولده ليملأ الأرض عدلاً ورواية كونه من ولد الحسين واهية جداً ومع ذلك لا حجة فيه لما زعمته الرافضة

أن المهدي هو الإمام أبو القاسم محمد الحجة[1] بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة الآتين في الفصل الآتي على اعتقاد الإمامية.

ومما يرد عليهم ما صح أن اسم أبي المهدي يوافق اسم أبي النبي ﷺ واسم أبي محمد الحجة لا يوافق ذلك ويرده أيضاً قول علي مولد المهدي بالمدينة ومحمد الحجة هذا إنّما ولد بسر من رأى سنة خمس وخمسين ومائتين. ومن المجازفات والجهالات زعم بعضهم أن رواية أنه من أولاد الحسن ورواية اسم أبيه اسم أبي كل منهما وهم. وزعمه أيضاً أن الأمة اجتمعت على أنه من أولاد الحسين وأنى له بتوهيم الرواة بالتشهي ونقل الإجماع بمجرد التخمين والحسد والقائلون من الرافضة بأن الحجة هذا هو المهدي يقولون لم يخلف أبوه غيره ومات وعمره خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة كما آتاها

---

(١) عن ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ﷺ ص ٥١٠، ط/ بيروت الأعلمي ١٤١٨هـ جاء في فصل الخطاب للسيد الشيخ الكامل العالم العامل خواجه محمد برسا أسبق خلفاء بهاء الدين محمد الملقب بشاه نقشبند قدس الله سرهما: ومن أئمة أهل البيت الطيبين، أبو محمد الحسن العسكري. ولد سنة إحدى وثلاثة ومائتين يوم الجمعة السادس من ربيع الأول، ودفن بجنب أبيه، وكان مدة بقاء الحسن العسكري بعد أبيه رضي الله عنهما، ست سنين، ولم يخلف ولداً غير أبي القاسم محمد المنتظر، المسمى بالقائم والحجة والمهدي، وصاحب الزمان، وخاتم الأئمة الاثني عشر عند الإمامية، وكان مولد المنتظر ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومائتين، أمه أم ولد يقال لها نرجس، توفي أبوه وهو ابن خمس سنين، فاختفى إلى الآن، وأبو محمد الحسن العسكري ولده محمد المنتظر المهدي رضي الله عنهما، معلوم عند خاصة أصحابه وثقات أهله. (المحقق).

يحيى عليه الصلاة والسلام صبياً وجعله إماماً في حال الطفولية كما جعل عيسى. كذلك توفي أبوه بسر من رأى وتستر هو بالمدينة، وله غيبتان صغرى من منذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته. وكبرى وفي آخرها يقوم وكان فقده يوم الجمعة سنة ست وتسعين ومائتين. فلم يدر أين ذهب خاف على نفسه فغاب. قال ابن خلكان: والشيعة ترى فيه أنه المنتظر والقائم المهدي وهو صاحب السرداب عندهم، وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون خروجه آخر الزمان من السرداب بسر من رأى، دخله في دار أبيه وأمه تنظر إليه سنة خمس وستين ومائتين وعمره حينئذ تسع سنين فلم يعد يخرج إليها وقيل دخله وعمره أربع وقيل سبعة عشر انتهى ملخصاً والكثير على أن العسكري لم يكن له ولد لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات، فدل طلبه أن أخاه لا ولد له وإلا لم يسعه الطلب، وحكى السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري وأنه لم يثبت له ولد بعد أن تعصب قوم لاثباته. وأن أخاه جعفراً أخذ ميراثه. وجعفر هذا ضللته فرقة من الشيعة ونسبوه للكذب في ادعائه ميراث أخيه. ولذا سموه واتبعته فرقة وأثبتوا له الإمامة، والحاصل أنهم تنازعوا في المنتظر بعد وفاة العسكري على عشرين فرقة وأن الجمهور غير الإمامية على أن المهدي غير الحجة هذا. إذ تغيُّبُ شخصٍ هذه المدة المديدة من خوارق العادات فلو كان هو لكن وصفهﷺ بذلك أظهر من وصفه بغير ذلك مما مر.

ثم المقرر في الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته، فكيف ساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين وأنه أوتي الحكم صبياً مع أنهﷺ يخبر به ما ذلك إلا مجازفة وجرأة على الشريعة الغراء قال بعض أهل البيت: وليت شعري من المخبر لهم بهذا وما طريقه، ولقد صاروا بذلك وبوقوفهم بالخيل[1]. على ذلك السرداب وصياحهم بأن يخرج إليهم ضحكة لأولي الألباب، ولقد أحسن القائل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجهلكم ما آنا
فعلى عقولكم العفاء فإنكم ثلثتم العنقاء والغيلانا

وزعمت فرقة من الشيعة أن الإمام المهدي هو أبو القاسم محمد بن علي بن عمر بن الحسين السبط، حبسه المعتصم فتقت شيعته الحبس وأخرجوه وذهبوا به فلم يعرف له خبر. وفرقة أن الإمام المهدي محمد بن الحنفية، وقيل فقد بعد أخويه السبطين وقيل قبلهما وأنه حي بجبال رضوى، ولم تعد الرافضة من أهل البيت زيد بن علي بن الحسين مع إنه إمام جليل من الطبقة الثالثة من التابعين، بايعه كثيرون من الكوفة وطلبت منه الرافضة أن يتبرأ من الشيخين لينصروه فقال: بل أتولاهما فقالوا: إذاً

---

(١) هذا محض كذب وافتراء وبهتان، ومن التابز بالألقاب، وقد دأب المصنف على ذلك بدون دليل ولا برهان، ولا مصدر موثوق يعتمد عليه، فإلى الله المشتكى وعنده تجتمع الخصوم وسيحصحص الحقّ يوم الحساب، ويؤخذ الكل بجريرة عمله وما كسبته يده.

نرفضك. فقال اذهبوا فأنتم الرافضة. فسموا بذلك من حينئذ وكان جملة من تابعه خمسة عشر ألفاً، وعند مبايعتهم، قال له بعض بني العباس يا ابن العم لا يغرنك هؤلاء من نفسك ففي أهل بيتك لك أتم العبر وفي خذلانهم إياهم كفاية. ولما أبى إلا الخروج تقاعد عنه جماعة ممن بايعه وقالوا: الإمام جعفر الصادق ابن أخيه الباقر فلم يبق معه إلا مائتا رجل وعشرون رجلاً، فجاء الحجاج بجموعه فهزم زيداً وأصابه سهم في جبهته فمات فدفن بأرض نهر وأجرى الماء عليه. ثم علم الحجاج به فنبشه ثم بعث برأسه وصلب جثته سنة إحدى أو اثنتين وعشرين ومائة واستمر مصلوباً حتى مات هشام بن عبد الملك وقام الوليد فدفنه وقيل بل كتب لعامله اعمد إلى عجل أهل العراق فحرقه ثم انسفه في اليم نسفاً ففعل به ذلك. ورؤي النبيﷺ مستنداً على جذعه المصلوب عليه وهو يقول للناس هكذا يفعلون بولدي، وروى غير واحد أنهم صلبوه مجرداً فنسجت العنكبوت على عورته في يومه. ولم يعدوا أيضاً اسحاق بن جعفر الصادق مع جلالة قدره حتى كان سفيان بن عيينة يقول عنه حدّثني الثقة الرضي. وذهبت فرقة من الشيعة إلى إمامته، ثم من عجيب تناقض الرافضة أنهم لم يدعوها لزيد واسحاق مع جلالتهما وادعاء زيد لها ومن قواعدهم أنها تثبت لمن ادّعاها من أهل البيت وأظهر خوارق العادة الدالة على صدقه وادعوها لمحمد الحجة مع أنه لم يدعها ولا أظهر ذلك، لغيبته عن أبيه صغيراً على ما زعموا واختفائه بحيث لم يره إلا آحاد زعموا رؤيته وكذبهم غيرهم فيها وقالوا لا وجود له أصلاً كما مر فكيف يثبت له

ذلك بمجرد الإمكان. ويكتفي العاقل بذلك في باب العقائد، ثم أي فائدة في إثبات الإمامة لعاجز عن أعبائها. ثم ما هي الطريق المثبتة لأن كل واحد من الأئمة المذكورين ادعى الإمامة بمعنى ولاية الخلق وأظهر الخوارق على ذلك، مع أن الطافح من كلماتهم الثابتة دال على أنهم لا يدعون ذلك بل يبعدون منه وإن كانوا أهلاً له، ذكر ذلك بعض أهل البيت النبوي الذين طهر الله قلوبهم من الزيغ والضلال ونزه عقولهم من السفه وتناقض الاراء لتمسكهم بوضح البرهان وصحيح الاستدلال وألسنتهم عن الكذب والبهتان الموجب لأولئك غاية البوار والنكال.

(الآية الثالثة عشرة) قوله تعالى: ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم**﴾[1].

(أخرج) الثعلبي في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: الأعراف موضع عال من الصراط عليه العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين. يعرفون محبيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه. وأورد الديلمي وابنه معاً لكن بلا إسناد أن علياً رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «اللهم ارزق من أبغضني وأهل بيتي كثرة المال والعيال. كفاهم بذلك أن يكثر ما لهم فيطول حسابهم وأن تكثر عيالهم فتكثر شياطينهم». وحكمة الدعاء عليهم بذلك أنه لا حامل على بغضه ﷺ وبغض أهل بيته إلا الميل إلى الدنيا لما جبلوا عليه من محبة المال والولد فدعا عليهم ﷺ بتكثير ذلك مع سلبهم نعمته فلا يكون

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٤٦.

إلا نقمة عليهم لكفرانهم نعمة من هدوا على يديه إيثاراً للدنيا بخلاف من دعا لهﷺ بتكثير ذلك كأنس رضي الله عنه إذاً القصد به كون ذلك نعمة عليهم فيتوصل به إلى ما رتبه عليه من الأمور الأخروية والدنيوية النافعة.

(الآية الرابعة عشرة) قوله تعالى: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً** ... إلى قوله **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون**﴾[1].

اعلم أن هذه الآية مشتملة على مقاصد وتوابع.

(المقصد الأول) في تفسيرها

(أخرج) أحمد والطبراني وابن أبي حاتم والحاكم عن ابن عباس أن هذه الآية لما نزلت قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما، وفي سنده شيعي غال لكنه صدوق. وروى أبو الشيخ وغيره عن علي كرم الله وجهه فينا آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾. (وأخرج) البزار والطبراني عن الحسن رضي الله عنه من طرق بعضها حسان أنه خطب خطبة من جملتها من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمدﷺ ثم تلا: ﴿**واتبعت ملة آبائي ابراهيم**﴾[2] الآية ثم قال: أنا ابن البشير أنا ابن النذير ثم قال: أنا من أهل

---

(١) سورة الشورى، الآيات ٢٣- ٢٥.

(٢) سورة يوسف، الآية ٣٨.

البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم، فقال فيما أنزل على محمدﷺ «قلْ لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً، وفي رواية الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، وأنزل فيهم ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾، واقتراف الحسنات مودتنا أهل البيت. (وأخرج) الطبراني عن زين العابدين أنه لما جيء به أسيراً عقب مقتل أبيه الحسين رضي الله عنهما وأقيم على درج دمشق قال بعض جفاة أهل الشام: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة، فقال له ما قرأت «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى». قال وأنتم هم قال: نعم، وللشيخ الجليل شمس الدين ابن العربي رحمه الله:

رأيت ولائي آل طه فريضة — على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى — بتبليغه إلا المودة في القربى

(وأخرج) أحمد عن ابن عباس في ـ «ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً» ـ قال: المودة لآل محمدﷺ. ونقل الثعلبي والبغوي عنه أنه لما نزل قوله تعالى ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾، قال قوم في نفوسهم ما يريد إلاّ أن يحثنا على قرابته من بعده فأخبر جبريل النبيﷺ أنهم اتهموه فأنزل ﴿**أم يقولون افترى على الله كذباً**﴾[1] الآية فقال القوم يا رسول الله إنك صادق فنزل ﴿**وهو**

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢٤.

الذي يقبل التوبة عن عباده﴾[1] ونقل القرطبي وغيره عن السدي أنه قال في قوله تعالى ﴿**إن الله لغفور شكور**﴾[2] غفور لذنوب آل محمد شكور لحسناتهم. ورأى ابن عباس حمل القربى في الآية على العموم ففي البخاري وغيره عنه أن ابن جبير لما فسر القربى بآل محمد[3] قال

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٤.

(٢) سورة الشورى، الآية ٢٣.

(٣) أخرج الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ قال: قال علي بن الحسين رضي الله عنهما لرجل من أهل الشام: «أنا ذو القرابة الذي أمر الله أن يؤتى حقه، وفي جمع الفوائد أبو سعيد قال: لما نزلت ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ دعا النبي ﷺ فاطمة فأعطاها فدكاً. وفي عيون الأخبار قال الإمام علي الرضا عليه السلام فلما نزلت ﴿**وآت ذا القربى حقه**﴾ قال النبي ﷺ لفاطمة عليها السلام: «هذه فدك جعلتها لك».
وأخرج الإمام أحمد فيما نقله عنه صاحب ينابيع المودة القندوزي الحنفي قدس سره ص ١٢٤، ط/ بيروت الأعلمي ١٤١٨هـ والطبراني في معجمه الكبير، وابن أبي حاتم في تفسيره، والحاكم في المناقب، والواحدي في الوسيط، وأبو نعيم الحافظ في حلية الأولياء، والثعلبي في تفسيره، والحمويني في فرائد السمطين بسند معتبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا نزلت ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت لنا مودتهم؟ قال: علي وفاطمة والحسن والحسين. وفي صحيحي البخاري ومسلم سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال سعيد بن جُبير: هي قربى آل محمد ﷺ.
وفي جواهر العقدين، أخرج أبو الشيخ بن حيّان في كتابه «الثواب» من طريق الواحدي عن أبي هاشم الزماني عن زاذان عن علي كرّم الله وجهه قال: في آل حم عسق آية من مودتنا لا يحفظها إلا كل مؤمن، ثم قرأ: ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾. وأخرج الملا في سيرته، وقاله المحب الطبري: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله جعل أجري عليكم المودة في القربى، وإني سائلكم غداً عنها.

له: عجلت ـ أي في التفسير ـ إنه ﷺ لم يكن بطن في قريش إلا كان له فيه قرابة فقال إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة. وفي رواية عنه قل لا أسألكم على ما أدعوكم عليه أجراً إلا المودة تودوني بقرابتي فيكم وتحفظوني في ذلك، وفي أخرى عنه أنهم لما أبوا أن يبايعوه أنزل الله عليه ذلك فقال ﷺ: «يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني فاحفظوا قرابتي ولا تؤذوني» وتبعه على ذلك عكرمة فقال: كانت قريش تصل الأرحام في الجاهلية. فلما دعاهم[1] إلى الله خالفوه وقاطعوه فأمرهم بصلة الرحم التي بينهم وبينه. فقال إن لم تحفظوني فيما جئت به فاحفظوني لقرابتي فيكم وجرى على ذلك أيضاً قتادة والسدي وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم ويؤيده أن السورة مكية. ورواية نزولها بالمدينة لما فخرت الأنصار على العباس وابنه ضعيفة، وعلى فرض صحتها تكون نزلت مرتين ومع ذلك فهذا كله لا ينافي ما مر من تخصيص القربى بالآل لأن من ذهب إليه كابن جبير اقتصر على أخص

وفي المناقب عن محمد الباقر عليه السلام قال في قوله تعالى ﴿**قل ما سألتكم من أجر فهو لكم**﴾ (سبأ، آية ٤٧) يقول: الأجر الذي هو المودة في القربى التي لم أسألكم غيرها، فهو لكم تهتدون بها، وتنجون من عذاب الله يوم القيامة، فالمودة مشتقة من الودّ وهو الحب القوي الدائم الثابت.

وأخرج أبو المؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن ماله مم كسبه، وفيم أنفقه، وعن حبنا أهل البيت!» وأيضاً أخرجه جماعة منهم الترمذي عن بريدة الأسلمي، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، انتهى جواهر العقدين. (المحقق).

أفراد القربى وبين أن حفظهم آكد من حفظ بقية تلك الأفراد، ويستفاد من الاقتصار عليها طلب مودتهﷺ وحفظه بالأولى لأنه إذا طلب حفظهم لأجله فحفظه هو أولى بذلك وأحرى، ولذا لم ينسب ابن جبير على الخطأ بل إلى العجلة، أي عن تأمل أن القصد من الآية العموم والأهم منها أولاً وبالذات ودهﷺ.

ومما يؤيد أنه لا مضادة بين تفسيري ابن جبير وابن عباس أن ابن جبير كان يفسر الآية تارة بهذا وتارة بهذا فافهم صحة إرادة كل منهما فيها، بل جاء عن ابن عباس ما يوافق تفسير ابن جبير وهو روايته للحديث الذي ذكرنا أن في سنده شيعياً غالياً ولا ينافي ذلك كله أيضاً تفسيرها بأن المراد إلا التودد إلى الله. لما أخرجه غير واحد عن ابن عباس مرفوعاً لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجراً إلا أن تودوا الله وتتقربوا إليه بطاعته، ووجهه عدم المنافاة أن من جملة مودة الله سبحانه والتقرب إليه مودة رسوله وأهل بيته، وذكر بعض معاني اللفظ لا ينافي ما لا يضاده منها فضلاً عما يومىء ويشير إليه. وقيل الآية منسوخة لأنها نزلت في مكة والمشركون يؤذونه، أمرهم بمودته وصلة رحمه، فلما هاجر إلى المدينة وآواه الأنصار ونصروه ألحقه الله بإخوانه من الأنبياء فأنزل: ﴿**قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلا على الله**﴾[1] ورده البغوي بأن مودته وكف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب إلى الله بالطاعة والعمل الصالح من فرائض

---

(١) سورة سبأ، الآية ٤٧.

الدين أي الباقية على ممر الأبد فلم يجز ادعاءه بنسخ الآية الدالة على ذلك لأن هذا الحكم الذي دلت عليه باق مستمر فكيف يدعي رفعه ونسخه، وإلا المودة استثناء منقطع ـ أي لكني أذكركم أن تودوا القرابة التي بيني وبينكم ـ فليس ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة حتى تكون هذه الآية منافية للآية المذكورة التي استدلوا بها على النسخ. وقد بالغ الثعلبي في الرد عليهم فقال: وكفى قبحاً بقول من زعم أن التقرب إلى الله بطاعته ومودة نبيه وأهل بيتهﷺ منسوخ انتهى. ويصح دعوى أنه متصل بخبر الملا في سيرته: إن الله جعل أجري عليكم المودة في القربى وإني سائلكم عنهم غداً، وحينئذ فتسمية ذلك أجراً مجاز.

المقصد الثاني

فيما تضمنته تلك الآية من طلب محبة آلهﷺ وأن ذلك من كمال الإيمان

ولنفتتح هذا المقصد بآية أخرى ثم نذكر الأحاديث الواردة فيه قال الله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا**﴾[1].

(أخرج) الحافظ السلفي عن محمد بن الحنفية أنه قال في تفسير هذه الآية: لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ودّ لعلي وأهل بيته. وصح أنهﷺ قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله عز وجل

---

(١) سورة مريم، الآية ٩٦.

وأحبوا أهل بيتي لحبي»، وذكر ابن الجوزي لهذا في العلل المتناهية وهم. (وأخرج) البيهقي وابو الشيخ والديلمي أنهﷺ قال: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من ذاته. (وأخرج) الديلمي أنهﷺ قال: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن والحديث». وصح أن العباس شكا إلى رسول اللهﷺ ما يلقون من قريش من تعبيسهم في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم، فغضبﷺ غضباً شديداً حتى احمر وجهه وعرق ما بين عينيه وقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله. وفي رواية صحيحة أيضاً ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني، وفي أخرى والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ولرسوله، أترجو مراد شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب. وفي أخرى لن يبلغوا خيراً حتى يحبوكم لله ولقرابتي، وفي أخرى ولا يؤمن أحدهم حتى يحبكم لحبي، أترجون أن تدخلوا الجنة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب» وبقي له طرق أخرى كثيرة.

وقدمت بنت أبي لهب المدينة مهاجرة فقيل لها لا تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار، فذكرت ذلك للنبيﷺ فاشتد غضبه ثم قال على منبره: «ما بال أقوام يؤذوني في نسبي وذوي رحمي، ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله». أخرجه

ابن أبي عاصم والطبراني وابن منده والبيهقي بألفاظ متقاربة وسميت تلك المرأة في رواية درة وفي أخرى سبيعة، فأما هما لواحدة اسمان أو لقب واسم أو لامرأتين وتكون القصة تعددت لهما، وخرج عمرو الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية مع علي رضي الله عنهما إلى اليمن فرأى منه جفوة فلما قدم المدينة أذاع شكايته فقال له النبيﷺ لقد آذيتني، فقال أعوذ بالله أن أوذيك يا رسول الله، فقال: «بل من آذى علياً فقد آذاني أخرجه أحمد، زاد ابن عبد البر من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله.

وكذلك وقع لبريدة أنه كان مع علي في اليمن فقدم مغاضباً عليه واراد شكايته بجارية أخذها من الخمس، فقيل له أخبره ليسقط علي من عينيه ورسول اللهﷺ يسمع من وراء الباب فخرج مغضباً فقال: ما بال أقوام ينتقصون علياً، من أبغض علياً فقد أبغضني ومن فارق علياً فقد فارقني إن علياً مني وأنا منه خلق من طينتي وأنا خلقت من طينة ابراهيم وأنا أفضل من ابراهيم ﴿**ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**﴾[1] يا بريدة أما علمت أن لعلي أكثر من الجارية إلى آخر الحديث»، أخرجه الطبراني وفيه حسين الأشقر ومر أنه شيعي غال. وفي خبر ضعيف أنهﷺ قال: «إلزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله عز وجل وهو يودنا دخل

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣٤.

الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلا بمعرفة حقنا». ويوافقه قول كعب الأحبار وعمر بن عبد العزيز ليس أحد من أهل بيت النبيﷺ إلا له شفاعة. (وأخرج) أبو الشيخ والديلمي «من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث إما منافق وإما ولد زانية وإما امرؤ حملت به أمه في غير طهر».

(وأخرج) الديلمي من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب اصحابي وقرابتي. ومر في الآية الثامنة ما له كبير تعلق بما نحن فيه فراجعه. (وأخرج) أبو بكر الخوارزمي أنهﷺ خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر فسأله عبد الرحمن بن عوف فقال: «بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج علياً من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقاً يعني صكاكاً بعدد محبي أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور، دفع على كل ملك صكاً فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلا دفعت إليه صكاً فيه فكاكه من النار فصار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار.

(وأخرج) الملا: «لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي». ومر خبر أحمد والترمذي من أحبني وأحب هذين يعني حسناً وحسيناً وأباهما وأمهما كان معي في الجنة». وفي رواية في درجتي زاد داود ومات متبعاً لسنتي، وبها يعلم أن مجرد محبتهم من

غير اتباع للسنة[1] كما يزعمه الشيعة والرافضة من محبتهم مع مجانبتهم بالسنة لا يفيد مدعيها شيئاً من الخير، بل تكون عليه وبالاً وعذاباً أليماً في الدنيا والآخرة. وقد مر عن علي في الآية الثامنة بيان صفات شيعته الذين تنفعهم محبته ومحبة أهل بيته فراجع تلك الأوصاف فإنها تقضي على هؤلاء المنتحلين حبهم مع مخالفتهم بأنهم وصلوا إلى غاية الشقاوة والحماقة والجهالة والغباوة رزقنا الله دوام محبتهم واتباع هديهم آمين.

---

(١) إنَّ الشيعة فيما نعلم من أشد المسلمين عملاً بالسنة النبوية الشريفة ولكنها شنشنة أعرفها من أخزم، فالمصنف يرى بأن السنة التي تعمل بها الشيعة لا تشمل سنة وسيرة الشيخين، وهذا صحيح، فإن عبد الرحمن بن عوف قال في أيام الشورى التي أعقبت وفاة الخليفة الثاني عمر(رض) لعلي عليه السلام: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقال علي: بل على كتاب الله وسنة رسوله، واجتهاد رأيي، فقال ابن عوف لعثمان: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين، فقال عثمان: نعم فقال ابن عوف: لقد بايعتك

ومعلوم بالضرورة أن الخليفة الثالث عثمان(رض) لم يلتزم في خلافته بالشرط الأخير فقد ولى على بلاد المسلمين من بني أمية، وعبد شمس نفراً أكثرهم فساق ومنحرفون وأعطى أقرباءه مئات الألوف من بيت المال، وسيّر أبا ذر الصحابي إلى بلاد الشام ثم إلى الربذة، وضرب عمّار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود لاعتراضهما على سياسته وتقريبه الوزغ بن الوزغ صهره مروان بن الحكم، إلى عشرات الاعتراضات من الصحابة حتى أن السيدة عائشة(رض) أخرجت قميص رسول الله ﷺ معترضة، وقالت لعثمان: لقد أبليت سنة رسول الله ولم يبل قميصه ثم قالت في حالة غضب: اقتلوا نعثلاً ـ تقصد عثمان ـ فقد كفر. ثم كانت انتفاضة أهل مصر والعراق والمدينة إلى أن قتلوه. (المحقق).

وأما خبر «يا علي إن أهل شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب والعيوب وجوههم كالقمر ليلة البدر» فموضوع كأحاديث كثيرة من هذا النمط بينها ابن الجوزي في موضوعاته[1]. (وأخرج) الثعلبي في تفسير: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» حديثاً طويلاً من هذا النمط قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر آثار الوضع لائحة عليه. وحديث «من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو في عليين: ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف يده فهو في الدرجة التي تليها. ومن أحبنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو في الدرجة التي تليها» في سنده رافضي غال في الرفض ورجل آخر متروك.

المقصد الثالث
فيما أشارت إليه من التحذير من بغضهم

صح أنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار. (وأخرج) أحمد مرفوعاً: من أبغض أهل البيت فهو منافق. (وأخرج) هو والترمذي عن جابر: ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً، وخبر من أبغض أحداً من أهل بيتي فقد حرم شفاعتي موضوع. وهكذا خبر من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً وإن شهد أن لا إله إلا الله» فهو موضوع أيضاً كما قاله ابن الجوزي كالعقيلي وغير

---

(١) وهي في تنزيه الشريعة المرفوعة لابن عراق والفوائد المجموعة للشوكاني وفي الأحاديث المتقدمة بعض منها مما اختلف في وضعه.

هذين مما مر وما يأتي مغن عنهما. (وأخرج) الطبراني بسند ضعيف عن الحسن رضي الله عنه مرفوعاً «لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار وفي رواية له ضعيفة أيضاً من جملة قصة طويلة أنت الساب علياً لئن وردت عليه الحوض وما أراك ترده لتجدنه مشمراً حاسراً عن ذراعيه يذود الكفار والمنافقين عن حوض رسول الله ﷺ قول الصادق المصدوق محمد ﷺ.».

(وأخرج) الطبراني: «يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض، وأحمد: أعطيت في علي خمساً هن أحب إلي من الدنيا وما فيها. أما واحدة فهو بين يدي الله حتى يفرغ من الحساب، وأما الثانية: فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته، وأما الثالثة: فواقف على حوضي يسقي من عرف من أمتي الحديث. ومر خبر أنه ﷺ قال لعلي إن عدوك يردون على الحوض ظماء مقمحين». (وأخرج) الديلمي مرفوعاً: بغض بني هاشم والأنصار كفر وبغض العرب نفاق وصحح الحاكم خبر أنه ﷺ قال: «يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم جوداً وفي رواية نجداً من النجدة ـ الشجاعة وشدة البأس ـ نجباء رحماء فلو أن رجلاً صفن بين الركن والمقام ـ أي جمع قدميه ـ فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد ﷺ دخل النار»، وصح أيضاً أنه ﷺ قال: «ستة لعنتهم ولعنهم الله وكل نبي مجاب: الزائد في كتاب الله عز وجل، والمكذب بقدر الله، والمستلط على أمتي بالجبروت

ليذل من أعز الله ويعز من أذل الله والمستحل حرمة الله. وفي رواية لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك للسنة وفي رواية زيادة سابع وهو المستأثر بالفيء».

(وأخرج) أحمد عن أبي جانة كان يقول: لا تسبوا علياً ولا أهل هذا البيت إن جاراً لنا قدم من الكوفة فقال ألم تروا هذا الفاسق ابن الفاسق، إن الله قتله، يعني الحسين فرماه الله بكوكبين في عينيه وطمس الله بصره.

(تنبيه) قال القاضي في الشفاء ما حاصله من سب أبا أحد من ذريتهﷺ ولم تقم قرينة على إخراجهﷺ من ذلك قتل، وعلم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبلزوم محبتهم صرح البيهقي والبغوي وغيره أنها من فرائض الدين بل نص عليه الشافعي فيما حكى عنه من قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله

وفي توثيق عرى الإيمان للبزار عن الإمام الخولي ما حاصله، إن خواص العلماء يجدون في قلوبهم مزية تامة بمحبتهﷺ ثم محبة ذريته لعلمهم باصطفاء نطفهم الكريمة ثم بمحبة أولاد العشرة المبشرين بالجنة[1] ثم أولاد بقية الصحابة وينظرون إليهم اليوم نظرهم إلى آبائهم

---

(١) أقول وبالله التوفيق إن كثيراً من الفقهاء ذهب إلى أن هذا حديث ضعيف المتن والسند وهو فرع من القول بعدالة الصحابة، وقد غلا في هذه المسألة قوم فقضى بعدالتهم جميعاً حتى من انغمس منهم في الفتنة، أو حتى من نزل القرآن بنفاقه، وهذا لعمر الحق هو إسراف في الثقة، وإفراط في التقدير، ويتعارض مع الكتاب

والسنة في الأدلة القوية ولا يتفق مع الطبائع البشرية الصحيحة، ولا يزال أعداء هذا الدين بسبب ذلك يوجه إلى الإسلام من طعنات دامية بسبب ما يوجد في كتب الحديث من روايات تحمل الخرافات والجهالات مما لا يقبله عقل صريح، ولا يؤيده علم صحيح، وغير صحيح أنّ الصحابة بساطهم مطوي، وإن جرى ما بينهم ما جرى، فبعض الصحابة كفَّر بعضهم بعضاً، واستحل بعضهم دماء بعض، وهم على كل حال ليسوا معصومين، وذهب بعض الفقهاء أن الصحابة لم يزالوا عدولاً إلى حين ما وقع الاختلاف والفتن بينهم، ومنهم من قال: إن كل من قاتل علياً عالماً منهم فهو فاسق مردود الرواية، والشهادة على الإمام الحق، وقال قوم: حالهم العدالة في بداية الأمر إلى ظهور الحرب والخصومات ثم تغيرت الحال، وسفكت الدماء، فلا بد من البحث. انظر أضواء على السنة المحمدية للمرحوم العلاّمة الشيخ محمود أبو رية ص ٣٤٤، بحث عدالة الصحابة، ط/ الأعلمي ـ بيروت ط٥.

وأما ما نسب إليه ﷺ أنه قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» قال أبو ريّة ﷺ: ولكن هذا الحديث باطل لا أصل له. وقد سئل الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن هذا الحديث فقال: الحديث صحيح، ولكن المقصود أصحابه الذين لم يغيروا ولم يبدلوا بعد وفاته ﷺ. وقد علم الله سبحانه والراسخون في العلم أن الحق برمته لم يكن عند فرقة بعينها، والباطل عند البواقي، ولكن الحق في المجموع، ولا سيما عند من بقي على ما كان عليه النبي ﷺ وقنع بما جاء عن الله ورسوله ﷺ ولم يتمذهب، ويؤثر الأسلاف على الكتاب والسنة، ويترك داء التعصب، ويتمسك بالإنصاف والحق.

ومن العجب العجاب أن يروي البخاري عن الفاسق مروان بن الحكم الذي جرَّ الويلات على الخليفة الثالث وتسبب في قتله، والذي رمى طلحة فقتله، وهو في جيشه، والمتسبب في خروجه على علي عليه السلام، وفعل كل طامة، ولا يروي عن علم شامخ مثل الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وهو ثقة أبو حاتم والنسائي، ولكن إنها النزعة الأموية فلا حول ولا قوة إلا بالله. وبالجملة فإن من سبر التاريخ وسوى بين الصحابة فهو أعمى أو متعام. ومن الصحابة من أسلم خوف السيف كالطلقاء

بالأمس لو رأوهم وينبغي الإغضاء عن انتقادهم ومن ثم ينبغي أن الفاسق من أهل البيت لبدعة أو غيرها إنما تبغض أفعاله لا ذاته لأنها بضعة منهﷺ وإن كان بينه وبينها وسائط[1].

(وأخرج) أبو سعيد في شرف النبوة وابن المثنى أنهﷺ قال: «يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». فمن آذى أحداً من ولدها فقد تعرض لهذا الخطر العظيم لأنه أغضبها ومن أحبهم فقد تعرض لرضاها وإذا صرح العلماء بأنه ينبغي إكرام سكان بلدهﷺ وإن تحقق منهم ابتداع أو نحوه رعاية لحرمة جواره الشريف فما بالك بذريته الذين هم سبعة أو تسعة آباء ومن ثم قال جعفر الصادق: احفظوا فينا ما حفظ الله العبد الصالح في اليتيمين وما انتقد ذريتهﷺ محب لمحمدﷺ.

أمثال أبي سفيان ومعاوية فهؤلاء مطعون ومخدوج في إسلامهم، ثم أين أحاديث «لا تدري ماذا أحدثوا بعدك» وهي بلغت حدّ التواتر. ثم أين نذهب والقرآن يقول: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ (الحجرات، آية ٦) في الوليد بن عتبة، وهو متيقن الصحبة، وحالة مكشوفة، ومنهم من شرب الخمرة، بل هناك من وثق الخارجي عمران بن حطان الذي مدح ابن ملجم قاتل عليعليه السلام ومنهم من رضي عمن قتل عليّاً والحسينعليه السلام وطلحة، فتأمل.

(١) ذكر أحمد شاه ولي الله الدهلوي في كتابه «التفهيمات الإلهية» إني رأيت أرواح أئمة أهل البيت في حظيرة القدس بأتم وجه وأجمل وصع. وعلمت أن منكرهم والمشاحن لهم في خطر عظيم لكن وجوههم منصرفة إلى الباطن والخلافة لا تستتب إلا لمن كان وجهه منصرفاً إلى الظاهر فبهذا السبب طلبوا الخلافة وما نالوها على وجهها وكذلك كل من له رسوخ قدم في حظيرة القدس فإن الإنكار عليه وإضمار الوحر منه يورث الخزي في البعد من الله تعالى. (المحقق).

المقصد الرابع

مما أشارت إليه الآية الحث على صلتهم وإدخال السرور عليهم. (أخرج) الديلمي مرفوعاً من أراد التوسل إليّ وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتي ويدخل السرور عليهم. وورد عن عمر من طرق أنه قال للزبير انطلق بنا نزور الحسن بن علي رضي الله عنهما فتباطأ عليه الزبير فقال: أما علمت أن عيادة بني هاشم فريضة وزيارتهم نافلة أراد أن ذلك فيهم آكد منه في غيرهم لا حقيقة الفريضة، فهو على حد قولهﷺ غسل الجمعة واجب. (وأخرج) الخطيب مرفوعاً: «يقوم الرجل للرجل إلا بني هاشم فإنهم لا يقومون لأحد». (وأخرج) الطبراني مرفوعاً: «أنه من اصطنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدنيا فعلي مكافأته غداً إذا لقيني». زاد الثعلبي في رواية لكن في سندها كذاب: «وحرمت الجنة على من ظلمني في أهل بيتي وآذاني في عترتي». وفي خبر ضعيف: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه». (وأخرج) الملا في سيرته أنهﷺ أرسل أبا ذر ينادي علياً فرأى رحى تطحن في بيته وليس معها أحد فأخبر النبيﷺ بذلك فقال: «يا أبا ذر أما علمت أن لله ملائكة سياحين في الأرض قد وكلوا بمعونة آل محمدﷺ». (وأخرج) أبو الشيخ من جملة حديث طويل: «يا أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول اللهﷺ وذريته فلا تذهبن بكم الأباطيل».

المقصد الخامس

مما أشارت إليه الآية من توقيرهم وتعظيمهم والثناء عليهم ومن ثم كثر ذلك من السلف في حقهم اقتداء بهﷺ فإنه كان يكرم بني هاشم كما مر، ودرج على ذلك الخلفاء الراشدون فمن بعدهم. (أخرج) البخاري في صحيحه عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال والذي نفسي بيده لقرابة رسول اللهﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وفي رواية أحب إلي من قرابتي، وفي أخرى والله لئن أصلكم أحب إلي من أن أصل قرابتي لقرابتكم من رسول اللهﷺ ولعظم الذي جعله الله له على كل مسلم، وهذا قاله رضي الله عنه على سبيل الاعتذار لفاطمة رضي الله عنها عن منعه إياها[1] ما طلبت من تركة النبيﷺ وقد مر الكلام على ذلك في الشبه

---

(١) إعلم أن إعتذار أبي بكر من فاطمةعليها السلام بسبب تركة النبي، يُقصد منها في التاريخ أرض «فدك» التي وهبها النبي محمدﷺ لبضعته الزهراءعليها السلام وجاء ذكرها في إحدى خطب نهج البلاغة حيث قال أمير المؤمنين عليعليه السلام في كتابه إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة قال: بلى كانت في أيدينا «فدك» من كل ما أظلته السّماء، فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين. ونعم الحكم الله، وما أصنع بفدك وغير فدك، والنفس مظانها في غد جدث تنقطع فيه ظلمة آثارها وتغيب أخبارها، وحفرة لو زيد في فسحتها وأوسعت يدا حافرها لأضغطها الحجر والمدر، وسدّ فُرُجها التراب المتراكم؟ وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر، وتثبت على جوانب المزلق.

وفدك: قرية في الحجاز، بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وهي أرض يهودية في مطلع تاريخها المأثور. وكان يسكنها طائفة من اليهود، ولم يزالوا على ذلك حتى السنة السابعة حيث قذف الله الرعب في قلوب أهلها فصالحوا رسول اللهﷺ على النصف

من فدك، وروي أنه صالحهم عليها كلها، فكانت ملكاً لرسول الله ﷺ لأنها مما لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب، ثم نحلها لابنته فاطمة الزهراء عليها السلام وبقيت عندها حتى توفي أبوها ﷺ فانتزعها الخليفة الأول(رض) منها وأصبحت من مصادر المالية، وثروة الدولة يومذاك حتى تولى الخليفة عمر الخلافة، فدفع فدكاً إلى ورثة رسول الله ﷺ وبقيت فدك عند آل محمد ﷺ إلى أن تولى الخلافة عثمان بن عفان فأقطعها صهره مروان بن الحكم، ثمّ أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام انتزعها من مروان كسائر ما نهبه بنو أمية في أيام خلافتهم.

ولما ولي معاوية بن أبي سفيان الخلافة أقطع مروان بن الحكم ثلث فدك، وعمر بن عثمان ثلثها، ويزيد ابنه ثلثها الآخر، وهكذا تداولتها أيدي بني أمية، حتى خلصت كلها لمروان بن الحكم أيام ملكه، وهكذا إلى أن صفت إلى العبد الصالح عمر بن عبد العزيز بن مروان. ولما تولّى الخلافة رد فدكاً على ولد فاطمة عليها السلام، والظاهر أن فدكاً كانت ذات قيمة اقتصادية كبيرة وهامّة بدليل أن معجم البلدان يعبر عنها بالقرية، ويقدر بعضهم بعض نخيلها بنخيل الكوفة في القرن السادس الهجري كما في شرح نهج البلاغة الحديدي. وقال الشريف المرتضى(رض) فيما رواه صاحب النهج الحديدي ص ٣٨٨. روى ابراهيم بن سعيد الثقفي، عن ابراهيم بن ميمون، قال حدثنا عيسى بن عبد الله ابن محمد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام عن أبيه، عن جده عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال: جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبي بكر وقالت: إن أبي أعطاني فدك، وعلي وأم أيمن يشهدان، فقال: ما كنت لتقولي على أبيك إلا الحق قد أعطيتكيها، ودعا بصحيفة من أدم فكتب لها فيها، فخرجت فلقيت عمر فقال: من أين جئت يا فاطمة؟ قالت: جئت من عند أبي بكر، أخبرته أن رسول الله ﷺ أعطاني فدك، وأن علياً وأم أيمن يشهدان بذلك، فأعطانيها، وكتب لي بها، فأخذ عمر منها للكتاب، ثم رجع إلى أبي بكر فقال: أعطيت فاطمة فدك، وكتبت لها بها؟ قال: نعم، فقال: إن علياً يجرّ إلى نفسه، وأم أيمن امرأة، وبصق في الكتاب فمحاه وخرّقه. وروى صاحب النهج الحديدي عن أبي بكر الجوهري بسنده عن عبد الله بن حسن بن حسن ص ٣٤٥ قال: لمّا بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، وأقبلت في لمّة من حفدتها، ونساء قومها، تطأ في ذويلها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ

حتى دخلت على أبي بكر وقد حشد الناس من المهاجرين والأنصار، فضرب بينها وبينهم ريطة بيضاء، ثم خطبت خطبة طويلة جيدة، ومنها: ثم أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لي ﴿**أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون**﴾ (المائدة، آية ٥٠)، إيها معاشر المسملين: أيبتزُّ إرث أبي! أيرضى الله يا ابن أبي قحافة أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً فدونكها مخطومة مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر الميطلون، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم! ثم التفتت إلى قبر أبيها فتمثلت بقول هند بنت أثاثة:

قد كان بعدك أنباء وهينمةٌ ... لو كنت شاهدها لم تكثرِ الخطبُ

أبدتْ رجالٌ لنا نجوى صدورِهمُ ... لمّا قضيت وحالت دونكَ الكتبُ

تجهمتنا رجال واستُخفّ بنا ... إذا غبت عنّا فنحن اليوم نُغتصبُ

قال: ولم يرَ الناس أكثر باك ولا باكية منهم يومئذٍ، ثم خاطبت الأنصار قائلة: أما كان رسول الله ﷺ يقول: «المرء يحفظ في ولده» سرعان ما أحدثتم، وعجلان ما أتيتم. ألأنْ مات رسول الله ﷺ أمتم دينه، ها إن موته لعمري خطب جليل استوسع وهنه، واستبهم فتقه، وفقد راتقه، وأظلمت الأرض له، وخضعت الجبال، وأكْدت الآمال، أُضيع بعده الحريم، وهتكت الحرمة وأذيلت المصونة، وتلك نازلة أعلن بها كتاب الله قبل موته، وأنبأكم بها قبل موته فقال: ﴿**وما محمد إلاّ رسول قد خلتْ من قبله الرُسُل أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ومنْ ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيُجزي الله الشاكرين**﴾ (آل عمران، آية ١٤٤)، قال: لما كلمت فاطمة عليها السلام أبا بكر بما كلمته به حمد الله أبو بكر، وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثم قال: يا خيرة النساء، وابنة خير الآباء، والله ما عدوت رأي رسول الله ﷺ، وما عملت إلا بأمره، وإن الرائد لا يكذب أهله، والله ما خلق الله أحب إليّ من رسول الله ﷺ أبيك، ولوددت أن السماء وقعت على الأرض يوم مات أبوك، والله لأن تفتقر عائشة أحب إليّ من أن تفتقري، أتراني أعطي الأحمر والأبيض حقه وأظلمك حقك، وأنت بنت رسول الله ﷺ إن هذا المال لم يكن للنبي ﷺ وإنما كان مالاً من أموال المسلمين يحمل به النبي ﷺ الرجال، وينفقه في سبيل الله، فلما توفي رسول الله ﷺ وليته كما كان يليه، وقد قلت فأبلغت،

مبسوطاً. (وأخرج) أيضاً عنه ارقبوا محمداًﷺ في أهل بيته، وصح عنه

وأغلظت فأهجرت، فغفر الله لنا ولك. أما بعد، فقد دفعت آلة رسول اللهﷺ ودابته وحذاءه إلى علي، وأما ما سوى ذلك فإني سمعت رسول اللهﷺ يقول: «إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة، ولا أرضاً ولا عقاراً ولا داراً، ولكنّا نورث الإيمان والحكمة والعلم والسنّة، فقد عملت بما أمرني، ونصحت له، وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

قال: قالت فاطمةعليها السلام لأبي بكر: إن أم أيمن تشهد لي أنّ رسول اللهﷺ أعطاني فدك، وفي رواية ويشهد لي علي بن أبي طالب، والحسن والحسينعليهما السلام، ثم قالت: والله لا كلمتك أبداً! قال: والله لا هجرتك أبداً، قالت: والله لأدعون الله عليك، قال: والله لأدعون الله لك، فلما حضرتها الوفاة أوصت ألاّ يصلّى عليها، فدفنت ليلاً، وصلى عليها عباس بن عبد المطلب، وكان بين وفاتها ووفاة أبيهاﷺ إثنتان وسبعون ليلة.

قلت: إن الحديث الشريف الذي جاء به الخليفة حديث آحاد، ولم يتابعه أحد من الصحابة عليه، وعلى فرض صحته فكيف دفع الخليفة إلى عليعليه السلام آلة رسول اللهﷺ ودابته وحذاءه؟ فليتأمل جيداً. قال أبو بكر الجوهري ـ شرح نهج البلاغة، ص ٣٥٩ ـ وحدّثني أبو جعفر محمد بن القاسم قال: حدّثني علي بن الصبّاح قال: أنشدنا أبو الحسن رواية المفضل للكميت:

أهوى علياً أمير المؤمنين ولا ... أرضى بشتم أبي بكر ولا عُمرا

ولا أقول وإن لم يُعطيا فدكا ... بنت النبي ولا ميراثها: كفرا

الله يعلمُ ماذا يحضران به ... يوم القيامة من عذر إذا اعتذرا

قال ابن الصباح: فقال لي أبو الحسن: أتقول: إنه قد أكفرهما في هذا الشعر! قلت: نعم، قال: كذاك هو، قال أبو بكر بسنده عن ابن المبارك: أتينا عبد الله بن موسى بن حسن بن الحسن، ونحن راجعون من الحج فسألته عن أبي بكر وعمر، فقال: سئل جدي عبد الله بن الحسن بن الحسن عن هذه المسألة فقال: كانت أمي فاطمة صدّيقة بنت نبي مرسل فماتت وهي غضبى على إنسان، فنحن غضاب لغضبها، وإذا رضيت رضينا. انتهى. (المحقق).

أيضاً أنه حمل الحسن على عاتقه مع ممازحته لعلي رضي الله عنهم، بقوله وهو حامل له بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي، وعلي يضحك، ويوافقه قول أنس كما في البخاري عنه: لم يكن أحد أشبه بالنبيﷺ من الحسن لكنه قال ذلكَ في الحسين رضي الله عنهم وطريق الجمع بينهما قول علي كما أخرجه الترمذي وابن حبان عنه: الحسن أشبه برسول اللهﷺ ما بين الرأس إلى الصدر والحسين أشبه بالنبيﷺ ما كان أسفل من ذلك. وورد في جماعة من بني هاشم وغيرهم أنهم يشبهونهﷺ أيضاً. وقد ذكرت عدتهم في شرحي لشمائل الترمذي. (وأخرج) الدارقطني أن الحسن جاء لأبي بكر رضي الله عنهما وهو على منبر رسول اللهﷺ فقال: انزل عن مجلس أبي فقال: صدقت والله إنه لمجلس أبيك ثم أخذه وأجلسه في حجره وبكى: فقال علي رضي الله عنه أما والله ما كان عن رأيي فقال: صدقت والله ما اتهمتك فانظر لعظم محبة ابي بكر وتعظيمه وتوقيره للحسن حيث أجلسه على حجره، وبكى. ووقع للحسن نحو ذلك مع عمر وهو على المنبر فقال له منبر أبي والله لا منبر أبيك، فقال علي والله ما أمرت بذلك فقال عمر: والله ما اتهمناك، زاد ابن سعد أنه أخذه فأقعده إلى جنبه وقال: وهل أنبت الشعر على رؤسنا إلا أبوك، أي إنّ الرفعة ما نلناها إلا به. (وأخرج) العسكري عن أنس قال بينما النبيﷺ في المسجد إذ أقبل علي فسلم ثم وقف ينظر موضعاً يجلس فيه فنظرﷺ في وجوه الصحابة أيّهم يوسع له وكان أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه فتزحزح له عن مجلسه وقال له ههنا يا أبا الحسن فجلس بين النبيﷺ وبين أبي بكر فعرف السرور في وجه رسول اللهﷺ وقال: يا أبا بكر إنما

يعرف الفضل لأهل الفضل ذو الفضل. (وأخرج) ابن شاذان عن عائشة أن أبا بكر فعل نظير ذلك مع العباس أيضاً فقال له النبيﷺ ذلك وتأسى في ذلك بهﷺ فقد أخرج البغوي عن عائشة رضي الله عنها لقد رأيت من تعظيم رسول اللهﷺ عمه العباس أمراً عجيباً. (وأخرج) الدارقطني أنهﷺ كان إذا جلس جلس ابو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب سر رسول اللهﷺ فإذا جاء العباس بن عبد المطلب تنحى أبو بكر وجلس العباس مكانه.

(وأخرج) ابن عبد البر أن الصحابة كانوا يعرفون للعباس فضله فيقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه رضي الله عنهم وكان أبو بكر يكثر النظر إلى وجه علي فسألته عائشة، فقال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «النظر إلى وجه علي عبادة». ومر نحو هذا وأنه حديث حسن، ولما جاء أبو بكر وعلي لزيارة قبرهﷺ بعد وفاته بستة أيام قال علي: تقدم يا خليفة رسول الله فقال أبو بكر: ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول اللهﷺ يقول فيه: «علي مني كمنزلتي من ربي». أخرجه ابن السمان.

(وأخرج) الدارقطني عن الشعبي قال: بينما أبو بكر جالس إذ طلع علي فلما رآه قال: من سره أن ينظر على أعظم الناس منزلة وأقربهم قرابة وأفضلهم حالة وأعظمهم حقاً عند رسول اللهﷺ فلينظر إلى هذا الطالع. (وأخرج) أيضاً أن عمر رأى رجلاً يقع في علي فقال: ويحك أتعرف علياً هذا ابن عمه وأشار إلى قبرهﷺ والله ما آذيت إلا هذا في قبره. وفي رواية فإنك إن أبغضته آذيت هذا في قبره، وسنده ضعيف. (وأخرج) ايضاً عن

ابن المسيب قال قال عمر رضي الله تعالى عنهما: تحببوا إلى الأشراف وتودّدوا واتقوا على أعراضكم من السفلة واعلموا أنه لا يتم شرف إلا بولاية علي رضي الله عنه. (وأخرج) البخاري أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس وقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا محمّدﷺ إذا قحطنا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون.

وفي تاريخ دمشق إن الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة سنة سبع عشرة من الهجرة فلم يسقوا فقال عمر لاستسقين غداً بمن يسقيني الله به فلما أصبح غدا للعباس فدق عليه الباب فقال: مَن؟ قال عمر، قال: ما حاجتك؟ قال: اخرج حتى نستسقي الله بك، قال: اقعد فأرسل إلى بني هاشم أن تطهروا والبسوا من صالح ثيابكم، فأتوه فأخرج طيباً فطيبهم ثم خرج وعلي أمامه بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن يساره وبنو هاشم خلف ظهره فقال يا عمر لا تخلط بنا غيرنا، ثم أتى المصلى فوقف فحمد الله وأثنى عليه وقال: اللهم إنك خلقتنا ولم تؤامرنا وعلمت ما نحن عاملون قبل أن تخلقنا فلم يمنعك علمك فينا عن رزقنا، اللهم فكما تفضلت في أوله تفضل علينا في آخره. قال جابر فما برحنا حتى سحت السماء علينا سحاً فما وصلنا إلى منازلنا إلا خوضاً فقال العباس: أنا المسقي ابن المسقي ابن المسقي ابن المسقي ابن المسقي خمس مرات وأشار إلى أن أباه عبد المطلب استسقى خمس مرات فسقي. (وأخرج) الحاكم أن عمر لما استسقى بالعباس خطب فقال: يا أيها الناس إن رسول اللهﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده يعظمه ويفخمه ويبر قسمه فاقتدوا أيها الناس برسول اللهﷺ في عمه العباس فاتخذوه وسيلة إلى الله

عز وجل فيما نزل بكم. (وأخرج) ابن عبد البر من وجوه عن عمر أنه لما استسقى به، قال: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك ونستشفع به فاحفظ فيه نبيك كما حفظت الغلامين بصلاح أبيهما وأتيناك مستغفرين ومستشفعين الخير. وفي رواية لابن قتيبة اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك وبقية آبائه وكثرة رجاله فإنك تقول وقولك الحق ﴿**وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحاً**﴾[1] فحفظتهما لصلاح أبيهما فاحفظ اللهم نبيك في عمه فقد دنونا به إليك مستشفعين.

(وأخرج) ابن سعد أن كعباً قال لعمر إن بني إسرائيل كانوا إذا أصابتهم سنة استسقوا بعصبة نبيهم فقال عمر هذا العباس انطلقوا بنا إليه فأتاه فقال: يا أبا فضل ما ترى ما الناس فيه وأخذ بيده وأجلسه معه على المنبر، وقال: اللهم إنا قد توجهنا إليك بعم نبيك ثم دعا العباس. (وأخرج) ابن عبد البر أن العباس لم يمر بعمر وعثمان رضي الله عنهم راكبين إلا نزلا حتى يجوز إجلالاً لعم رسول اللهﷺ أن يمشي وهما راكبان. (وأخرج) الزبير بن بكار عن ابن شهاب أن أبا بكر وعمر زمن ولايتهما كان لا يلقاه واحد منهما راكباً إلا نزل وقاد دابته ومشى معه حتى يبلغ منزله أو مجلسه فيفارقه. (وأخرج) ابن أبي الدنيا أن عمر لما أراد أن يفرض للناس قالوا له: ابدأ بنفسك فأبى وبدأ بالأقرب فالأقرب إلى رسول اللهﷺ فلم يأت قبيلته إلا بعد خمس قبائل، وفرض للبدريين

---

(١) سورة الكهف، الآية ٨٢.

خمسة آلاف ولمن ساواهم إسلاماً ولم يشهد بدراً خمسة آلاف وللعباس اثني عشر ألفاً وللحسنين كأبيهما، ومن ثم قال ابن عباس إنه كان يحبهما لأنه فضلهما في العطاء على أولاده. (وأخرج) الدارقطني أنه قال لفاطمة: ما من الخلق أحد أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا منك بعد أبيك. (وأخرج) أيضاً أن عمر سأل عن علي، فقيل له ذهب إلى أرضه فقال اذهبوا بنا إليه، فوجدوه يعمل فعملوا معه ساعة ثم جلسوا يتحدثون فقال له علي: يا أمير المؤمنين أرأيت لو جاءك قوم من بني اسرائيل فقال لك أحدهم أنا ابن عم موسىﷺ أكانت له عندك أثرة على أصحابه؟ قال نعم، قال: فأنا والله أخو رسول اللهﷺ وابن عمه، قال فنزع عمر رداءه فبسطه فقال: لا والله لا يكون لك مجلس غيره حتى نفترق، فلم يزل جالساً عليه حتى تفرقوا، وذكر علي له ذلك إعلاماً بأن ما فعله معه من مجيئه إليه وعمله معه في أرضه وهو أمير المؤمنين إنما هو لقرابته من رسول اللهﷺ فزاد عمر في إكرامه وأجلسه على ردائه. (وأخرج) أيضاً أن عمر سأل علياً عن شيء فأجابه فقال له عمر: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن. (وأخرج) أيضاً أن الحسن استأذن على عمر فلم يأذن له، فجاء عبد الله بن عمر فلم يأذن له، فمضى الحسن فقال عمر عليّ به، فجاء فقال يا أمير المؤمنين قلت إن لم يؤذن لعبد الله لا يؤذن لي، فقال أنت أحق بالإذن منه وهل أنبت الشعر في الرأس بعد الله إلا أنتم. وفي رواية له إذا جئت فلا تستأذن. (وأخرج) أيضاً أنه جاء أعرابيان، يختصمان فأذن لعلي في القضاء بينهما فقضى فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا، فوثب إليه عمر وأخذ بتلابيبه وقال ويحك ما تدري من هذا؟ هذا

مولاك ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن. (وأخرج) أحمد أن رجلاً سأل معاوية عن مسألة فقال اسأل عنها علياً فهو أعلم فقال: يا أمير المؤمنين جوابك فيها أحب إليّ من جواب علي. قال بئس ما قلت، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يعزه عزاً، ولقد قال له: «أنت مني بمنزلة هرون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»، وكان عمر إذا أشكل عليه شيء أخذ منه. وأخرجه آخرون بنحوه لكن زاد بعضهم: قم لا أقام الله رجليك ـ ومحا اسمه من الديوان ـ ولقد كان عمر يسأله ويأخذ عنه ولقد شهدته إذا أشكل شيء قال ههنا علي. وصلى زيد بن ثابت على جنازة أمه كما قاله ابن عبد البر فقربت له بغلته ليركب فأخذ ابن عباس بركابه فقال: خل عنك يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء، لأنه كان يأخذ عنه العلم فقبّل زيد يده وقال: هكذا أمِرْنا أن نفعل بأهل بيت نبيناﷺ. وصح عنه أنه كان يأتي لبيت بعض الصحابة ليأخذ عنه الحديث فيجده قائلاً فيتوسد رداءه على بابه فتسفي الريح التراب على وجهه فإذا خرج ورآه قال: يا ابن عم رسول اللهﷺ ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلي فآتيك، فيقول: لا، أنا أحق أن آتيك وحج ابن عباس مع معاوية رضي الله عنهما، وكان لمعاوية موكب ولابن عباس موكب ممن يطلب العلم. وقال عمر[1] بن عبد العزيز لعبد الله بن حسن بن

(١) عرف التاريخ الإسلامي إشراقات منها ما حدث في زمن الخليفة الأموي الراشد العادل عمر بن عبد العزيز الذي التمس عطف العلويين خصوم بني أميّة، وقد تجلّى هذا بموقفين كريمين، أولهما: حينما أعاد «فدك» التي سبق للنبيﷺ أن نحلها ابنته سيدة

حسين: إذا كانت لك حاجة فاكتب لي بها فإني أستحي من الله أن يراك على بابي، ولما دخلت عليه فاطمة بنت علي وهو أمير المدينة أخرج من عنده وقال لها ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم،

نساء العالمين السيدة فاطمة عليها السلام وقد انتزعها منها الخليفة أبو بكر(رض) وجعلها في أيدي الحسنيين من آل علي عليه السلام والثاني حينما ألغى سبَّ الإمام علي وفاطمة والحسن والحسين، وهي سنة معاوية ابن آكلة الأكباد، وبني أميّة على المنابر، وجعل بديلاً عنها في خطبة الجمعة قول الحق سبحانه: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي**﴾ (النحل، آية ٩٠). ولله درّ الشريف الرضي رضي الله عنه حيث خاطب عمر بن عبد العزيز قائلاً:

يا ابن عبد العزيز لو بكت العين ... فتىً من أميّة لبكيتك

غير أنّي أقول أنّك قدْ طبتَ ... وإن لم يطب ولم يزك بيتُك

أنت نزهتنا عن السبّ والشتم ... ولو أمكن الجزاء جزيتك

ولو أنّي رأيت قبرك لأستحييت ... من أن أراه وما حييتك

وقليل أن لو بذلت داء البدن ... ضرباً على الذرى وما سقيتك

دير سمعان فيك مأوى أبي حفص ... فبودي لو أنني آويتك

دير سمعان لا أغاثك غيث ... خير ميت من آل مروان ميتك

أنت بالذكر بين عيني وقلبي ... إن تدانيت منك أو إن نأتيك

وإذا حرّك الحشا خاطر منك ... توهمت أنني قد رأيتك

وعجبت أنني قليت بني مروان ... طُراً وأنني ما قليتك

قرُب العدل منك لمّا تأتى ... الجور منهم فجفوتهم واجتبيتك

فلو أنّي ملكْتُ دَفْعاً لما نا ... بكَ منْ طارقِ الردّى لفَديتُكَ

ولأنتم أحب إلي من أهل بيتي. وقال أبو بكر بن عياش كما في الشفاء لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم لبدأت بحاجة عليٍّ قبلهما لقرابته من رسول الله ﷺ ولَأَنْ أَخِرَّ من السماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أقدِّمَهُما عليه.

ولما ضرب جعفر بن سليمان العباسي والي المدينة مالكاً رضي الله عنه ونال منه وحمل مغشياً عليه وأفاق قال: أشهدكم أني جعلت ضاربي في حل ثم سئل فقال: خفت أن أموت وألقى النبي ﷺ وأستحي منه أن يدخل بعض آله النار بسببي. ولما قدم المنصور المدينة أراد إقادة من جعفر فقال: أعوذ بالله، والله ما ارتفع منه سوط إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله ﷺ. ودخل عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السن وله وفرة فرفع عمر مجلسه وأقبل عليه فلامه قومه فقال: إن الثقة حدثني حتى كأني أسمعه من في رسول الله ﷺ «إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها»، وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها.

(وأخرج) الخطيب أن أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان إذا جاءه شيخ أو حدث من قريش أو الأشراف قدمهم بين يديه وخرج وراءهم. وكان أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه يعظم أهل البيت كثيراً ويتقرب بالإنفاق على المتسترين منهم والظاهرين حتى قيل إنه بعث إلى متستر منهم باثني عشر ألف درهم وكان يحض أصحابه على ذلك. ولمبالغة الشافعي فيهم صرح بأنه من شيعتهم حتى قيل كيت وكيت، فأجاب عن

ذلك بما قدمناه عنه من النظم البديع وله ايضاً:

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي

وقارف الزهري ذنباً فهام على وجهه. فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهري: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[1] فرجع إلى أهله وماله.

(خاتمة) فيما أخبر بهﷺ مما حصل على آله ومما أصاب مسيئهم من الانتقام الشديد، وفي آداب أخرى قالﷺ: «إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً، وإن أشد قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم» صححه الحاكم لكن فيه إسماعيل والجمهور على أنه ضعيف لسوء حفظه وممن وثقه البخاري فقد نقل الترمذي عنه ثقة مقارب الحديث ومن أشد الناس بغضاً لأهل البيت مروان بن الحكم، وكأن هذا هو سر الحديث الذي صححه الحاكم أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتي به النبيﷺ فيدعو له فأدخل عليه مروان بن الحكم فقال «هذا الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن المعلون»، وروى بعده بيسير عن محمد بن زياد قال: لما

(١) سورة الأنعام، الآية، ١٢٤.

بايع معاوية رضي الله تعالى عنه لابنه يزيد قال مروان سنة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقال عبد الرحمن بن أبي بكر سنة هرقل وقيصر فقال له مروان أنت الذي أنزل الله فيك: ﴿**والذي قال لوالديه أف لكما**﴾[1]. فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: كذب والله ما هو به ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه ثم روي عن عمرو بن مرة الجهني - وكانت له صحبة رضي الله عنه - أن الحكم ابن العاص استأذن على رسول الله ﷺ فعرف صوته، فقال «ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يترفهون في الدنيا ويضعون في الآخرة ذوو مكر وخديعة يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاق». قال ابن ظفر وكان الحكم هذا يرمى بالداء العضال وكذلك أبو جهل، كذا ذكر ذلك كله الدميري في الحديث الآخر: أنه بشر يغضب كما يغضب البشر وأنه سأل ربه أن من سبه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة وزكاة وكفارة وطهارة.

وما نقله عن ابن ظفر في أبي جهل لا تأويل عليه فيه بخلافه في الحكم فإنه صحابي وقبيح أي قبيح أن يرمى صحابي بذلك فليحمل على أنه إن صح ذلك كان يرمى به قبل الإسلام ومر في أحاديث المهدي أنه ﷺ رأى فتية من بني هاشم فاغرورقت عيناه وتغير لونه ثم قال: «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً

---

(١) سورة الأحقاف، الآية ١٧.

وتطريداً». (وأخرج) ابن عساكر أول الناس هلاكاً قريش وأول هلاك قريش هلاك أهل بيتي ونحوه للطبراني وأبي يعلى.

(واعلم) أنه يتأكد في حق الناس عامة وأهل البيت خاصة رعاية أمور: (الأول) الاعتناء بتحصيل العلوم الشرعية فإنه لا فائدة في نسب من غير علم. ودلائل الحث على الاعتناء بالعلوم الشرعية وآدابها وآداب العلماء والمتعلمين وتفصيل ذلك كله ظاهر معروف من كتب الأئمة فلا نطيل فيه. (الثاني) ترك الفخر بالآباء وعدم التعويل عليهم من غير اكتساب للعلوم الدينية، فقد قال تعالى ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1]. وفي البخاري وغيره أنهﷺ سئل أي الناس أكرم؟ فقال: أكرمهم عند الله أتقاهم، وروى ابن جرير وغيره ﴿إن الله لا يسألكم عن أحسابكم ولا عن أنسابكم يوم القيامة إلا عن أعمالكم، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. وروى أحمد أنهﷺ قال: أنظر فإنك لست بخير من أحمر ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى.

(وأخرج) أيضاً من جملة خطبتهﷺ وهو بمنى: «يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ولا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، خيركم عند الله أتقاكم». (وأخرج) القضاعي وغيره مرفوعاً: «من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه»، وهو في مسلم من جملة حديث، وسبق في هذا الباب تخصيصهﷺ لأهل بيته بالحث على تقوى الله وخشيته وتحذيرهم على أن لا يكون أحد أقرب إليه منهم بالتقوى

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٣.

يوم القيامة، وأن لا يؤثروا الدنيا على الآخرة اغتراراً بأنسابهم، وأن أولياءهﷺ يوم القيامة المتقون من كانوا حيث كانوا وقد ذكر أهل السير أن زيداً بن موسى الكاظم خرج على المأمون فظفر به فأرسله إلى أخيه الآتي عليّ الرضا، فوبخه بكلام كثير من جملته: ما أنت قائل لرسول اللهﷺ إذا سفكت الدماء وأخفت السبيل وأخذت المال من غير حله، أغرك حمقى أهل الكوفة، وأن رسول اللهﷺ قال: «إن فاطمة قد أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار»، هذا لمن خرج من بطنها مثل الحسن والحسين فقط لا لي ولك، والله ما نالوا ذلك إلا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعصية الله ما نالوه بطاعة الله إنك إذاً لأكرم على الله منهم انتهى. فتأمل ذلك فما أعظم موقعه ممن وفقه الله من أهل البيت المكرم، فإن من تأمل ذلك منهم لم يغتر بنسبه ورجع إلى الله سبحانه عما هو عليه مما لم يكن عليه المتقدمون الأئمة من آبائه، واقتدى بهم في عظم مآثرهم وزهدهم وعباداتهم وتحليهم بالعلوم السنية والأحوال والخوارق الجليلة أعاد الله علينا من بركاتهم وحشرنا في زمرة محبيهم آمين. (وأخرج) أبو نعيم عن محمد الجواد الآتي ابن علي الرضا المتقدم آنفاً أنه سئل عن حديث إن فاطمة أحصنت فرجها الحديث المذكور فقال بما مر عن أبيه: ذاك خاص بالحسن والحسين، ولما استشار زيد أباه زين العابدين في الخروج نهاه وقال أخشى أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفياني إلا قتل فكان كما قال أبوه كما مرت قصته في هذا الباب.

(وأخرج) أحمد وغيره ما حاصله أنهﷺ كان إذا قدم من سفر أتى فاطمة وأطال المكث عندها ففي مرة صنعت لها مسكين من ورق وقلادة وقرطين وستر باب بيتها فقدمﷺ ودخل عليها ثم خرج وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس على المنبر فظنت أنه إنما فعل ذلك لما رأى ما صنعته فأرسلت به إليه ليجعله في سبيل الله فقال فعلت فداها أبوها ثلاث مرات ليست الدّنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله في الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء ثم قام فدخلﷺ عليها، زاد أحمد أنهﷺ أمر ثوبان أن يدفع ذلك إلى بعض أصحابه وبأن يشتري لها قلادة من عصب وسوارين من عاج وقال: «إن هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا» فتأمل ذلك تجد الكمال ليس إلا بالتحلي بالزهد والورع والدأب في الطاعات، والتخلي عن سائر الرذالات وليس في التخلي بجمع الأموال ومحبة الدنيا والترفع بها إلا غاية المتاعب والنقائص والمثالب، ولقد طلق عليٌّ الدنيا ثلاثاً وقال: «لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها»، ومر في فضائله طرف من ذلك.

(الثالث) تعظيم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لأنهم خير الأمم بشهادة قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[1] وخير هذه الأمة بشهادة الحديث المتفق على صحته: خير القرون قرني، وقد قدمت في

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

المقدمة الأولى من هذا الكتاب من الأحاديث الدالة على فضلهم وكمالهم ووجوب محبتهم واعتقاد كمالهم وبراءتهم من النقائص والجهالات والإقرار على باطل ما تقرُّ بِه العيون وتزول به عمن أراد الله توفيقه وهدايته ما توالى عليه من المحن والغبون والفتون، فاحذر أن تكون إلا مع السواد الأعظم من هذه الأمة أهل السنة والجماعة وأن تتخلف مع أولئك المتخلفين عن الكمالات إخوان الأهوية والبدع والضلال والحمق والجهالات فلا ينفعك حينئذ نسب وربما سلبت الإسلام فألحقت بأبي جهل وأبي لهب.

(الرابع) اعلم أن ما أصيب به الحسين رضي الله تعالى عنه في يوم عاشوراء كما سيأتي بسط قصته إنما هو الشهادة الدالة على حظوته ورفعته ودرجته عند الله وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهرين فمن ذكر ذلك اليوم مصابه لم ينبغ أن يشتغل إلا بالإسترجاع امتثالاً للأمر وإحرازاً لما رتبه تعالى عليه بقوله ﴿**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**﴾[1] ولا يشتغل ذلك اليوم إلا بذلك ونحوه من عظائم الطاعات كالصوم، وإياه ثم إياه أن يشغله ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة[2] والحزن إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين وإلا

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٧.

(٢) إعلم وفقك الله وإياي لما يحبه ويرضاه، أن أول من ناح وندب وأقام مجلس عزاء على أبيٍّ الضيم سيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء عليه السلام هو سيد البشر وإمام الأنبياء سيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله. فعن ينابيع المودة للقندوزي

الحنفي ص ٣٧٢ ط/ بيروت، بسنده قال: أخرج ابن سعد عن الشعبي قال: مرَّ علي كرم الله وجهه بكربلاء عند مسيره إلى صفين، فبكى حتى بلّ الأرض من دموعه فقال: «دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي فقلت: يا رسول الله بأبي وأمي ما يبكيك؟ قال: كان عندي جبرائيل آنفاً، وأخبرني بأن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له: كربلاء، ثم قبض جبرائيل قبضة من ترابه، وشمّمني إيّاها فلم أملك عيني أن فاضتا. أيضاً رواه أحمد.

وروى الملا أن علياً كرم الله وجهه، مرَّ بكربلاء فقال: هذا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم، وههنا مهراق دمائِهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض. وفي ص ٣٧١، يقول: وأخرج البغوي في معجمه، وأبو حاتم في صحيحه، وأحمد وابن أحمد وعبد بن حميد وابنه أحمد، عن أنس أن النبي ﷺ قال: استأذن ملك ربه أن يزورني فأذن له، وكان يوم أم سلمة فقال: يا أم سلمة احفظي الباب لا يدخل أحد، فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين، فوثب على حجر جده ﷺ فجعل يلثمه ويقبله فقال الملك: إن أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذي يقتل به، فأراه فجاءه بسهلة وتراب أحمر، فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها قال ثابت: كنا نقول: إنها كربلاء. وزاد أبو حاتم أنه ﷺ شمّها وقال: ويح كربلاء والسهلة رمل خشن.

وفي رواية الملا وابن أحمد قال ﷺ: يا أم سلمة فمتى صار دماً فاعلمي أنه قد قتل. قالت أم سلمة: فوضعته في قارورة فرأيته يوم قتل الحسين قد صار دماً. وقالت: لما كانت ليلة قتله: سمعت قائلاً يقول:

أيُّها القاتلون جهلاً حسينا ... إبشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان ابن داو ... د وموسى وحامل الإنجيل

فبكت وفتحت القارورة فإذا صار دماً.

وحكى سبط ابن الجوزي عن الواقدي، أن شخصاً حضر قتل الحسين عليه السلام فعمي، فسئل عن سببه فقال: إنه رأى النبي ﷺ حاسراً عن ذراعيه، وبيده سيف، وعشرة ممن قاتل الحسين مذبوحين بين يديه، ثم لعنه وسبّه بتكثيره سوادهم، ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى.

لكان يوم وفاته ﷺ أولى بذلك وأحرى[1] أو ببدع الناصبة المتعصبين على أهل البيت أو الجهال المقابلين الفاسد بالفاسد والبدعة بالبدعة والشر بالشر من إظهار غاية الفرح والسرور واتخاذه عيداً وإظهار الزينة فيه كالخضاب والاكتحال، ولبس جديد الثياب وتوسيع النفقات وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات واعتقادهم أن ذلك من السنة والمعتاد، والسنة ترك ذلك كله فإنه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع له.

(وقد سئل) بعض أئمة الحديث والفقه عن الكحل والغسل والحناء وطبخ الحبوب[2] ولبس الجديد وإظهار السرور يوم عاشوراء، فقال: لم يرد فيه حديث صحيح عنه ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ولا

وأخرج سبط ابن الجوزي أن رجلاً منهم، علّق في لبّ فرسه رأس الحسين، فرأى وجهه أشدّ سواداً من القار، فقيل له: إنك كنت أحسن العرب وجهاً، فقال: ما مرَّت عليّ ليلة من حين حملت رأس الحسين، إلا واثنان يأخذان بضبعي، ثم ينتهيان بي على نار فيدفعانني فيها، ثم مات على أقبح حال.

(١) وما في كتاب المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة لعبد الحسين الموسوي لا ينهض دليلاً على جواز شيء من ذلك لضعف ثبوته ودلالته.

(٢) دأب بنو أميّة وأشياعهم أخزاهم الله على إظهار الفرح والسرور في يوم مقتل واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام العاشر من محرَّم، واتخاذه عيداً في بعض بلاد الشام، وكذلك إظهار الزينة، كالخضاب، والاكتحال، ولبس الجديد من الثياب، وتوسيع النفقات، وطبخ الأطعمة والحبوب والخارجة عن العادات، وذلك كله ضلال وفسوق وفجور، وحرب على الله ورسوله. (المحقق).

استحبه أحد من أئمة المسلمين لا من الأربعة ولا من غيرهم ولم يرد في الكتب المعتمدة في ذلك صحيح ولا ضعيف، وما قيل إن من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل لم يمرض كذلك ومن وسع على عياله فيه وسع الله عليه سائر سنته وأمثال ذلك من فضل الصلاة فيه وأنه كان فيه توبة آدم واستواء السفينة على الجودي وإنجاء إبراهيم من النار وإفداء الذبيح بالكبش ورد يوسف على يعقوب فكل ذلك موضوع إلا حديث التوسعة على العيال، لكن في سنده من تكلم فيه[1] فصار هؤلاء لجهلهم يتخذونه موسماً وأولئك لرفضهم بتخذونه مأتماً وكلاهما مخطئ مخالف للسنة كذا ذكر ذلك جميعه بعض الحفاظ[2] وقد صرح الحاكم بأن الاكتحال يومه بدعة، مع روايته خبر:

---

(١) حديث التوسعة على العيال، صححه العراقي والحافظ ابن ناصر، وله طرق كثيرة بعضها على شرط مسلم ورواية ابن عبد البر صحيحة والضعيف منها إذا ضم إلى بعضه يتقوى ببعض كما ذكره السخاوي والسيوطي وألف العراقي فيه جزءاً لخصه السيوطي في التعقبات وذكر ابن الجوزي أن إسناده فيه مجهول، وهو سليمان بن أبي عبد الله ولكن ابن حبان قد وثقه.

(٢) قال ابن كثير: وقد أسرف الرافضة في دولة بني بويه في حدود الأربعمائة وما حولها فكانت الدبادب تضرب ببغداد ونحوها من البلاد في يوم عاشوراء. ويذر الرماد والتبن في الطرقات والأسواق، وتعلق المسوح على الدكاكين، ويظهر الناس الحزن والبكاء، وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتذ موافقة للحسين لأنه قتل عطشان، ثم يخرج النساء حاسرات عن وجوههن ينحن ويلطمن وجوههن وصدورهن حافيات في الأسواق إلى غير ذلك من البدع الشنيعة والأهواء الفظيعة والهتائك المخترعة، وإنما يريدون بهذا وأشباهه أن يشنعوا على دولة بني أمية لأنه قتل في دولتهم اهـ

إن من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبداً، لكنه قال إنه منكر، ومن ثم أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الحاكم قال بعض الحفاظ، ومن غير تلك الطريق، ونقل المجد اللغوي عن الحاكم أنَّ سائر الأحاديث في فضله ـ غير الصوم وفضل الصلاة فيه والإنفاق ـ والخضاب والادهان والاكتحال وطبخ الحبوب كله موضوع[1] ومفترى، وبذلك صرح ابن القيم أيضاً فقال: حديث الاكتحال والادهان والتطيب يوم عاشوراء من وضع الكذابين والكلام فيمن خص عاشوراء بالكحل، وما مر من أن التوسعة فيه لها أصل هو كذلك فقد أخرج حافظ الإسلام الزين العراقي في أماليه من طريق البيهقي أن النبيﷺ قال: «من وسع على عياله وأهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته»، ثم قال عقبه هذا حديث في إسناده لين لكنه حسن على رأي غير ابن حبان، وله طريق آخر صححه الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر وفيه زيادات منكرة، وظاهر كلام البيهقي أن حديث التوسعة حسن على رأي غير ابن حبان أيضاً فإنه رواه من طريق عن جماعة من الصحابة مرفوعاً ثم قال: وهذه الأسانيد وإن كانت ضعيفة لكنها إذا ضم بعضها إلى بعض أحدثت قوة، وإنكار ابن تيمية[2] أن التوسعة لم يرد فيها شيء عنهﷺ لما علمت،

---

(١) قال ابن رجب في لطائف المعارف: كل ما روي في فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال في يوم عاشوراء موضوع لم يصح.

(٢) حديث التوسعة على العيال يوم عاشوراء، ضعيف، وذهب بعضهم إلى أنه موضوع، ويكفي في هذا الباب إنكار صحته من الإمام أحمد، والشيخ ابن تيمية. (المحقق).

وقول أحمد إنه حديث لا يصح أي لذاته، فلا ينفي كونه حسناً لغيره والحسن لغيره يحتج به كما بين في علم الحديث.

(الخامس) ينبغي لكل أحد أن يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وضبطه حتى لا ينسب إليهﷺ إلا بحق، ولم تزل أنساب أهل البيت النبوي مضبوطة على تطاول الأيام وأحسابهم التي بها يتميزون محفوظة عن أن يدعيها الجهال واللئام، قد ألهم الله من يقوم بتصحيحها في كل زمان، ومن يعتني بحفظ تفاصيلها في كل أوان، خصوصاً أنساب الطالبيين والمطلبيين. ومن ثم وقع الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة ببني فاطمة من بين ذوي الشرف كالعباسيين والجعافرة بلبس الأخضر إظهاراً لمزيد شرفهم قيل وسببه أن المأمون أراد أن يجعل الخلافة فيهم ـ أي ويدل عليه ما يأتي في ترجمة محمد الجواد من أنه عهد إليه بالخلافة فاتخذ له شعاراً أخضر وألبسهم ثياباً خضراً لكون السواد شعار العباسيين والبياض شعار سائر المسلمين في جمعهم ونحوها والأحمر مختلف في تحريمه والأصفر شعار اليهود في آخر الأمر. ثم انثنى عزمه عن ذلك ورد الخلافة لبني العباس، فبقي ذلك شعار الأشراف العلويين من بني الزهراء، لكنهم اختصروا الثياب إلى قطعة ثوب خضراء توضع على عمائمهم شعاراً لهم ثم انقطع ذلك إلى أواخر القرن الثامن ثم في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة أمر السلطان الأشرف شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون أن يمتازوا على الناس بعصائب خضر على العمائم ففعل ذلك بأكثر البلاد

كمصر والشام وغيرهما[1]، وفي ذلك يقول ابن جابر الأندلسي الأعمى نزيل حلب، وهو صاحب شرح ألفية ابن مالك المسمى بالأعمى والبصير:

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ... تغني الشريف عن الطراز الأخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن أحسنه قول الأديب محمد بن إبراهيم ابن بركة الدمشقي المزني:

أطراف تيجان أتت من سندس ... خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها ... شرفاً ليعرفهم من الأطراف

هذا وقد ورد التحذير العظيم عن الانتساب إلى غير الآباء وأنه كافر ملعون، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «من انتسب إلى غير أبيه أو تولى إلى غير مواليه

---

(١) كان يطلق في الصدر الأول اسم الشريف على كل من كان من أهل البيت من أولاد علي أو أولاد جعفر أو عقيل أو العباس وجرى على هذا الاصطلاح الذهبي فيمن يؤرخ له منهم وقصره الفاطميون على ذرية الحسنين فقط، ويطلق في بغداد على كل عباسي، وما صنعه الذهبي أولى كما قاله السيوطي ولبس العلامة الخضراء لا يمنع من أرادها من شريف وغيره ولا يؤمر بها من تركها من شريف وغيره إلا لغرض شرعي كما ذكره السيوطي في العجالة الزرنبية، وأما العمامة الخضراء فأحدثها محمد الشريف المتولى باشا مصر سنة أربع بعد الألف كما ذكره الخفاجي.

فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»، والأحاديث في ذلك كثيرة مشهورة فلا نطيل بذكرها، أعاذنا الله من الكذب عليه وعلى أنبيائه وأوليائه وحشرنا في زمرة أهل هذا البيت النبوي المعظم المكرم، فإننا من محبيهم وخدمة جنابهم، ومن أحب قوماً رجا أن يكون معهم بنص الحديث الصحيح، وهذا هو علالة الضعيف المقصر مثلي عن أن يعمل بأعمال الصادقين أو يتحلى بعلى أحوال المخلصين، لكن سعة الرجاء في مواهب ذي الجلال والإكرام تفيض إن شاء الله علينا غاية القبول والإنعام، إنه أكرم كريم وأرحم رحيم.

الفصل الثاني

(في سرد أحاديث واردة في أهل البيت ومر أكثر هذا في الفصل الأول ولكن قصدت سردها في هذا الفصل ليكون ذلك أسرع للاستحضار)

(الحديث الأول) أخرج الديلمي عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال: «اشتد غضب الله على من آذاني في عترتي». وورد أنه ﷺ قال: «من أحب أن ينسأ ـ أي يؤخر ـ في أجله وأن يمتع بما خوله الله فليخلفني في أهلي خلافة حسنة فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره. وورد علي يوم القيامة مسوداً وجهه». (الحديث الثاني) أخرج الحاكم عن أبي ذر أن رسول الله ﷺ قال: «إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»، وفي رواية البزار عن ابن عباس، وعن ابن

الزبير، وللحاكم عن أبي ذر أيضاً: «مثل أهل بيني مثـل سـفينة نـوح مـن ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». (الحديث الثالث) أخرج الطبراني عـن ابن عمر رضي الله عنهما: «أول من أشفع له يوم القيامة من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من أهل اليمن ثم مـن سـائر العـرب ثـم الأعـاجم ومـن أشـفع لـه أولاً أفـضل». (الحديث الرابع) أخرج الحـاكم عـن أبـي هريـرة أن رسـول اللهﷺ قـال: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي». (الحديث الخـامس) أخـرج الطبرانـي والحاكم عن عبد الله بن أبي أوفـى أن النبـيﷺ قـال: «سـألت ربـي أن لا أتزوج إلى أحد من أمتي ولا يتزوج إلي أحد من أمتي إلا كان معـي فـي الجنة فأعطاني ذلك». (الحديث السادس) أخرج الشيرازي في الألقاب عن ابن عباس أن رسول اللهﷺ قال: »سألت ربي أن لا أزوج إلا من أهل الجنة ولا أتزوج إلا من أهل الجنة». (الحديث السابع) أخرج أبو القاسم بن بشر في أماليه عن عمران بن حصين أن رسول اللهﷺ قال: «سـألت ربـي أن لا يدخل أحداً من أهـل بيتـي النـار فأعطـاني». (الحـديث الثـامن) أخـرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيﷺ قـال: «أحبـوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبـي». (الحديث التاسع) أخرج ابن عساكر عن علي كـرم الله وجهـه أن رسـول اللهﷺ قال: «من صنع إلـى أهــل بيتـي يـداً كافأتـه عليهـا يـوم القيامـة». (الحديث العاشر) أخرج الخطيب عن عثمـان رضـي الله عنـه أن رسـول اللهﷺ قال: «من صنع صنيعة إلى أحد من خلف عبد المطلـب فـي الـدنيا

فعلي مكافأته إذا لقيني». (الحديث الحادي عشر) أخرج ابن عساكر عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «من آذى شعرة مني فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله». (الحديث الثاني عشر) أخرج أبو يعلى عن سلمة بن الأكوع أن النبي ﷺ قال: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي». (الحديث الثالث عشر) أخرج الحاكم عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم». (الحديث الرابع عشر) أخرج ابن عدي والديلمي عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «أثبتكم على الصراط أشدكم حباً لأهل بيتي ولأصحابي». (الحديث الخامس عشر) أخرج الترمذي عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». (الحديث السادس عشر) أخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم أن رسول الله ﷺ قال: «أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم». (الحديث السابع عشر) أخرج ابن ماجه عن العباس بن عبد المطلب أن رسول الله ﷺ قال: «ما بال أقوام إذا جلس إليهم أحد من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والذي نفسي بيده لا يدخل قلب امرىء الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتي». (الحديث الثامن عشر) أخرج أحمد والترمذي عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة».

(الحديث التاسع عشر) أخرج ابن ماجه والحاكم عن أنس أن رسول

اللهﷺ قال: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة، أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي». (الحديث العشرون) أخرج الطبراني عن فاطمة الزهراء رضي الله عنها أن النبيﷺ قال: «لكل بني أنثى عصبة ينتمون إليها إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وأنا عصبتهم». (الحديث الحادي والعشرون) أخرج الطبراني عن ابن عمر أن النبيﷺ قال: «كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا عصبتهم وأنا أبوهم». (الحديث الثاني والعشرون) أخرج الطبراني عن فاطمة أن النبيﷺ قال: «كل بني أنثى بنتمون إلى عصبتهم إلا ولد فاطمة فإني أنا وليهم وأنا عصبتهم وأنا أبوهم». (الحديث الثالث والعشرون) أخرج احمد والحاكم عن المسور أن النبيﷺ قال: «فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها ويبسطني ما يبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري». (الحديث الرابع والعشرون) أخرج البزار وابو يعلى والطبراني والحاكم عن ابن مسعود أن النبيﷺ قال: «فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار».

(ومما يندرج) في هذا السلك وسلك الخلفاء الأربعة السابق ذكرهم الأحاديث الواردة في قريش، لأنهم كلهم من قريش وهم ولد النضر بن كنانة فإن ما ثبت للأعم ثبت للأخص فلذا أثبتها على عدا ما مر وأخرتها إلى هنا لتعم جميع قريش فقلت. (الحديث الخامس والعشرون) أخرج الشافعي وأحمد رضي الله عنهما عن عبد الله بن حنطب قال: خطبنا رسول اللهﷺ يوم الجمعة فقال: «أيها الناس قدموا قريشاً ولا تقدموها

وتعلموا منها ولا تعلموها».

(الحديث السادس والعشرون) أخرج البيهقي عن جبير بن مطعم أن النبيﷺ قال: «يا أيها الناس لا تتقدموا قريشاً فتهلكوا ولا تتخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها فإنهم أعلم منكم، لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله عز وجل».

(الحديث السابع والعشرون) أخرج الشيخان عن جابر أن النبيﷺ قال: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا». (الحديث الثامن والعشرون) أخرج البخاري عن معاوية أن النبيﷺ قال: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه في النار». (الحديث التاسع والعشرون) أخرج الطبراني عن ابن عباس أن النبيﷺ قال: «أمان لأهل الأرض من الغرق القوس وأمان لأهل الأرض من الاختلاف الموالاة لقريش، قريش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس» ـ والقوس هو المشهور بقوس قزح سمي به لأنه أول ما رؤى في الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة، أو لأن قزح هو الشيطان ومن ثم قال علي: «لا تقل قوس قزح قزح هو الشيطان ولكنها قوس الله تعالى هي علامة كانت بين نوح ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ـ وبين ربه عز وجل وهي أمان لأهل الأرض من الغرق». (الحديث الثلاثون) أخرج ابن عرفة العبدي أن النبيﷺ قال: «أحبوا قريشاً فإن من أحبهم أحبه الله». (الحديث الحادي والثلاثون) أخرج مسلم

والترمذي وغيرهما عن واثلة أن النبيﷺ قال: «إن الله اصطفى كنانة من بني اسماعيل واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم. وفي رواية إن الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم واتخذه خليلاً واصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزاراً ثم اصطفى من نزار مضر ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشاً ثم اصطفى من قريش بني هاشم ثم اصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب ثم اصطفانى من بني عبد المطلب».

(الحديث الثاني والثلاثون) أخرج أحمد بسند جيد عن العباس قال: بلغ رسول اللهﷺ ما يقول الناس فصعد المنبر فقال: «من أنا؟ قالوا أنت رسول الله فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه وجعلهم فرقتين فجعلني من خيرهم فرقة وخلق القبائل فجعلني من خيرهم قبيلة وجعلهم بيوتاً فجعلني من خيرهم بيتاً فأنا خيركم بيتاً وأنا خيركم نفساً».

(الحديث الثالث والثلاثون) أخرج أحمد والمحاملي والمخلص والذهبي وغيرهم عن عائشة قالت: قال رسول اللهﷺ: «قال جبريل عليه السلام: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد رجلاً أفضل من محمدﷺ وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم».

(الحديث الرابع والثلاثون) أخرج أحمد والترمذي والحاكم عن سعد أن النبيﷺ قال: «من يرد هوان قريش أهانه الله». (الحديث الخامس والثلاثون) أخرج أحمد ومسلم عن جابر أن النبيﷺ قال: «الناس تبع لقريش في الخير والشر». (الحديث السادس والثلاثون) أخرج أحمد عن

ابن مسعود أن النبيﷺ قال: «(أما بعد) يا معشر قريش فإنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله فإذا عصيتموه بعث الله عليكم من يلحوكم كما يلحى هذا القضيب». (الحديث السابع والثلاثون) أخرج أحمد ومسلم عن معاوية أن النبيﷺ قال: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله ما أقاموا الدين». (الحديث الثامن والثلاثون) أخرج أحمد والنسائي والضياء عن أنس أن النبيﷺ قال: «الأئمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما إن استرحموا رحموا وإن استحكموا عدلوا وإن عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً». (الحديث التاسع والثلاثون) أخرج الطبراني عن جابر بن سمرة أن النبيﷺ قال: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش». (الحديث الأربعون) أخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم أن النبيﷺ قال: «أعطيت قريش ما لم يعط الناس أعطوا ما أمطرت السماء وما جرت به الأنهار وما سالت به السيول». (الحديث الحادي والأربعون) أخرج الخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: «اللهم اهد قريشاً فإن عالمها يملأ طباق الأرض علماً اللهم كما أذقتهم عذاباً أذقهم نوالاً». وهذا العالم هو الشافعي رضي الله عنه كما قاله أحمد وغيره لأنه لم يحفظ لقريش من انتشر علمه في الآفاق ما حفظ للشافعي. (الحديث الثاني والأربعون) أخرج الحاكم والبيهقي أن النبيﷺ قال: «الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها وفجارها أمراء فجارها، وإن أمرت عليكم قريش عبداً حبشياً مجدعاً فاسمعوا له وأطيعوا، ما لم يخير أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه، فإن خير بين إسلامه أي تركه وضرب عنقه فليقدم

عنقه». (الحديث الثالث والأربعون) أخرج أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «انظروا قريشاً فخذوا من قولهم وذروا فعلهم». (الحديث الرابع والأربعون) أخرج البخاري في الأدب والحاكم والبيهقي عن أم هانئ أن النبي ’ قال: «فضل الله قريشاً بسبع خصال، لم يعطها أحداً قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم فضل الله قريشاً أنّى منهم، وأن النبوة فيهم وأن الحجابة فيهم وأن السقاية فيهم ونصرهم على الفيل وعبدوا الله عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأنزل الله فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم، ﴿**لإيلاف قريش**﴾[1]. وفي رواية للطبراني فضل الله قريشاً بسبع خصال، فضلهم بأنهم عبدوا الله عشر سنين لا يعبد الله إلا قرشي وفضلهم بأن نصرهم يوم الفيل وهم مشركون وفضلهم بأن نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد غيرهم من العالمين: ﴿لإيلاف قريش﴾، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية».

الفصل الثالث

(في الأحاديث الواردة في بعض أهل البيت كفاطمة وولديها)

(الحديث الأول) أخرج أبو بكر في الغيلانيات عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش: يا أهل الجمع نكسوا رؤسكم وغضوا أبصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد على الصراط، فتمر مع سبعين ألف جارية من الحور العين كمر البرق».

---

(١) سورة قريش، الآية ١.

(الحديث الثاني) أخرج أيضاً عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد من بطنان العرش أيها الناس غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة الجنة»[1]. (الحديث الثالث) أخرج أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن المسور بن مخرمة أن رسول اللهﷺ قال: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن، ثم لا آذن ثم لا آذن إلا أن يريد ابن أبي طالب[2] أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم فإنما هي بضعة مني يريبني ما يريبها ويؤذيني وما يؤذيها».

(الحديث الرابع) أخرج الشيخان عن فاطمة أن النبيﷺ قال لها: «إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي فاتقي الله واصبري فإنه نعم السلف أنالك». (الحديث الخامس) أخرج أحمد

---

(١) أخرجه الحاكم وتمام في فوائده وابن بشران والخطيب وأبو بكر الشافعي وأبو الفتح الأزدي وحكم ابن الجوزي بوضعه والصحيح أنه ضعيف لا موضوع كما ذكره ابن عراق.

(٢) هذا الحديث من موضوعات بني أمية والعباسيين والخوارج، وهو لا يصحّ عقلاً ولا نقلاً. فقد ثبت أنّ علي بن أبي طالب يمنعه من هذه الخطبة المزعومة دينه، وخلقه، ونجدته. ولم يكن أحد من خلق الله بعد رسول اللهﷺ أعرف بحقوق ومناقب وشمائل سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراءؑ. وقد جاء في الحديث الصحيح: «علي مع الحقّ والحق مع علي يدور معه كيفما دار»، وقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقوله: «أقضاكم وأفقهكم علي الأخيشن في الله»، وعشرات غيرها من صحيح الأحاديث. (المحقق).

والترمذي والحاكم عن ابن الزبير أن النبيﷺ قال: «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها». (الحديث السادس) أخرج الشيخان عنها أن النبيﷺ قال لها: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين». (الحديث السابع) أخرج الترمذي والحاكم عن أسامة بن زيد أن النبيﷺ قال: «أحب أهلي إلي فاطمة». (الحديث الثامن) أخرج الحاكم عن أبي سعيد أن النبيﷺ قال: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران». (الحديث التاسع) عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال لعلي: «فاطمة أحب إلي منك وأنت أعز علي منها». (الحديث العاشر) أخرج أحمد والترمذي عن أبي سعيد والطبراني عن عمر وعن علي وعن جابر وعن أبي هريرة وعن أسامة بن زيد وعن البراء، وابن عدي عن ابن مسعود أن النبيﷺ قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

(الحديث الحادي عشر) أخرج ابن عساكر عن علي وعن ابن عمر وابن ماجه والحاكم عن ابن عمر، والطبراني عن قرة وعن مالك ابن الحويرث، والحاكم عن ابن مسعود أن النبيﷺ قال: «ابناي هذان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما». (الحديث الثاني عشر) أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان عن حذيفة أن النبيﷺ قال له: «أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب

أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». (الحديث الثالث عشر) أخرج الطبراني عن فاطمة أن النبيﷺ قال: «أما حسن فله هيبتي وسؤددي وأما حسين فإن له جراءتي وجودي». (الحديث الرابع عشر) أخرج الترمذي عن ابن عمر أن النبيﷺ قال: «إن الحسن والحسين ريحانتاي من الدنيا». (الحديث الخامس عشر) أخرج ابن عدي وابن عساكر عن أبي بكرة أن النبيﷺ قال: «إن ابني هذين ريحانتاي من الدنيا». (الحديث السادس عشر) أخرج الترمذي وابن حبان عن أسامة بن زيد أن النبيﷺ قال: «هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما». (الحديث السابع عشر) أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة وابن حبان والحاكم عن بريدة أن النبيﷺ قال: «صدق الله ورسوله ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾[1] نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما».

(الحديث الثامن عشر) أخرج أبو داود عن المقدام بن معد يكرب أن النبيﷺ قال: «هذا مني يعني الحسن، والحسين من علي». (الحديث التاسع عشر) أخرج البخاري وأبو يعلى وابن حبان والطبراني والحاكم عن أبي سعيد أن النبيﷺ قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى ابن زكريا، وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة إلا ما كان من مريم». (الحديث العشرون) أخرج أحمد

---

(١) سورة التغابن، الآية ١٥.

وابن عساكر عن المقدام بن معد يكرب أن النبيﷺ قال: «الحسن مني والحسين من علي». (الحديث الحادي والعشرون) أخرج الطبراني عن عقبة بن عامر أن النبيﷺ قال: «الحسن والحسين سيفا العرش وليسا بمعقلين». (الحديث الثاني والعشرون) أخرج أحمد والبخاري وأبو داود والترمذي والنسائي عن أبي بكرة أن النبيﷺ قال: «إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين يعني الحسن». (الحديث الثالث والعشرون) أخرج البخاري في الأدب المفرد والترمذي وابن ماجه عن يعلى بن مرة أن النبيﷺ قال: «حسين مني وأنا منه أحب الله من أحب حسيناً، الحسن والحسين سبطان من الأسباط». (الحديث الرابع والعشرون) أخرج الترمذي عن أنس أن النبيﷺ قال: «أحب أهل بيتي إلي الحسن والحسين».

(الحديث الخامس والعشرون) أخرج أحمد وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة أن النبيﷺ قال: «من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما فقد ابغضني». (الحديث السادس والعشرون) أخرج أبو يعلى عن جابر أن رسول اللهﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن». (الحديث السابع والعشرون) أخرج البغوي وعبد الغني في الإيضاح عن سلمان رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: «سمى هارون ابنيه شبراً وشبيراً وإني سميت ابني الحسن والحسين بما سمى به هارون ابنيه». (وأخرج) ابن سعد عن عمران بن سليمان قال: «الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سميت

العرب بهما في الجاهلية». (الحديث الثامن والعشرون) أخرج ابن سعد والطبراني عن عائشة أن النبيﷺ قال: «أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه». (الحديث التاسع والعشرون) أخرج أبو داود والحاكم عن أم الفضل بنت الحرث أن النبيﷺ قال: «أتاني جبريل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا يعني الحسين وأتاني بتربة من تربة حمراء». (وأخرج) أحمد لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل علي قبلها فقال لي: «إن ابنك هذا حسيناً مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها قال فأخرج تربة حمراء».

(الحديث الثلاثون) أخرج البغوي في معجمه من حديث أنس أن النبيﷺ قال: «استأذن ملك القطر ربه أن يزورني فأذن له وكان في يوم أم سلمة فقال رسول اللهﷺ: يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل أحد فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول اللهﷺ فجعل رسول اللهﷺ يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه؟ قال نعم قال إن أمتك تقتله وإن شئت أريك المكان الذي يقتل به فأراه فجاء بسهلة أو تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها». وقال ثابت: كنا نقول إنها كربلاء وأخرجه أيضاً أبو حاتم في صحيحه وروى أحمد نحوه وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضاً لكن فيه أن الملك جبريل فإن صح فهما واقعتان وزاد الثاني أيضاً أنهﷺ شمها وقال ريح كرب وبلاء والسهلة بكسر أوله رمل خشن ليس بالدقاق الناعم وفي

رواية الملا وابن أحمد في زيادة المسند، قالت ثم ناولني كفاً من تراب أحمر وقال: «إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها فمتى صار دماً فاعلمي أنه قتل». قالت أم سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت أقول إن يوماً يتحول فيه دماً ليوم عظيم وفي رواية عنها فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دماً وفي أخرى ثم قال يعني جبريل ألا أريك تربة مقتله فجاء بحصيات فجعلهن رسول اللهﷺ في قارورة قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيها القاتلون جهلاً حسيناً   إبشروا بالعذاب والتذليل

قد لعنتم على لسان ابن داو   د وموسى وحامل الإنجيل

قالت فبكيت وفتحت القارورة فإذا الحصيات قد جرت دماً. (وأخرج) ابن سعد عن الشعبي قال مر علي رضي الله عنه بكربلاء عند مسيره إلى صفين وحاذى نينوى ـ قرية على الفرات ـ فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل كربلاء فبكى حتى بلّ الأرض من دموعه ثم قال: دخلت على رسول اللهﷺ وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال: «كان عندي جبريل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء ثم قبض جبريل قبضة من تراب شمني إياه فلم أملك عيني أن فاضتا». ورواه أحمد مختصراً عن علي قال: دخلت على النبيﷺ الحديث. وروى الملا أن علياً مر بقبر الحسين فقال: ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم وههنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

(وأخرج) أيضاً أنهﷺ كان له مشربة درجتها في حجرة عائشة يرقى إليها إذا أراد لقى جبريل فرقى إليها وأمر عائشة أن لا يطلع عليها أحد ، فرقى حسين ولم تعلم به فقال: «جبريل من هذا؟ قال: ابني فأخذه رسول اللهﷺ فجعله على فخذه فقال جبريل ستقتله أمتك فقالﷺ: ابني، قال: نعم وإن شئت أخبرتك الأرض التي يقتل فيها فأشار جبريل بيده إلى الطف بالعراق فأخذ منها تربة حمراء فأراه إياها وقال هذه من تربة مصرعه».

(وأخرج) الترمذي أن أم سلمة رأت النبيﷺ باكياً وبرأسه ولحيته التراب فسألته فقال: «قتل الحسين آنفاً وكذلك رآه ابن عباس نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم يلتقطه فسأله فقال: دم الحسين وأصحابه لم أزل أتتبعه منذ اليوم» فنظروا فوجدوه قد قتل في ذلك اليوم فاستشهد الحسين كما قالﷺ بكربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضاً بالطف قتله سنان بن أنس النخعي وقيل غيره يوم الجمعة عاشر المحرم سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة وأشهر، ولما قتلوه بعثوا برأسه إلى يزيد فنزلوا أول مرحلة فجعلوا يشربون بالرأس فبينما هم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطراً بدم:

أترجو أمة قتلت حسيناً شفاعة جده يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس، أخرجه منصور بن عمار، وذكر غيره أن هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثهﷺ بثلاثمائة، وأنه مكتوب في كنيسة

من أرض الروم لا يدرى من كتبه[1]. وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوة عن نصرة الأزدية أنها قالت: لما قتل الحسين بن علي أمطرت السماء دماً فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً، وكذا روي في أحاديث غير هذه، ومما ظهر يوم قتله من الآيات أيضاً أن السماء اسودت اسوداداً عظيماً حتى رؤيت النجوم نهاراً ولم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط[2]. (وأخرج) أبو الشيخ أن الورس الذي كان في عسكرهم تحول رماداً وكان في قافلة من اليمن تريد العراق فوافتهم حين قتله. وحكى ابن عيينة عن جدته أن جمالاً ممن انقلب ورسه رماداً أخبرها بذلك، ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفيران، فطبخوها فصارت مثل العلقم، وأن السماء احمرت لقتله وانكسفت الشمس حتى بدت الكواكب نصف النهار وظن الناس أن القيامة قد قامت ولم يرفع حجر في الشام إلا رؤي تحته دم عبيط. (وأخرج) عثمان بن أبي شيبة أن السماء مكثت بعد قتله سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضاً، ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين أن الدنيا أظلمت ثلاثة أيام ثم ظهرت الحمرة في السماء، وقال أبو سعيد ما رفع حجر من الدنيا إلا وتحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره

---

(١) في الرواية أنه وجد في حفيرة احتفرها رجل من نجران. أخرجه الحاكم أبو عبد الله في أماليه. قال ابن الجوزي من وضع مثل هذا فقد ألقى جلباب الحياء عن وجهه.

(٢) الدم العبيط: الطري غير النضج.

في الثياب مدة حتى تقطعت، وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مر من أنهم مطروا دماً. زاد أبو نعيم فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً. وفي رواية أنه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة وأنه لما جيء برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دماً.

(وأخرج) الثعلبي أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها وقال غيره: احمرت آفاق السماء ستة أشهر بعد قتله ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك، وأن ابن سيرين قال: أخبرنا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين، وذكر ابن سعد أن هذه الحمرة لم تر في السماء قبل قتله قال ابن الجوزي: وحكمته أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق تنزه عن الجسمية. فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهاراً لعظم الجناية. قال: وأنين العباس وهو مأسور ببدر منع النبي ﷺ النوم فكيف بأنين الحسين، ولما أسلم وحشي قاتل حمزة قال له النبي ﷺ غيب وجهك عني فإني لا أحب أن أرى من قتل الأحبة، قال: وهذا والإسلام يجب ما قبله، فكيف بقلبه ﷺ أن يرى من ذبح الحسين وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال. وما مر من أنه لم يرفع حجر في الشام أو الدنيا إلا رؤي تحته دم عبيط، وقع يوم قتل علي أيضاً كما أشار إليه البيهقي بأنه حكى عن الزهري أنه قدم الشام يريد الغزو فدخل على عبد الملك فأخبره أنه يوم قتل علي لم يرفع حجر من بيت المقدس إلا وجد تحته دم ثم قال له: لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك فلا تخبر به قال فما أخبرت به إلا بعد موته، وحكى عنه

أيضاً أن غير عبد الملك أخبر بذلك أيضاً. قال البيهقي: والذي صح عنه أن ذلك حين قتل الحسين، ولعله وجد عند قتلهما جميعاً انتهى[1].

(وأخرج) أبو الشيخ أن جمعاً تذاكروا أنه ما من أحد أعان على قتل الحسين إلا أصابه بلاء قبل أن يموت، فقال شيخ أنا أعنت وما أصابني شيء، فقام ليصلح السراج فأخذته النار فجعل ينادي النار النار وانغمس في الفرات، ومع ذلك فلم يزل به حتى مات.

(وأخرج) منصور بن عمار أن بعضهم ابتلي بالعطش، وكان يشرب راوية ولا يروى، وبعضهم طال ذكره حتى كان إذا ركب الفرس لواه على عنقه كأنه حبل. ونقل سبط ابن الجوزي عن السدي أنه أضافه رجل بكربلاء فتذاكروا أنه ما تشارك أحد في دم الحسين إلا مات أقبح موتة، فكذب المضيف بذلك وقال إنه ممن حضر، فقام آخر الليل يصلح السراج فوثبت النار في جسده فأحرقته. قال السدي، فأنا

---

(١) قال ابن كثير: ولقد بالغ الشيعة في يوم عاشوراء فوضعوا أحاديث كثيرة كذباً فاحشاً من كون الشمس كسفت يومئذ حتى بذت النجوم، وما رفع حجر إلاّ وجد تحته دم وأن أرجاء السماء احمرّت. وأن الشمس كانت تطلع وشعاعها كأنه الدم، وأن الكواكب ضرب بعضها بعضاً. وأمطرت السماء دماً أحمر ونحو ذلك، وقال أيضاً: وللشيعة والرافضة مصرع الحسين كذب كثير وأخبار باطلة. وذكر أن ذلك من رواية أبي مخنف لوط بن يحيى، وقد كان شيعياً وهو ضعيف الحديث عند الأئمة، وقال أيضاً وقد عاكس الرافضة والشيعة يوم عاشوراء النواصب من أهل الشام فكانوا يطبخون الحبوب ويغتسلون ويلبسون أفخر الثياب ويتخذونه عيداً عناداً للروافض.

والله رأيته كأنه حممة، وعن الزهري لم يبق ممن قتله إلا من عوقب في الدنيا إما بقتل أو عمى أو سواد الوجه أو زوال الملك في مدة يسيرة، وحكى سبط ابن الجوزي عن الواقدي أن شيخاً حضر قتله فقط فعمي، فسئل عن سببه فقال إنه رأى النبيﷺ حاسراً عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع، ورأى عشرة من قاتلي الحسين مذبوحين بين يديه، ثم لعنه وسبه بتكثيره سوادهم ثم أكحله بمرود من دم الحسين فأصبح أعمى[1].

(وأخرج) أيضاً أن شخصاً منهم علق في لبب فرسه رأس الحسين بن علي فرؤي بعد أيام ووجهه أشد سواداً من القار، فقيل له: إنك كنت أنضر العرب وجهاً فقال: ما مرت علي ليلة من حين حملت ذلك الرأس إلا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسعفني كما ترى، ثم مات على أقبح حالة. (وأخرج) أيضاً أن شيخاً رأى النبيﷺ في النوم وبين يديه طشت فيها دم والناس يعرضون عليه فيلطخهم حتى انتهيت إليه فقلت: ما حضرت، فقال لي هويت فأومأ إلي بأصبعه فأصبحت أعمى. ومر أن أحمد روى أن شخصاً قال: قتل الله الفاسق ابن الفاسق

---

(١) قال ابن كثير: وأما الأحاديث في الفتن التي أصابت من قتله فأكثرها صحيح فإنه قل من نجا من أولئك الذين قتلوه من آفة وعاهة في الدنيا فلم يخرج منها حتى أصيب بمرض وأكثرهم أصابهم الجنون. ومن المستبعد وقوع ما أخرجه منصور في الحادثة الثانية.

الحسين، فرماه الله بكوكبين في عينيه فعمي، وذكر البارزي عن المنصور أنه رأى رجلاً بالشام وجهه وجه خنزير فسأله فقال: إنه كان يلعن علياً كل يوم الف مرة. وفي الجمعة آلاف مرة وأولاده معه، فرأيت النبيﷺ، وذكر مناماً طويلاً من جملته أن الحسن شكاه إليه فلعنه ثم بصق في وجهه فصار موضع بصاقه خنزيراً وصار آية للناس. (وأخرج) الملا عن أم سلمة أنها سمعت نوح الجن على الحسين، وابن سعد عنها أنها بكت عليه حتى غشي عليها. وروى البخاري في صحيحه والترمذي عن ابن عمر أنه سأله رجل عن دم البعوض طاهر أو لا؟ فقال له: ممن أنت؟ قال من أهل العراق، فقال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبيﷺ، وقد سمعت النبيﷺ يقول: «هما ريحانتاي من الدنيا».

وسبب مخرجه: أن يزيد لما استخلف سنة ستين أرسل لعامله بالمدينة أن يأخذ البيعة على الحسين، ففر لمكة خوفاً على نفسه فسمع به أهل الكوفة، فأرسلوا إليه أن يأتيهم ليبايعوه ويمحو (أي الحسين) عنهم ما هم فيه من الجور، فنهاه ابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه فأبى، فنهاه أن لا يذهب بأهله فأبى، فبكى ابن عباس وقال: واحبيباه، وقال له ابن عمر نحو ذلك فأبى فبكى ابن عمر وقبل ما بين عينيه وقال: استودعك الله من قتيل. ونهاه ابن الزبير أيضاً فقال له حدثني أبي إن لمكة كبشاً به يستحل حرمتها، فما أحب أن أكون أنا ذلك الكبش. ومر قول أخيه الحسن له: إياك وسفهاء الكوفة أن يستخفوك فيخرجوك ويسلموك

فتندم **﴿ولات حين مناص﴾**[1]، وقد تذكر ذلك ليلة قتله فترحم على أخيه الحسن رضي الله عنهما، ولما بلغ مسيره أخاه محمد بن الحنفية كان بين يديه طشت يتوضأ فيه فبكى حتى ملأه من دموعه، ولم يبق بمكة إلا من حزن لمسيره، وقدم أمامه مسلم بن عقيل فبايعه من أهل الكوفة اثنا عشر ألفاً، وقيل أكثر من ذلك، وأمر يزيد ابن زياد فجاء إليه وقتله وأرسل برأسه إليه فشكره وحذره من الحسين، ولقي الحسين في مسيره الفرزدق فقال له بين لي خبر الناس فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله ﷺ قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء، وسار الحسين وهو غير عالم بما جرى لمسلم حتى كان على ثلاث من القادسية، تلقاه بالخبر ابن يزيد التميمي فقال له: ارجع فما تركت لك خلفي خيراً ترجوه، وأخبره الخبر وقدوم ابن زياد واستعداده له فهم بالرجوع، فقال أخو مسلم: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال لا خير في الحياة بعدكم.

ثم سار فلقيه أوائل خيل ابن زياد فعدل إلى كربلاء ثامن المحرم سنة إحدى وستين، وكان لما شارف الكوفة سمع به أميرها عبيد الله ابن زياد فجهز إليه عشرين ألف مقاتل. فلما وصلوا إليه التمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد فأبى، فقاتلوه، وكان أكثر الخارجين لقتاله كاتبوه وبايعوه ثم لما جاءهم أخلفوه وفروا عنه إلى

---

(١) سورة ص، الآية ٣.

أعدائه إيثاراً للسحت العاجل على الخير الآجل. فحارب أولئك العدد الكثير ومعه من إخوته وأهله نيف وثمانون نفساً فثبت في ذلك الموقف ثباتاً باهراً مع كثرة أعدائه وعددهم ووصول سهامه ورماحهم إليه. ولما حمل عليهم وسيفه مصلت في يده أنشد يقول:

أنا ابن عليّ الحبر من آل هاشم ... كفاني بهذا مفخراً حين أفخر

وجدّي رسول الله أكرمُ من مشى ... ونحن سراج الله في الناس يزهر

وفاطمة أمي سلالة أحمد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفر

وفينا كتاب الله أنزل صادقاً ... وفينا الهدى والوحي والخير يذكر

ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه، إذ هو الشجاع القرم الذي لا يزول ولا يتحول. ولما منعوه وأصحابه الماء ثلاثاً قال له بعضهم: أنظر إليه كأنه كبد السماء لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشاً. فقال له الحسين: اللهم اقتله عطشاً فلم يرو مع كثرة شربه للماء حتى مات عطشاً. ودعا الحسين بماء ليشربه فحال رجل بينه وبينه بسهم ضربه فأصاب حنكه فقال: اللهم أظمئه فصار يصيح: الحر في بطنه والبرد في ظهره، وبين يديه الثلج والمراوح وخلفه الكافور وهو يصيح العطش فيؤتى بسويق وماء ولبن لو شربه خمسة لكفاهم فيشربه ثم يصيح فيسقى كذلك إلى أن انقد بطنه، ولما استحر القتل بأهله ـ فإنهم لا زالوا يقتلون منهم واحداً بعد واحد حتى قتلوا ما يزيد على الخمسين ـ صاح الحسين أما من ذاب يذب عن حريم رسول الله ﷺ فحينئذ خرج الحرّ بن يزيد بن الحرث الرياحي من

عسكر أعدائه راكباً فرسه. وقال يا ابن رسول الله لئن كنت أول من خرج عليك فإنني الآن من حزبك، لعلي أنال بذلك شفاعة جدك، ثم قاتل بين يديه حتى قتل، فلما فني أصحابه وبقي بمفرده حمل عليهم وقتل كثيراً من شجعانهم، فحمل عليه جمع كثيرون منهم حالوا بينه وبين حريمه، فصاح كفوا سفهاءكم عن الأطفال والنساء فكفوا، ثم لم يزل يقاتلهم إلى أن أثخنوه بالجراح وسقط على الأرض، فحزوا رأسه يوم عاشوراء عام أحد وستين ولما وُضع بين يدي عبيد الله بن زياد أنشد قاتله:

املأ ركابي فضة وذهبا   فقد قتلت الملك المحجبا
ومن يصلي القبلتين في الصبا   وخيرهم إذ يذكرون النسبا

قتلت خير الناس أما وأبا

فغضب ابن زياد من قوله، وقال إذا علمت ذلك فلم قتلته؟ والله لا نلت مني خيراً ولألحقنك به. ثم ضرب عنقه. وقتل معه من أخوته وبني أخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلاً وقيل واحد وعشرون، قال الحسن البصري ما كان على وجه الأرض يومئذ لهم شبيه.

ولما حمل رأسه لابن زياد جعله في طشت وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويقول به في أنفةٍ، ويقول ما رأيت مثل هذا حسناً إن كان لحسن الثغر، وكان عنده أنس فبكى وقال كان أشبههم برسول الله ﷺ رواه الترمذي وغيره، وروى ابن أبي الدنيا أنه كان عنده زيد بن ارقم فقال له ارفع قضيبك فوالله لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبل ما بين هاتين

الشفتين ثم جعل زيد يبكي، فقال ابن زياد أبكى الله عينيك لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك، فنهض وهو يقول أيُّها الناس أنتم العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة والله ليقتلن خياركم ويستعبدن شراركم، فبعداً لمن رضي بالذلة والعار، ثم قال يا ابن زياد لأحدثنك بما هو أغيظ عليك من هذا، رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على اليسرى ثم وضع يده على يافوخهما ثم قال: «اللهم إني أستودعك إياهما وصالح المؤمنين»، فكيف كانت وديعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد، وقد انتقم الله من ابن زياد هذا، فقد صح عند الترمذي أنه لما جيء برأسه ونصب في المسجد مع رؤوس أصحابه جاءت حية فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت ثم جاءت ففعلت كذلك مرتين أو ثلاثاً، وكان نصبها في محل نصبه لرأس الحسين وفاعل ذلك به هو المختار بن أبي عبيد، تبعه طائفة من الشيعة ندموا على خذلانهم الحسين وأرادوا غسل العار عنهم، ففرقة منهم تبعت المختار. فملكوا الكوفة وقتلوا الستة آلاف الذين قاتلوا الحسين أقبح القتلات وقتل رئيسهم عمر بن سعد، وخص شمر ـ قاتل الحسين على قول ـ بمزيد نكال وأوطئوا الخيل صدره وظهره، لأنه فعل ذلك بالحسين وشكر الناس للمختار ذلك، لكنه أنبأ آخراً عن خبث قبيح[1] حتى زعم أنه

---

(١) هذا من الافتراء على المختار رحمه الله، فقد كان مكروهاً عند شيعة أل أبي سفيان لأنه ثار على أعداء آل محمد ﷺ فقد تعقب قتلة الإمام الشهيد الحسين عليه السلام في كل

مكان حتى قيل أنه قتل ستة آلاف منهم، فقد ذكر السيد المقرّم رحمه الله في كتابه «مقتل الحسين عليه السلام» ص ٣٣٠، ط/ بيروت ١٩٧٩، نقلاً عن مقتل الخوارزمي، ورياض الأحزان، والبحار، أنه بعد قتل عبيد الله بن زياد لعنه الله لما خطب بعد قتل الشهيد عبد الله بن عفيف الأزدي الغامدي رحمه الله، فنال من أمير المؤمنين علي عليه السلام، فثار المختار في وجهه وشتمه وقال: كذبت يا عدو الله وعدو رسوله بل الحمد لله الذي أعزّ الحسين عليه السلام وجيشه بالجنة، والمغفرة، وأذلك وأذل يزيد وجيشه بالنار والخزي، فحذفه ابن زياد بعمود من حديد فكسر جبهته وأمر به إلى السجن، ولكن الناس عرفوه بأن عمر بن سعد صهره على أخته، وصهره الآخر عبد الله بن عمر وذكروا ارتفاع نسبه فعدل عن قتله وأبقاه في السجن ثمّ تشفع فيه ثانياً عبد الله بن عمر عند يزيد فكتب إلى عبيد الله بن زياد بإطلاقه، ثم أخذ المختار يخبر الشيعة بما علمه من خواص أصحاب أمير المؤنين عليه السلام من نهضته بثأر الحسين عليه السلام، وقتله ابن زياد والذين تألبوا على الحسين عليه السلام.

وجاء في شرح نهج البلاغة ج١ ص ٢١٠، ط/ مصر، والبحار ج١٠ ص ٢٨٤، والإرشاد للمفيد تتئ، والأخبار الطوال ص ٢٩٥، وتاريخ الطبري ج٢ ص ١٤٦: أنه كان في حبس ابن زياد ومعه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، وميثم التمار فطلب عبد الله بن الحارث حديدة يزيل بها شعر بدنه، وقال: لا آمن من ابن زياد القتل فأكون قد ألقيت ما على بدني من الشعر فقال له المختار: والله لا يقتلك ولا يقتلني، ولا يأتي عليك إلاّ القليل حتى تلي البصرة، وميثم يسمع كلامهما فقال للمختار، وأنت تخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام وتقتل هذا الذي يريد قتلنا وتطأ بقدميك على وجنتيه فكان الأمر كما قالا.

خرج عبد الله بن الحارث بالبصرة بعد هلاك يزيد وأمره أهل البصرة، وبقي على هذا سنة، وخرج المختار طالباً بدم الحسين عليه السلام فقتل ابن زياد، وحرملة بن كاهل، وشمر بن ذي الجوشن إلى العدد الكثير من أهل الكوفة الخارجين على الحسين عليه السلام فبلغ من قتلهم ثمانية عشر ألفاً كما يحدث به ابن نما الحلي، وهرب منهم إلى مصعب الزبيري زهاء عشرة آلاف فيهم شبث بن ربعي جاء راكباً بغلة قد

يوحى إليه وأن ابن الحنفية هو المهدي ولما نزل ابن زياد الموصل في ثلاثين ألفاً جهز له المختار سنة تسع وستين طائفة قتلوه هو وأصحابه على الفرات يوم عاشوراء، وبعث برؤوسهم للمختار فنصبت في المحل الذي نصب فيه رأس الحسين ثم حولت إلى ما مر حتى دخلتها تلك الحية. (ومن عجيب الاتفاق) قول عبد الملك بن عمير دخلت قصر الإمارة بالكوفة على ابن زياد والناس عنده سماطان ورأس الحسين رضي الله عنه على ترس عن يمينه، ثم دخلت على المختار فيه فوجدت رأس ابن زياد وعنده الناس كذلك، ثم دخلت على مصعب بن الزبير فيه فوجدت رأس المختار عنده كذلك، ثم دخلت على عبد الملك بن مروان فيه فوجدت عنده رأس مصعب كذلك، فأخبرته بذلك فقال: لا أراك الله الخامس ثم أمر بهدمه.

ولما أنزل ابن زياد رأس الحسين وأصحابه جهزها مع سبايا آل الحسين إلى يزيد. فلما وصلت إليه قيل إنه ترحم عليه وتنكر لابن زياد وأرسل برأسه وبقية بنيه إلى المدينة، وقال سبط ابن الجوزي وغيره المشهور أنه جمع أهل الشام وجعل ينكث الرأس بالخيزران، وجمع بأنه أظهر الأول وأخفى الثاني، بقرينة أنه بالغ في رفعة ابن زياد حتى أدخله على نسائه. قال ابن الجوزي وليس العجب إلا من ضرب يزيد ثنايا الحسين بالقضيب وحمل آل النبيﷺ على أقتاب الجمال ـ

قطع أذنها وذنبها في قباء مشقوق وهو ينادي: واغوثاه سر بنا إلى محاربة هذا الفاسق الذي هدم دورنا وقتل أشرافنا. (المحقق).

أي موثقين في الحبال والنساء مكشفات الرؤوس والوجوه ـ وذكر أشياء من قبيح فعله. وقيل بل كان الرأس في خزانة لأن سليمان بن عبد الملك رأى النبيﷺ في المنام[1] يلاطفه ويبشره، فسأل الحسن البصري عن ذلك فقال لعلك صنعت إلى آله معروفاً، قال نعم وجدت رأس الحسين في خزانة يزيد فكسوته خمسة أثواب وصليت عليه مع جماعة من أصحابي وقبرته، فقال له الحسن هو ذلك سبب رضاهﷺ عليك فأمر سليمان للحسن بجائزة سنية. ولما فعل يزيد برأس الحسين ما مر كان عنده رسول قيصر فقال متعجباً، إن عندنا في بعض الجزائر في دير حافر حمار عيسى، فنحن نحج إليه كل عام من الأقطار وننذر النذور ونعظمه كما تعظمون كعبتكم، فأشهد أنكم على باطل، وقال ذمي آخر بيني وبين داود سبعون أباً، وإن اليهود تعظمني وتحترمني وأنتم قتلتم ابن نبيكم. ولما كانت الحرس على الرأس كلما نزلوا منزلاً وضعوه على رمح وحرسوه فرآه راهب في دير فسأل عنه فعرفوه به فقال: بئس القوم أنتم هل لكم في عشرة آلاف دينار ويبيت الرأس عندي هذه الليلة قالوا: نعم، فأخذه وغسله وطيبه ووضعه على فخذه

---

(١) هذا الحديث موضوع، ولا سند له من دين أو عقل، بل هو من مفتريات شيعة آل أبي سفيان الذين وضعوا بعض الصحابة، وأغدقوا عليهم المال الوافير، وأقطعوهم الأراضي والولايات لكي يضعوا أحاديث في مثالب علي بن أبي طالب وأهل بيته، وبالمقابل ينتحلون أحاديث عن رسول اللهﷺ كاذبة في فضائل معاوية، وبني أمية، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، وسمرة بن جندب، والمغيرة بن شعبة. راجع نهج البلاغة، الشرح الحديدي. (المحقق).

إلى عنان السماء، وقعد يبكي إلى الصبح ثم أسلم، لأنه رأى نوراً ساطعاً من الرأس إلى السماء، ثم خرج عن الدير وما فيه وصار يخدم أهل البيت. وكان مع أولئك الحرس دنانير أخذوها من عسكر الحسين ففتحوا أكياسها ليقتسموها فرأوها خزفاً وعلى أحد جانبي كل منها ـ ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون**﴾[1] ـ وعلى الآخر ﴿**وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون**﴾[2]، وسيأتي في الخاتمة الكلام في أنه هل يجوز لعن يزيد أو يمتنع ـ وسيق حريم الحسين إلى الكوفة كالأسارى فبكى أهل الكوفة، فجعل زين العابدين بن الحسين يقول: ألا إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن ذا الذي قتلنا.

(وأخرج) الحاكم من طرق متعددة أنهﷺ قال: «قال جبريل قال الله تعالى: إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وإني قاتل بدم الحسين بن علي سبعين ألفاً». ولم يصب ابن الجوزي في ذكره لهذا الحديث في الموضوعات[3] وقتل هذه العدة بسببه لا يستلزم أنها كعدد عدة المقاتلين لهن فإن فتنته أفضت إلى تعصبات ومقاتلات تفي بذلك.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٤٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢٣٧.

(٣) رواه أبو بكر الشافعي في الغيلانيات بسند موضوع وأخرجه الحاكم من طريق ستة أنفس عن أبي نعيم وقال صحيح ووافقه الذهبي في تلخيصه وقال على شرط مسلم.

(وزين العابدين) هذا هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة وكان إذا توضأ للصلاة اصفر لونه، فقيل له في ذلك فقال ألا تدرون بين يدي من أقف. وحكى أنه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وحكى ابن حمدون عن الزهري أن عبد الملك حمله مقيداً من المدينة بأثقلة من حديد ووكل به حفظة فدخل عليه الزهري لوداعه فبكى وقال: وددت أني مكانك فقال: أتظن أن ذلك يكربني لو شئت لما كان، وإنه ليذكرني عذاب الله ثم أخرج رجليه من القيد ويديه من الغل ثم قال: لا جزت معهم على هذا يومين من المدينة فما مضى يومان إلا وفقدوه حين طلع الفجر وهم يرصدونه، فطلبوه فلم يجدوه. قال الزهري فقدمت على عبد الملك فسألني عنه فأخبرته فقال قد جاء في يوم فقده الأعوان فدخل علي فقال ما أنا وأنت، فقلت أقم عندي فقال لا أحب ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفة، أي ومن ثم كتب عبد الملك للحجاج أن يجتنب دماء بني عبد المطلب، وأمره بكتم ذلك فكوشف به زين العابدين فكتب إليه إنك كتبت للحجاج يوم كذا سراً في حقنا بني عبد المطلب بكذا وكذا وقد شكر الله لك ذلك، وأرسل به إليه فلما وقف عليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجاج ووجدا مخرج الغلام موافقاً لمخرج رسوله للحجاج، فعلم أن زين العابدين كوشف بأمره وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة وسأله أن لا يخليه من صالح دعائه. (وأخرج) أبو نعيم والسلفي لما حج هشام بن عبد الملك في حياة أبيه أو الوليد لم يمكنه أن يصل للحجر

من الزحام فنصب له منبر على جانب زمزم وجلس ينظر إلى الناس وحوله جماعة من أعيان أهل الشام فبينا هو كذلك إذ أقبل زين العابدين، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم فقال أهل الشام لهشام من هذا؟ قال لا أعرفه مخافة أن يرغب أهل الشام في زين العابدين فقال الفرزدق أنا أعرفه ثم أنشد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمى إلى ذروة العز التي قَصُرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

القصيدة المشهورة ومنها:

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

ثم قال:

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهم قوم وإن كرموا

فلما سمعها هشام غضب، وحبس الفرزدق بعسفان وأمر له زين العابدين بأثني عشر ألف درهم، وقال: اعذر لو كان عندنا أكثر لوصلناك به فقال: إنما امتدحته لله لا لعطاء فقال زين العابدين رضي الله عنه: إنا

أهل بيت إذا وهبنا شيئاً لا نستعيده، فقبلها الفرزدق ثم هجا هشاماً في الحبس فبعث فأخرجه. وكان زين العابدين عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى أنه سبه رجل فتغافل عنه فقال له: إياك أعني فقال وعنك أعرض اشار إلى آية: ﴿**خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين**﴾[1]. وكان يقول ما يسرني بنصيبي من الذل حمر النعم. توفي وعمره سبع وخمسون منها سنتان مع جدّه عليّ ثم عشر مع عمه الحسن ثم إحدى عشرة مع أبيه الحسين. وقيل سمه الوليد بن عبد الملك، ودفن بالبقيع عند عمه الحسن عن أحد عشر ذكراً وأربع إناث.

وارثه منهم عبادة وعلماً وزهادة **(أبو جعفر محمد الباقر)** سمي بذلك: من بقر الأرض أي شقها وأثار مخبآتها ومكامنها، فلذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة ومن ثم قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه. صفا قلبه وزكا علمه وعمله، وطهرت نفسه وشرف خلقه وعمرت أوقاته بطاعة الله وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة. وكفاه شرفاً أن ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: رسول الله ﷺ يسلم عليك فقيل له وكيف ذاك؟ قال: كنت جالساً عنده والحسين

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٩٩.

في حجره وهو يداعبه فقال يا جابر يولد له مولود اسمه علي إذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم سيد العابدين فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام. توفي سنة سبع عشر عن ثمان وخمسين سنة مسموماً كأبيه، وهو علوي من جهة أبيه وأمه، ودفن أيضاً في قبة الحسن والعباس بالبقيع وخلف ستة أولاد أفضلهم وأكملهم:

(جعفر الصادق) ومن ثم كان خليفته ووصيه، ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفيانيين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر كما مر، وسعى به عند المنصور لما حج فلما حضر الساعي به يشهد قال له: أتحلف؟ قال: نعم! فحلف بالله العظيم إلى آخره، فقال: أحلفه يا أمير المؤمنين بما أراه؟ فقال له حلفه فقال له: قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا. وقال كذا وكذا، فامتنع الرجل ثم حلف فما تم حتى مات مكانه. فقال أمير المؤمنين لجعفر لا بأس عليك أنت المبرأ الساحة المأمون الغائلة، ثم انصرف فلحقه بجائزة حسنة وكسوة سنية وللحكاية تتمة. ووقع نظير هذه الحكاية ليحيى بن عبد الله بن المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بأن شخصاً زبيرياً سعى به للرشيد فطلب تحليفه فتلعثم فزبره الرشيد فتولى يحيى تحليفه بذلك فما أتم يمينه حتى اضطرب

وسقط لجنبه فأخذوا برجله وهلك، فسأل الرشيد يحيى عن سر ذلك فقال: تمجيد الله في اليمين يمنع المعاجلة في العقوبة. وذكر المسعودي أن هذه القصة كانت مع أخي يحيى هذا الملقب بموسى الجون وأن الزبيري سعى به للرشيد فطال الكلام بينهما ثم طلب موسى تحليفه فحلفه بنحو ما مر، فلما حلف قال موسى: الله أكبر حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن جده عليّ عليه السلام أن النبي ﷺ قال: «ما حلف أحد بهذه اليمين، أي وهي تقلدت الحول والقوة دون حول الله وقوته إلى حولي وقوتي ما فعلت كذا وهو كذاب، إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث» والله ما كذبت ولا كذبت، فوكل علي يا أمير المؤمنين فإن مضت ثلاث ولم يحدث بالزبيري حادث فدمي لك حلال، فوكل به، فلم يمض عصر ذلك اليوم حتى أصاب الزبيري جذام فتورم حتى صار كالزق، فما مضى إلا قليل وقد توفي. ولما أنزل في قبره انخسف قبره وخرجت رائحة مفرطة النتن فطرحت فيه أحمال الشوك فانخسف ثانياً فأخبر الرشيد بذلك فزاد تعجبه، ثم أمر لموسى بألف دينار وسأله عن سر تلك اليمين فروى له حديثاً عن جده علي عن النبي ﷺ: «ما من أحد يحلف بيمين مجد الله فيها إلاّ استحيا من عقوبته وما من أحد حلف بيمين كاذبة نازع الله فيها حوله وقوته إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث». وقتل بعض الطغاة مولاه فلم يزل ليله يصلي ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الأصوات بموته، ولما بلغه قول الحكم بن عباس الكلبي في عمه زيد:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

قال اللهم سلط عليه كلباً فافترسه الأسد (ومن مكاشفاته) أن ابن عمه عبد الله المحض كان شيخ بني هاشم وهو والد محمد الملقب بالنفس الزكية، ففي آخر دولة بني أمية وضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه، وارسل لجعفر ليبايعهما فامتنع، فاتهم أنه يحسدهما فقال: والله ليست لي ولا لهما إنها لصاحب القباء الأصفر ليلعبن بها صبيانهم وغلمانهم وكان المنصور العباسي يومئذ حاضراً وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى هلكوا. وسبق جعفراً إلى ذلك والده الباقر، فإنه أخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها وطول مدته فقال له: وملكنا قبل ملككم قال نعم، قال ويملك أحد من ولدي؟ قال: نعم قال فمدة بني أمية أطول أم مدتنا؟ قال: مدتكم وليلعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالكرة، هذا ما عهد إليّ أبي فلما أفضت الخلافة للمنصور بملك الأرض تعجب من قول الباقر. (وأخرج) أبو القاسم الطبري من طريق ابن وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فلما صليت العصر في المسجد رقيت أبا قبيس فإذا رجل جالس يدعو فقال: يا رب يا رب، حتى انقطع نفسه ثم قال: يا حي يا حي يا حي حتى انقطع نفسه ثم قال إلهي إني أشتهي العنب فاطعمنيه اللهم وإنَّ بُردَيَّ قد خَلِقا فاكسُني، قال الليث فوالله ما استتم كلامه حتى نظرت إلى سلة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب وإذا بردان موضوعان لم أر مثلهما

في الدنيا، فأراد أن يأكل فقلت أنا شريكك فقال ولم فقلت لأنك دعوت وكنت أؤمن فقال تقدم وكل، فتقدمت وأكلت عنباً لم آكل مثله قط ما كان له عجم فأكلنا حتى شبعنا ولم تتغير السلة، فقال لا تدخر ولا تُخبيء منه شيئاً ثم أخذ أحد البردين ودفع إلي الآخر فقلت أنا بي غنى عنه فائتزر بأحدهما وارتدِ بالآخر ثم أخذ برديه الخلقين فنزل وهما بيده فلقيه رجل بالمسعى فقال اكسني يا ابن رسول الله مما كساك الله فإنني عريان فدفعهما إليه فقلت من هذا قال هذا جعفر الصادق فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه انتهى.

توفي سنة أربع وثمانين ومائة مسموماً أيضاً على ما حكي، وعمره ثمان وستون سنة ودفن بالقبة السابقة عند أهله عن ستة ذكور وبنت.

منهم: **(موسى الكاظم)** وهو وارثه علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً سمي الكاظم لكثرة تجاوزه وحلمه وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم، وسأله الرشيد كيف قلتم إنا ذرية رسول الله ﷺ وأنتم أبناء علي؟ فتلا: ﴿**ومن ذريته داود وسليمان**﴾[1] إلى أن قال وعيسى، وليس له أب وأيضاً قال تعالى: ﴿**فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم**﴾[2] الآية، ولم يدع النبي ﷺ عند

(١) سورة الأنعام، الآية ٨٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٦١.

مباهلته النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم فكان الحسن والحسين هما الأبناء.

(ومن بديع كراماته) ما حكاه ابن الجوزي والرامهرمزي وغيرهما عن شقيق البلخي أنه خرج حاجاً سنة تسع وأربعين ومائة فرآه بالقادسية منفرداً عن الناس، فقال في نفسه هذا فتى من الصوفية يريد أن يكون كلاً على الناس لأمضين إليه ولأوبخنه فمضى إليه فقال يا شقيق ﴿**اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم**﴾(١) الآية. فأراد أن يلحق به فغاب عن عينيه فما رآه إلا بواقصة يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تتحادر فجاء إليه ليعتذر فخفف في صلاته وقال: ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن**﴾(٢) الآية، فلما نزلوا زمالة رآه على بئر فسقطت ركوته فيها فدعا فطغى الماء له حتى أخذها فتوضأ وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فطرح منه فيها وشرب فقال له أطعمني من فضل ما رزقك الله تعالى فقال: يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك فناولنيها فشربت منها، فإذا سويق وسكر ما شربت والله ألذ منه ولا أطيب ريحاً فشبعت ورويت، وأقمت أياماً لا أشتهي شراباً ولا طعاماً ثم لم أره إلا بمكة وهو بغلمان وغاشية وأمور على خلاف ما كان عليه بالطريق. ولما حج الرشيد سعى به إليه وقيل له إن الأموال تحمل إليه من كل جانب حتى اشترى ضيعة

---

(١) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٢) سورة طه، الآية ٨٢.

بثلاثين ألف دينار فقبض عليه وأنفذه لأميره بالبصرة عيسى بن جعفر بن المنصور فحبسه سنة، ثم كتب له الرشيد في دمه فاستعفى وأخبر أنه لم يدع على الرشيد وانه إن لم يرسل بتسليمه وإلا خلى سبيله فبلغ الرشيد كتابه فكتب للسندي بن شاهك بتسليمه وأمره فيه بأمر فجعل له سماً في طعامه وقيل في رطب فتوعك ومات بعد ثلاثة أيام، وعمره خمس وستون سنة: وذكر المسعودي أن الرشيد رأى علياً في النوم معه حربة وهو يقول إن لم تحل عن الكاظم وإلا نحرتك بهذه فاستيقظ فزعاً وأرسل في الحال والي شرطته إليه بإطلاقه وثلاثين ألف درهم وأنه يخيره بين المقام فيكرمه أو الذهاب إلى المدينة ولمّا ذهب إليه قال له رأيت منك عجباً وأخبره أنه رأى النبيﷺ وعلمه كلمات قالها فما فرغ منها إلا وأطلق، وقيل وكان موسى الهادي حبسه أولاً ثم أطلقه لأنه رأى علياً رضي الله عنه يقول: ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم**﴾[1] ـ فانتبه وعرف أنه المراد فأطلقه ليلاً فقال له الرشيد حين رآه جالساً عند الكعبة: أنت الذي تبايعك الناس سراً؟ فقال: أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم. ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام قال الرشيد السلام عليك يا ابن عم سمعها من حوله، فقال الكاظم السلام عليك يا أبت فلم يحتملها وكانت سبباً لإمساكه له وحمله إلى بغداد، وحبسه فلم يخرج من حبسه إلا ميتاً مقيداً ودفن جانب بغداد الغربي، وظاهر هذه

---

(١) سورة محمد، الآية ٢٢.

الحكايات التنافي إلا أن يحمل على تعدد الحبس وكانت أولاده حين وفاته سبعة وثلاثين ذكراً وأنثى، منهم:

(علي الرضا) وهو أنبههم ذكراً وأجلهم قدراً. ومن ثم أحله المأمون محل مهجته وأنكحه ابنته وأشركه في مملكته وفوض إليه أمر خلافته، فإنه كتب بيده كتاباً سنة إحدى ومائتين بأن علياً الرضا ولي عهده وأشهد عليه جمعاً كثيرين. لكنه توفي قبله فأسف عليه كثيراً، وأخبر قبل موته بأنه يأكل عنباً ورماناً مسموماً ويموت، وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد فلم يستطع فكان ذلك كله كما أخبر به.

ومن مواليه: معروف الكرخي، أستاذ السري السقطي لأنه أسلم على يديه وقال لرجل يا عبد الله ارض بما يريد واستعد لما لا بد منه فمات الرجل بعد ثلاثة أيام. رواه الحاكم. وروى الحاكم عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال: رأيت النبيﷺ في المنام في المنزل الذي ينزل الحجاج ببلدنا، فسلمت عليه فوجدت عنده طبقاً من خوص المدينة فيه تمر صيحاني فناولني منه ثماني عشرة فتأولت أن أعيش عدتها، فلما كان بعد عشرين يوماً قدم أبو الحسن علي الرضا من المدينة ونزل ذلك المسجد وهرع الناس بالسلام عليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبيﷺ جالساً فيه وبين يديه طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، فسلمت عليه فاستدناني وناولني قبضة من ذلك التمر فإذا عدتها بعدد ما ناولني النبيﷺ في النوم، فقلت زدني فقال: لو زادك رسول اللهﷺ لزدناك.

ولما دخل نيسابور كما في تاريخها وشق سوقها وعليه مظلة لا يرى من ورائها تعرض له الحافظان أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي ومعهما من طلبة العلم والحديث ما لا يحصى، فتضرعا إليه أن يريهم وجهه ويروي لهم حديثاً عن آبائه فاستوقف البغلة وأمر غلمانه بكف المظلة، وأقر عيون تلك الخلائق برؤية طلعته المباركة فكانت له ذؤابتان مدليتان على عاتقه والناس بين صارخ وباك ومتمرغ في التراب ومقبل لحافر بغلته فصاحت العلماء: معاشر الناس أنصتوا فأنصتوا واستملى منه الحافظان المذكوران فقال: حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله ﷺ قال: «حدثني جبريل قال سمعت رب العزة يقول لا إله إلا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي»، ثم أرخى الستر وسار فعد أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً. وفي رواية أن الحديث المروي، الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان، ولعلهما واقعتان، قال أحمد: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرىء من علته. ونقل بعض الحفاظ ان امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل فسأل عمن يخبره بذلك، فدل على علي الرضا فجاء فأجلسه معه على السرير وسأله فقال إن الله حرم لحم أولاد الحسنين على السباع فلتلق للسباع، فعرض عليها بذلك فاعترفت بكذبها، ثم قيل للمتوكل ألا تجرب ذلك

فيه فأمر بثلاثة من السباع فجيء بها في صحن قصره ثم دعاه فلما دخل بابه أغلق عليه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت وتمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكمه، ثم ربضت فصعد للمتوكل وتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة، فقيل للمتوكل إفعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه وقال أتريدون قتلي ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك.

ونقل المسعودي أن صاحب هذه القصة هو ابن ابن علي الرضا، وهو علي العسكري[1] وصوب لأن الرضا توفي في خلافة المأمون اتفاقاً ولم يدرك المتوكل، وتوفي رضي الله عنه وعمره خمس وخمسون سنة عن خمسة ذكور وبنت أجلهم:

(محمد الجواد) لكنه لم تطل حياته.

ومما اتفق أنه بعد موت أبيه بسنة واقف والصبيان يلعبون في أزقة بغداد إذ مر المأمون ففروا ووقف محمد وعمره تسع سنين، فألقى الله محبته في قلبه فقال له يا غلام ما منعك من الانصراف، فقال له مسرعاً يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعه لك وليس لي جرم فأخشاك والظن بك أنك لا تضر من لا ذنب له، فأعجبه كلامه وحسن صورته فقال له: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال: محمد بن علي

---

(١) علي المعروف بالهادي وابنه الحسن المعروف بالعسكري.

الرضا فترحم على أبيه وساق جواده. وكان معه بزاة للصيد، فلما بعد عن العمار أرسل بازاً على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو في منقاره سمكة صغيرة وبها بقاء الحياة فتعجب من ذلك غاية العجب، ورأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففروا إلاّ محمداً، فدنا منه وقال له ما في يدي فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً يصيدها بازات الملوك والخلفاء فيختبر بها سلالة أهل بيت المصطفى فقال له أنت ابن الرضا حقاً، وأخذه معه وأحسن إليه وبالغ في إكرامه، فلم يزل مشفقاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنه، وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أنه يعهد إليه كما عهد إلى أبيه، فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه على كافة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنه فنازعوا في اتصاف محمد بذلك، ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره فأرسلوا إليه يحيى بن أكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً، فحضروا للخليفة ومعهم ابن أكثم وخواص الدولة فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد، فجلس عليه فسأله يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه فقال له الخليفة: أحسنت أبا جعفر فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة، فقال له ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراماً ثم حلت له ارتفاعه ثم حرمت عليه عند الظهر ثم حلت له عند العصر ثم حرمت عليه المغرب ثم حلت له العشاء ثم

حرمت عليه نصف الليل ثم حلت له الفجر؟ فقال يحيى لا أدري، فقال محمد هي أمة نظرها أجنبي بشهوة وهي حرام ثم اشتراها ارتفاع النهار فأعتقها الظهر وتزوجها العصر وظاهر منها المغرب وكفر العشاء وطلقها رجعياً نصف الليل وراجعها الفجر. فعند ذلك قال المأمون للعباسيين قد عرفتم ما كنتم تنكرون، ثم زوجه في ذلك المجلس بنته أم الفضل، ثم توجه بها إلى المدينة فأرسلت تشتكي منه لأبيها أنه تسرى عليها، فأرسل إليها أبوها إنا لم نزوجك له لنحرم عليه حلالاً فلا تعودي لمثله، ثم قدم بها بطلب من المعتصم لليلتين بقيتا من المحرم سنة عشرين ومائتين، وتوفي فيها في آخر ذي القعدة ودفن في مقابر قريش في ظهر جده الكاظم، وعمره خمس وعشرون سنة ـ ويقال إنه سم أيضاً ـ عن ذكرين وبنتين أجلهم:

(علي[1] العسكري) سمي بذلك لأنه لما وجه لإشخاصه من

---

(١) المشهور أنه الإمام علي بن محمد الهادي، ومن ألقابه، الهادي، النقي، النجيب، المرتضى، العالم، المتقي، الفقيه، المؤتمن، الطيب، المتوكل، العسكري، الناصح، ونقش خاتمه: الله ربي وهو عصمتي من خلقه. وأولاده: الإمام الحسن العسكري عليه السلام، الحسين، محمد، جعفر، عُليّة، وقد توفي عام ٢٥٤هـ متأثراً بسمّ المعتز العباسي، ودفن في داره بسر من رأى ـ سامراء ـ وعمره ٤٢ سنة. وذكر المؤرخون أن أصحاب المتوكل العباسي هجموا على منزل الإمام الهادي عليه السلام ليلاً فوجدوه في بيت وحده، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلاّ الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة متوجهاً إلى ربّه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد، وجاءت كلمات مشرقة من علماء عصره في عبادته منها:

المدينة النبوية إلى سر من رأى وأسكنه بها وكانت تسمى العسكر فعرف بالعسكري وكان وارث أبيه علماً وسخاء. ومن ثم جاءه أعرابي من أعراب الكوفة وقال: إني من المتمسكين بولاء جدك وقد ركبني دين أثقلني حمله ولم أقصد لقضائه سواك؛ فقال كم دينك فقال عشرة آلاف درهم فقال طب نفساً بقضائه إن شاء الله تعالى، ثم كتب له ورقة فيها ذلك المبلغ ديناً عليه، وقال له ائتني به في المجلس العام وطالبني بها وأغلظ علي في الطلب، ففعل فاستمهله ثلاثة أيام فبلغ ذلك المتوكل فأمر له بثلاثين ألفاً فلما وصلته أعطاها الأعرابي، فقال يا ابن رسول الله إن العشرة آلاف أقضي بها أربي فأبى أن يسترد منه من الثلاثين شيئاً، فولى الأعرابي وهو يقول: ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[1]. ومر

---

١ - قال يحيى بن هرثمة: كان ملازماً للمسجد لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. أصول الكافي ٥٠٢/١.

٢ - قال القطب الراوندي: وكان الليل مقبلاً على القبلة لا يفتر ساعة، وعليه جبّة صوف، وسجادته على حصير. الخراج والجرايح.

٣ - قال الحائري: ومن شوقه عليه السلام بعبادة ربّه لا يستقر بالليل، ولا ينام إلاّ قليلاً حتى يقوم ويتشاغل بالعبادة، ويترنم بالقرآن، ويحزن ويبكي، ويبكي من سمعه، ويجلس على الرمل والحصى في جوف الليل، ويشتغل بالعبادة، والاستغفار، وتلاوة القرآن، ويحيي أكثر لياليه. نور الأبصار ٢٧٧.

٤ - قال السيد عبد الوهاب البدري: وعندما يقبل الليل يتجه على ربّه ساجداً راكعاً خاشعاً. ليس بين جبينه الوضّاح وبين الأرض سوى الرمل والحصى. سيرة الإمام العاشر علي الهادي عليه السلام ٥٩. (المحقق).

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

أن الصواب في قضية السباع الواقعة من المتوكل أنه هو الممتحن بها وأنها لم تقربه بل خضعت واطمأنت لما رأته، ويوافقه ما حكاه المسعودي وغيره أن يحيى بن عبد الله المحض ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط لما هرب إلى الديلم ثم أتى به الرشيد وأمر بقتله ألقي في بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله ولاذت بجانبه وهابت الدنو منه فبنى عليه ركن بالجص والحجر وهو حي، توفي رضي الله عنه بسر من رأى في جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن بداره وعمره أربعون وكان المتوكل أشخصه من المدينة إليها سنة ثلاث وأربعين فأقام بها إلى أن قضى عن أربعة ذكور وأنثى، أجلهم:

(أبو محمد الحسن الخالص) وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، ووقع لبهلول معه، أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما في أيديهم فقال اشتري لك ما تلعب به! فقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا، فقال له فلماذا خلقنا؟ قال للعمل والعبادة، فقال له من أين لك ذلك؟ قال من قول الله عز وجل ﴿**أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون**﴾[1].

ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن مغشياً عليه فلما

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

أفاق قال له، ما نزل بك وأنت صغير لا ذنب لك، فقال: إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب نار جهنم. ولما حبس قحط الناس بسر من رأى قحطاً شديداً فأمر الخليفة المعتمد بن المتوكل بالخروج للاستسقاء ثلاثة أيام فلم يسقوا فخرج النصارى ومعهم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت، ثم في اليوم الثاني كذلك فشك بعض الجهلة وارتد بعضهم فشق ذلك على الخليفة فأمر بإحضار الحسن الخالص، وقال له أدرك أمة جدك رسول الله ﷺ قبل أن يهلكوا، فقال الحسن يخرجون غداً وأنا أزيل الشك إن شاء الله، وكلم الخليفة في إطلاق أصحابه من السجن فأطلقهم، فلما خرج الناس للاستسقاء ورفع الراهب يده مع النصارى غيمت السماء فأمر الحسن بالقبض على يده فإذا فيها عظم آدمي فأخذه من يده وقال استسق فرفع يده فزال الغيم وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك فقال الخليفة للحسن: ما هذا يا أبا محمد؟ فقال: هذا عظم نبي ظفر به هذا الراهب من بعض القبور، وما كشف من عظم نبي تحت السماء إلا هطلت بالمطر، فامتحنوا ذلك العظم فكان كما قال وزالت الشبهة عن الناس ورجع الحسن إلى داره، وأقام عزيزاً مكرماً وصلات الخليفة تصل إليه كل وقت إلى أن مات بسر من رأى ودفن عند أبيه وعمه وعمره ثمانية وعشرون سنة ويقال إنه سم أيضاً ولم يخلف غير ولده:

(أبو القاسم محمد الحجة) وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة ويسمى القائم المنتظر قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب ومر في الآية الثانية عشرة قول الرافضة فيه إنه المهدي وأوردت ذلك مبسوطاً فراجعه فإنه مهم[1].

---

(١) اختلف النسابون في أولاد سيدنا علي وفي أولاده اختلافاً كثيراً وتجده بينا إذا قارنت ما ذكر من ذلك في ذخائر العقبى وصحاح الأخبار، وغاية الاختصار، وجمهرة ابن حزم. وذكروا أن المعقبين من أولاد سيدنا علي خمسة، وأن عقب الحسن من زيد، والحسن المثنى، وعقب الحسن المثنى من خمسة منهم عبد الله المحض، وعقب المحض في ستة، وذكروا أن الحسين لم يعقب إلا في علي الأصغر وهو علي زين العابدين كما في الرياض المستطابة للعامري وكذلك السيدة زينب ولدت علياً وأم كلثوم ورقية وقيل وجعفراً وعوناً وعباساً.

الخاتمة

(في بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة في الصحابة رضوان الله عليهم، وفي قتال معاوية وعلي وفي أحقية خلافة معاوية بعد نزول الحسن له عن الخلافة وفي بيان اختلافهم في كفر ولده يزيد وفي جواز لعنه وفي توابع وتتمات تتعلق بذلك)

وإنما افتتحت هذا الكتاب بالصحابة وختمته بهم، إشارة على أن المقصود بالذات من تأليفه تبرئتهم عن جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليهم الشقاوة، وتردوا بأردية الحماقة والغباوة، ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين، وركبوا متن عمياء، وخبطوا خبط عشواء، فباؤوا من الله بعظيم النكال، ووقعوا في أهوية الوبال والضلال، ما لم يداركم الله بالتوبة والرحمة فيعظموا خير الأمم وهذه الأمة. أماتنا الله على محبتهم وحشرنا في زمرتهم آمين.

(اعلم) أن الذي أجمع عليه أهل السنة والجماعة أنه يجب على كل مسلم تزكية جميع الصحابة بإثبات العدالة لهم، والكف عن الطعن فيهم والثناءِ عليهم، فقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في آيات من كتابه منها

قوله تعالى: ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾[1] فأثبت الله لهم الخيرية على سائر الأمم، ولا شيء يعادل شهادة الله لهم بذلك لأنه تعالى أعلم بعباده وما انطووا عليه من الخيرات وغيرها، بل لا يعلم ذلك غيره تعالى، فإذا شهد تعالى فيهم بأنهم خير الأمم وجب على كل أحد اعتقاد ذلك والإيمان به وإلا كان مكذباً لله في أخباره ولا شك أن من ارتاب في حقية شيء مما أخبر الله أو رسوله به كان كافراً بإجماع المسلمين، ومنها قوله تعالى: ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾[2].

والصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله ﷺ حقيقة، فانظر إلى كونه تعالى «خلقهم عدولاً وخياراً ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة» وحينئذ فكيف يستشهد الله تعالى بغير عدول أو بمن ارتدوا بعد وفاة نبيهم إلا نحو ستة أنفس منهم كما زعمته الرافضة قبحهم الله ولعنهم وخذلهم، وما أحمقهم وأجهلهم وأشهدهم بالزور والافتراء والبهتان، ومنها قوله تعالى: ﴿**يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم**﴾[3] فآمنهم الله من خزيه ولا يأمن من خزيه في ذلك اليوم إلاّ الذين ماتوا والله سبحانه ورسوله عنهم راض، فأمنهم من الخزي صريح في موتهم على كمال الإيمان وحقائق الإحسان وفي أن الله لم يزل راضياً

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ١٤٣.

(٣) سورة التحريم، الآية ٨.

عنهم وكذلك رسولهﷺ ومنها قوله تعالى: ﴿**لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾[1] فصرح تعالى برضاه عن أولئك وهم ألف ونحو أربعمائة، ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر[2]، لأن

---

(١) سورة الفتح، الآية ١٨.

(٢) هذه المسألة، أعني بها عدالة الصحابة جميعاً أمر خطير، يقول العلاّمة المرحوم الشيخ محمود أبو ريّة في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» ص ٣٣٩: لقد غلا فيها قوم حتى قطعوا بعدالتهم جميعاً حتى من انغمس منهم في الفتنة أو نزل الكتاب بنفاقه، بحيث لا يجوز أن يوجه إلى واحد منهم نقد أو تقابل روايته بشك، ومن فعل ذلك فقد فسق. وهذا لعمرك إسراف في الثقة، وإفراط في التقدير، ثمّ هو غير ذلك يتعارض مع ما جاء في الكتاب والسنة في الأدلة القوية ، ولا يتفق والطبائع البشرية. ويقول رحمه الله ونعم ما يقول: إن القول بعدالة جميع الصحابة، وتقديس كتب الحديث يرجع إليهما كل ما أصاب الإسلام من طعنات أعدائه، وضيق صدور ذوي الفكر من أوليائه.

ولو نحن ذهبنا نحصي الأضرار التي أصابت المسلمين من وراء ذلك لطال بنا سبيل القول، فنكتفي ببيان ضررين فحسب:

أولهما: ذلك الخلاف الشديد الذي ضرب مفاصل الأمة وأعرق بين المسلمين من لدن عهد عثمان إلى اليوم وما بعد اليوم! فمزّق صفوف المسلمين وجعلهم فرقاً متباينة، ونحلاً متشاكسة، ومذاهب مختلفة، إنْ في العقائد، أو في العبادات، أو في المعاملات، وعلى كثرة الأساة الذين عملوا على جمع شمل المسلمين في مئات السنين، لكي يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا، فإن سوس الخلاف لا يزال، ولن يزال ينخر في عظم الأمة الإسلامية، وهذا أمر مشهور غير منكور.

وثانيهما: ما يوجه كل يوم إلى الإسلام من طعنات دامية بسبب ما يوجد في كتب الحديث من روايات تحمل الخرافات والجهالات، وغير ذلك مما لا يقبله عقل صريح، ولا يؤيده علم صحيح، حتى أطلقوا عليه اسم «دين الخرافات والأوهام»

العبرة بالوفاء على الإسلام فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام، وأما من علم موته على الكفر فلا يمكن أن يخبر الله تعالى بأنه رضي عنه، فعلم أن كلا من هذه الآية وما قبلها صريح في رد ما زعمه وافتراه أولئك الملحدون الجاحدون حتى للقرآن العزيز، إذ يلزم من الإيمان به الإيمان بما فيه وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم وأنهم عدول خيار وأن الله لا يخزيهم وأنه رضي عنهم فمن لم يصدق بذلك فيهم فهو مكذب لما في القرآن ومن كذب بما فيه مما لا يحتمل التأويل كان كافراً جاحداً ملحداً مارقاً، ومنها قوله تعالى: ﴿**والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾[1] وقوله تعالى: ﴿**يا أيُّها**

وأنه لا يصلح لعصور العلم والعمران. ولا خلاف بأن الذين رووا هذه الأحاديث المشكلة إنما هم الصحابة، ثم تلقاها الرواة عنهم ودوّنها رجال الحديث في كتبهم. (أضواء على السنة المحمدية، الشيخ محمود أبو ريّة، ص ٣٤٠، مؤسسة الأعلمي - بيروت). فإذا نحن رفعنا صوتنا وقلنا: إن البلاء الذي يصيب الإسلام إنما يرجع إلى أمرين: عدالة الصحابة المطلقة، والثقة العمياء بكتب الحديث التي تجمع بين الغث والسمين، فإننا لا نبعد ولا نتجاوز الحقيقة.

وروى البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إنكم محشرون حفاة عراة وأن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: أصحابي! أصحابي! فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح ﴿**وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم**﴾ (المائدة، آية ١١٧). وروى مسلم هذا الحديث بلفظ «ليردن عليّ ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا من دوني، فأقول: أصحابي! فيقول: لا تدري ماذا أحدثوا بعدك». (المحقق).

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠.

النبيّ حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[1] وقوله تعالى: **﴿للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدروهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾**[2].

فتأمل ما وصفهم الله من هذه الآيات تعلم به ضلال من طعن فيهم من شذوذ المبتدعة ورماهم بما هم بريئون منه. ومنها قوله تعالى: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه بعجب الزراع ليغيط بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملو الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾**[3]. فانظر إلى عظيم ما اشتملت عليه هذه الآية، فإن قوله تعالى: (محمد رسول الله)، جملة مبينة للمشهود به في قوله: (هو الذي أرسل

---

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٤.

(٢) سورة الحشر، الآية ٩.

(٣) سورة الفتح، الآية ٢٩.

رسوله بالهدى ودين الحق إلى... شهيدا)، ففيها ثناء عظيم على رسوله ثم ثنى بالثناء على أصحابه بقوله: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ كما قال تعالى: **﴿فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾**[1].

فوصفهم الله تعالى بالشدة والغلظة على الكفار وبالرحمة والبر والعطف على المؤمنين والذلة والخضوع لهم، ثم أثنى عليهم بكثرة الأعمال مع الإخلاص وسعة الرجاء في فضل الله ورحمته بابتغائهم فضله ورضوانه وبأن آثار ذلك الإخلاص وغيره من أعمالهم الصالحة ظهرت في وجوههم حتى إن من نظر إليهم بهره حسن سمتهم وهديهم ومن ثم قال مالك رضي الله عنه: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام قالوا: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا، وقد صدقوا في ذلك فإن هذه الأمة المحمدية خصوصاً الصحابة لم يزل ذكرهم معظماً في الكتب كما قال الله تعالى في هذه الآية ـ ذلك مثلهم ـ أي وصفهم ـ في التوراة ومثلهم ـ أي وصفهم ـ في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ـ أي فراخه ـ فآزره ـ أي شده وقواه ـ فاستغلظ ـ أي شب فطال ـ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ـ أي يعجبهم قوته وغلظه وحسن منظره ـ فكذلك أصحاب محمدﷺ آزروه وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطء مع الزرع ليغيظ بهم الكفار، ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥٤.

في رواية عنه يكفر الروافض الذين يبغضون الصحابة قال: لأن الصحابة يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر، وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية ومن ثم وافقه الشافعي رضي الله عنهما في قوله بكفرهم[1]، ووافقه

---

(١) العجب كل العجب من ابن حجر ـ غفر الله له ـ نسبة هذه الفرية إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه الذي كانت تتهمه الناصبة بالرفض، وشعره في هذا الباب كثير، كثير، ومنه ما نقله الحافظ جمال الدين الذردني رحمه الله:

قالوا ترفضت قلت كلا ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت غير شك ... خير إمام وخير هاد
إن كان حب الوصي رفضاً ... فإنني أرفض العباد

وأخرج القندوزي الحنفي في «ينابيع المودة» رحمه الله، عن البيهقي عن الربيع بن سليمان قال: قيل للإمام الشافعي رحمه الله: إن أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت الطيبين، فإذا رأوا واحداً منا يذكرها يقولون: هذا رافضي فأنشأ الشافعي:

إذا في مجلس ذكروا علياً ... وسبطيه وفاطمة الزكية
فأجرى بعضهم ذكراً سواه ... فأيقن أنه سلقلقية
إذا ذكروا علياً أو بنيه ... تشاغل بالروايات العليّة
وقال: تجاوزوا يا قوم عن ذا ... فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حبّ الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي ... ولعنته لتلك الجاهلية

وروى البيهقي أيضاً عن الربيع بن سليمان قال: أنشد الإمام الشافعي رضي الله عنه:

أيضاً جماعة من الأئمة، والأحاديث في فضل الصحابة كثيرة وقد قدمنا معظمها في أول هذا الكتاب، ويكفيهم شرفاً أي شرف، ثناء الله عليهم في تلك الآيات كما ذكرناه، وفي غيرها ورضاه عنهم وأنه تعالى وعدهم جميعهم ـ لا بعضهم إذ من في منهم لبيان الجنس لا للتبعيض ـ مغفرة وأجراً عظيماً، ووعد الله صدق وحق لا يتخلف ولا يخلف لا مبدل لكلماته، وهو السميع العلم.

فعلم أن جميع ما قدمناه من الآيات هنا ومن الأحاديث الكثيرة الشهيرة في المقدمة يقتضي القطع بتعديلهم ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحد من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله

يا راكباً قفْ بالمحصّب من منى	واهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى	فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد	فليشهد الثقلان أنّي رافضي

وبعد: فهل الإمام الشافعي‌رحمه الله، عند ابن حجر من الرافضة الملاحدة الزنادقة، ومن الكفار، الذين يكرهون الصحابة، لأنهم يفضلون أمير المؤمنين علي‌عليه السلام على غيره من الصحابة والذي يبدو أن تكفير من يفضل علياً على غيره من الصحابة كان معهوداً في أيام الشافعي رحمه الله، وقد ردَّ عليهم فيما روى البيهقي عن المزني قال: سمعت الشافعي ينشد:

إذا نحن فضلنا علياً فإننا	روافض بالتفضيل عند ذوي الجهل
وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته	رُميت بنصب عند ذكري للفضل
فلا زلت ذا رفض ونصب كليهما	بحبيهما حتى أوسد في الرمل

(المحقق)

ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام ببذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع بتعديلهم والاعتقاد بنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع الجائين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله، ولم يخالف فيه إلا شذوذ المبتدعة الذين ضلوا وأضلوا فلا يلتفت إليهم ولا يعول عليهم، وقد قال إمام عصره أبو زرعة الرازي من أجل شيوخ مسلم: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة، فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق. وقال ابن حزم: الصحابة كلهم من أهل الجنة قطعاً، قال تعالى: ﴿**لايستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون**﴾[2]. فثبت أن جميعهم من أهل الجنة[3] وأنه لا يدخل أحد منهم

---

(١) سورة الحديد، الآية ١٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠١.

(٣) نقل المرحوم الدكتور أحمد أمين في ضحى الإسلام ص ٧٥-٧٦، جزء ٣ من رسالة لبعض الزيدية جاء فيها: «إنا رأينا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضاً ـ بل يلعن بعضهم بعضاً ـ ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد

النار لأنهم المخاطبون بالآية الأولى التي أثبتت لكل منهم الحسنى وهي الجنة، ولا يتوهم أن التقييد بالانفاق أو القتال فيها وبالإحسان في الذين اتبعوهم بإحسان يخرج من لم يتصف بذلك منهم لأن تلك القيود خرجت مخرج الغالب فلا مفهوم لها، على أن المراد من اتصف بذلك ولو بالقوة أو العزم، وزعم الماوري[1] اختصاص الحكم بالعدالة

ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم، لم يروا أن يمسكوا عن عليّ، وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصرا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف، وكالذي روى عن عمر من أنه طعن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه، وخوّن عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه، وقل من سلم من لسانه أو يده، إلى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ. وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ويقولون في العصاة منهم هذا القول، وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك. والصحابة قوم من الناس، لهم ما للناس وعليهم ما عليهم. من أساء منهم ذممناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسولﷺ ومعاصرته لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فمعاصينا أخف لأننا أعذر. (المحقق).

(١) ونقل هذا المذهب عن جماعة من الأصوليين منهم المازري وإليه يميل السعد التفتازاني وهو مردود بما ذكرناه في المقدمة وبأنه يخالف مذهب الأكثرين كالبخاري والخطيب وغيرهما والمؤلف يرد بذلك على المبتدعة والمعتزلة الذين يفسقون من قاتل علياً من أهل العراق والشام وقد صرحوا بذلك في طلحة والزبير وهما من المبشرين بالجنة وفي عائشة رضي الله عنها وجميع الصحابة ممن كان على عهد علي إما مقاتل معه أوله أو معتزل عن المعسكرين فلم يقاتله وامتنع عن قتاله جماعة منهم أصحاب ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص واعتزل الفريقين

بمن لازمه ونصره دون من اجتمع به يوماً أو لغرض غير موافق عليه بل اعترضه جماعة من الفضلاء، قال شيخ الإسلام العلائي: هو قول غريب يخرج كثيراً من المشهورين بالصحبة والرواية عن الحكم بالعدالة كوائل ابن حجر ومالك بن الحويرث وعثمان بن أبي العاص وغيرهم ممن وفد عليهﷺ ولم يقم عنده إلا قليلاً وانصرف، والقول بالتعميم هو الذي صرح به الجمهور وهو المعتبر انتهى.

ومما رد به عليه أن تعظيم الصحابة وإن قل اجتماعهم بهﷺ كان مقرراً عند الخلفاء الراشدين وغيرهم، وقد صح عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من أهل البادية تناول معاوية(1) في حضرته وكان متكئاً فجلس، ثم

حذيفة وابن مسلمة وأبو ذر وعمران بن حصين وأبو موسى الأشعري، والجميع مجتهد متأول لا يخرج بما وقع منه عن العدالة، لأن علياً كان يأذن في قبول شهادتهم والصلاة معهم لعلمه أنهم مجتهدون فيما وقع منهم.

(1) هذا الحديث موضوع مكذوب، ولا يصح لأن معاوية حارب إمام زمانه علي بن أبي طالبعليه السلام واستحل دمه، ودم الصحابة الذين كانوا معه، فقتل المئات في حرب صفين، ومن أبرزهم: الصحابي الجليل الشهيد عمّار بن ياسر، وهناك إجماع أنّ النبيﷺ قال: عمّار تقتله الفئة الباغية ومعاوية من الطلقاء أسلم بعد فتح مكة، وهو من المؤلفة قلوبهم الذين كانوا يأخذون ثمناً لإسلامهم، وهو من هدم مبدأ الخلافة الراشدة في الإسلام فلم تقم لها من بعده إلى اليوم قائمة، ولا أصل لما في الحديث الموضوع له من فضائل، فإن الإمام الكبير وشيخ البخاري إسحاق بن راهويه قال: إنّه لم يصح في فضائل معاوية شيء. وقد روى الذهبي قصة الإمام النسائي المشهورة في كتب الحديث فقال: سئل النسائي رحمه الله وهو بدمشق عن فضائل معاوية فقال: ألا يرضى رأساً برأس، حتى يفضل؟ قال الذهبي: فما زالوا يدفعونه حتى أخرج من المجلس وحمل إلى الكوفة فتوفي بها رحمه الله (أضواء على السنة المحمدية ص ١٢٨). (المحقق).

ذكر أنه وأبا بكر ورجلاً من أهل البادية نزلوا على أبيات فيهم امرأة حامل، فقال البدوي لها أبشرك أن تلدي غلاماً، قالت نعم قال إن أعطيتني شاة ولدت غلاماً، فأعطته فسمع لها أسجاعاً ثم عمد إلى الشاة فذبحها وطبخها وجلسنا نأكل منها ومعنا أبو بكر فلما علم القصة قام فتقيأ كل شيء أكل، قال ثم رأيت ذلك البدوي قد أتى به عمر وقد هجا الأنصار فقال لهم عمر لولا أن له صحبة من رسول الله ﷺ ما أدري ما قال فيها لكفيتكموه انتهى. فانظر توقف عمر عن معاتبته فضلاً عن معاقبته لكونه علم أنه لقي النبي ﷺ تعلم أن فيه أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدله شيء كما ثبت في الصحيحين من قوله ﷺ والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفه. وتواتر عنه ﷺ قوله: خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وصح أنه ﷺ قال: إن الله اختار أصحابي على الثقلين سوى النبيين والمرسلين، وفي رواية أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل.

(واعلم) أنه وقع خلاف في التفضيل بين الصحابة ومن جاء بعدهم من صالحي هذه الأمة. فذهب أبو عمر بن عبد البر إلى أنه يوجد فيمن يأتي بعد الصحابة من هو أفضل من بعض الصحابة. واحتج على ذلك بخبر «طوبى لمن رآني وآمن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وآمن بي سبع مرات». وبخبر عمر رضي الله تعالى عنه قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال: «أتدرون أي الخلق أفضل إيماناً؟ قلنا الملائكة قال وحق لهم بل غيرهم قلنا الأنبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال ﷺ أفضل الخلق إيماناً قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم أفضل الخلق إيماناً».

وبحديث «مثل أمتي مثل المطر لا يدرى آخره خير أم أوله»، وبخبر «ليدركن المسيح أقواماً إنهم لمثلكم أو خير ثلاثاً ولن يخزي الله أمة أنا أولها والمسيح آخرها. وبخبر يأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين قيل منهم أو منا يا رسول الله قال: بل منكم». وبما روي أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة كتب إلى سالم بن عبد الله ابن عمر رضي الله تعالى عنهم أن أكتب لي سيرة عمر بن الخطاب لأعمل بها فكتب إليه سالم: إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر، لأن زمانك ليس كزمان عمر ولا رجالك كرجال عمر وكتب إلى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال أبو عمر: فهذه الأحاديث تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل إلا أهل بدر والحديبية قال: وخبر خير الناس قرني ليس على عمومه، لأنه جمع المنافقين وأهل الكبائر الذين قام عليهم وعلى بعضهم الحدود انتهى. والحديث الأول لا شاهد فيه للأفضلية والثاني ضعيف فلا يحتج به. لكن صححه الحاكم وحسن غيره خبر: «يا رسول الله، هل أحد خير منا؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك قال: قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني».

والجواب عنه وعن الحديث الثالث فإنه حديث حسن له طرق قد يرتقي بها على درجة الصحة وعن الحديث الرابع فإنه حسن أيضاً وعن الحديث الخامس الذي رواه أبو داود والترمذي: أن المفضول قد يكون فيه مزية لا يوجد في الفاضل. وأيضاً مجرد زيادة الأجر لا تستلزم الأفضلية المطلقة. وأيضاً الخيرية بينهما إنما هي باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المؤمنين، فلا يبعد

حينئذ تفضيل بعض من يأتي على بعض الصحابة في ذلك. وأما ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم وفازوا به من مشاهدة طلعته ﷺ ورؤية ذاته المشرفة المكرمة فأمر من رواء العقل إذ لا يسع أحداً أن يأتي من الأعمال وإن جلت بما يقارب ذلك فضلاً عن أن يماثله ومن ثم سئل عبد الله بن المبارك وناهيك به جلالة وعلماً أيُّهما أفضل معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: الغبار الذين دخل أنف معاوية[1] مع رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة. أشار بذلك إلى أن فضيلة صحبته ﷺ ورؤيته لا يعدلها شيء وبذلك علم الجواب عن استدلال أبي عمر بقضية عمر بن عبد العزيز وأن قول أهل زمنه له: أنت أفضل من عمر إنما هو بالنسبة لما تساويا فيه أن تصور من العدل في الرعية وأما من حيث الصحبة وما فاز به عمر من حقائق القرب ومزايا الفضل والعلم والدين الذي شهد له بها النبي ﷺ فأنى لابن عبد العزيز وغيره أن يلحقوه في ذرة من ذلك، فالصواب ما قاله جمهور العلماء سلفاً وخلفاً لما يأتي. وعلم من قول أبي عمر إلا أهل بدر والحديبية أن الكلام في غير أكابر الصحابة ممن لم يفز إلا بمجرد رؤيته ﷺ وقد ظهر أنه فاز بما لم يفز به

---

(١) هذا من عجائب الدهر، ومن المؤلف، ومن ابن المبارك، وهو الذي روى قبل قليل أن سالم بن عبد الله ابن عمر الخطاب قال لعمر بن عبد العزيز: إن عملت بسيرة عمر فأنت أفضل من عمر، لأن زمانك ليس كزمان عمر، ولا رجالك كرجال عمر، وأما فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم، والأحاديث المتقدمة تقتضي مع تواتر طرقها وحسنها التسوية بين أول هذه الأمة وآخرها في فضل العمل، ولكن لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن الحبّ كما قيل يعمي ويصمّ. (المحقق).

من بعده وإن من بعده لو عمل ما عساه أن يعمل لا يمكنه أن يحصل ما يقرب من هذه الخصوصية فضلاً عن أن يساويها هذا فيمن لم يفز إلا بذلك فما بالك بمن ضم إليها أنه قاتل معهﷺ أو في زمنه بأمره أو نقل شيئاً من الشريعة إلى من بعده أو أنفق شيئاً من ماله بسببه فهذا لا خلاف في أن أحداً من الجائين بعده لا يدركه ومن ثم قال تعالى: ﴿**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجةً من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى**﴾[1].

(ومما) يشهد لما عليه الجمهور من السلف والخلف من أنهم خير خلق الله وأفضلهم بعد النبيين وخواص الملائكة والمقربين ما قدمته من فضائل الصحابة ومآثرهم أول الكتاب وهو كثير فراجعه، ومنه حديث الصحيحين: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحداً أنفق مثل أحد ما بلغ مثل مد أحدهم ولا نصيفه». وفي رواية لهما: فإن أحدكم بكاف الخطاب، وفي رواية الترمذي: لو أنفق أحدكم الحديث. والنصيف بفتح النون لغة في النصف. وروى الدارمي وابن عدي وغيرهما أنهﷺ قال: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[2]. ومن ذلك أيضاً الخبر المتفق على صحته: خير القرون أو الناس أو أمتي، قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين

---

(١) سورة الحديد، الآية ١٠.

(٢) سئل الإمام علي بن موسى الرضا حفيد النبيﷺ وهو من أعظم أئمة أهل البيتعليهم السلام عن صحة هذا الحديث، فقال: هو حديث صحيح ولكن المقصود منهم، من لم يغيروا ولم يبدلوا من بعد وفاتهﷺ. (المحقق).

يلونهم. والقرن أهل زمن واحد متقارب اشتركوا في وصف مقصود ويطلق على زمن مخصوص، وقد اختلفوا فيه من عشرة أعوام إلى مائة وعشرين، إلا التسعين والمائة والعشرة فلم يحفظ قائل بهما وما عداهما قال به قائل، وأعدل الأقوال قول صاحب المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن، والمراد بقرنه ﷺ في هذا الحديث الصحابة وآخر من مات منهم على الإطلاق بلا خلاف، أبو الطفيل عامر بن واثلة الليثي كما جزم به مسلم في صحيحه وكان موته سنة مائة على الصحيح، وقيل سنة سبع ومائة وقيل سنة عشرين ومائة وصححه الذهبي لمطابقته للحديث الصحيح، وهو قوله ﷺ قبل وفاته بشهر: «على رأس مائة سنة لا يبقى على وجه الأرض ممن هو عليها اليوم أحد». وفي رواية مسلم: «أرأيتم ليلتكم هذه فإنه ليس من نفس منفوسة يأتي عليها مائة سنة» فأراد بذلك انخرام القرن بعد مائة سنة من حين مقالته. والقول بأن عكراش بن ذؤيب عاش بعد وقعة الجمل مائة سنة غير صحيح وعلى التنزل فمعناه استكملها بعد ذلك لا أنه بقي بعدها مائة سنة كما قال الأئمة، وما قاله جماعة في رتن الهندي ومعمر المغربي ونحوهما، فقد بالغ الأئمة سيما الذهبي في تزييفه وبطلانه، قال الأئمة ولا يروج ذلك على من له أدنى مسكة من العقل[1]

---

(١) ذكر العلماء في كتب الموضوعات باباً خاصاً بالكذابين الذين ادعوا لقاء النبي ﷺ وذكروا منهم سرباتك الهندي وجبير بن الحارث ومعمر بن بريك وقيس الأشج وعثمان بن الخطاب البلوي وخوط بن مرة ورتن الهندي، وقد ألف الذهبي جزءاً في رتن وأخباره وقال ولئن صححنا وجوده وظهوره بعد ستماية فهو إما شيطان تبدى في صورة بشر فادعى الصحبة وطول العمر المفرط وافترى هذه الطامات، أو

وأمر أفضلية قرنهﷺ على من يليه وهم التابعون بالنسبة إلى المجموع لا إلى كل فرد خلافاً لابن عبد البر وكذا يقال في التابعين رضوان الله عليهم أجمعين وتابعيهم.

(ثم الصحابة أصناف) مهاجرون، وأنصار وخلفاؤهم، ومن أسلم يوم الفتح أو بعده فأفضلهم إجمالاً المهاجرون فمن بعدهم على الترتيب المذكور وأما تفصيلاً فسبّاق الأنصار أفضل من جماعة من متأخري المهاجرين وسباق المهاجرين أفضل من سباق الأنصار ثم هم بعد ذلك يتفاوتون فرُبّ متأخر إسلاماً كعمر أفضل من متقدم كبلال. وقال أبو منصور البغدادي من أكابر أئمتنا أجمع أهل السنة أن أفضل الصحابة أبو بكر[1] فعمر فعثمان فعلي فبقية العشرة المبشرين بالجنة فأهل بدر فباقي

شيخ ضال أسس لنفسه بيتاً في جهنم بكذبه على رسول اللهﷺ، ومما ذكره الصفدي في تقوية أخبار رتن قد رده القاضي برهان الدين ابن جماعة.

(١) ذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، والمعتزلة، والزيدية، والإمام الشافعي رحمه الله إلى أن أفضل الصحابة وأكثرهم علماً وعملاً وجهاداً وقضاءً، وفقهاً ومنزلة هو أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام للأسباب التالية:

١ - قولهﷺ: «يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إنّه لا نبي من بعدي».

٢ - لأنه أعلم الناس بعد رسول اللهﷺ القائل: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»، ولأنه أسبق الخلق إيماناً وإسلاماً بدعوة النبيﷺ ولأنه حاز على تسعة أعشار الحكمة كما في حديث ابن مسعود: والمؤتى تسعة أعشار العلم والمشارك في العاشر كما أقسم الحبر ابن عباس بذلك، ولأنه قال ولم يقل غيره: سلوني قبل أن تفقدوني، ولأنه أشجع الخلق بعد رسول الله، وقد ضربت بها الأمثال، وقالﷺ له في حرب الأحزاب حينما برز لقتال عمرو بن ود العامري: «برز

الإيمان كله إلى الشرك كله» وبعد قتله لعمرو: «إن ضربة علي لعمرو يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين»، ولقوله له في حرب خيبر «لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرّار غير فرار يفتح له عليه حصن خيبر» فكان كما قالﷺ ومقارعته الأبطال في بدر وأحد والأحزاب وحنين وغيرها لا ينكرها إلاّ الأعمى المتعصب.

٣- لقد ثبت في التاريخ أن الخليفة أبا بكر والخليفة عمر، خطبا فاطمة الزهراءعليها السلام من رسول اللهﷺ فقال: «إنني أنتظر في شأن ذلك الأمر من ربي»، وأنه أخبره جبرائيل أن الله عزّ وجل زوّج فاطمةعليها السلام من علي في السماء، وأن الله يأمرك أن تزوج علياً من فاطمة، وقالﷺ: «ليس لفاطمةعليها السلام كفوٌ سوى عليعليه السلام، وأنه لو لم يتزوج علي فاطمة لما كان لها كفوٌ من جميع البشر».

٤ - أرسلﷺ أبا بكر بسورة براءة على موسم الحج فنزل جبرائيلعليه السلام إلى النبيﷺ وقال يا رسول الله: إن الله يقول لا يبلغ عنك أحد إلاّ من أهل بيتك» فأرسل أمير المؤمنين علياً على أمارة الحج وأخذ سورة براءة وبلغها.

٥ - قولهﷺ فيما أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب: ١٧٤٤/٤، رقم ٣١٥٧١، عن ابن أبي ليلى الغفاري قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، وهو فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل، وهو يعسوب الدين، والمال يعسوب المنافقين».

٦ - أخرج مسلم في صحيحه بسنده عن سعد بن أبي وقاص، أنه حينما نزلت آية ﴿**فمن حاجك فيه من بعدما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين**﴾ (آل عمران، آية ٦١)، دعا رسول اللهﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: «اللهم هؤلاء أهلي» نعم لقد أجمعت الأمة الإسلامية أنها نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام.

٧ - ما ذكره ابن حجر في الصواعق عن علي الرضاعليه السلام أن النبيﷺ قال له: «يا

أهل أحد فباقي أهل بيعة الرضوان بالحديبية فباقي الصحابة، انتهى. ومر اعتراض حكاية الإجماع بين علي وعثمان إلا إن أراد بالإجماع فيهما إجماع أكثر أهل السنة فيصح ما قاله حينئذ، هذا وقد أخرج الأنصاري عن أنس أن رسول اللهﷺ قال: «يا أبا بكر ليت أني لقيت إخواني، فقال أبو بكر يا رسول الله نحن إخوانك قال: لا أنتم أصحابي إخواني الذين لم يروني وصدقوا بي وأحبوني حتى أنّي لأحب إلى أحدهم من ولده ووالده، قالوا يا رسول الله أنحن إخوانك؟ قال: لا أنتم أصحابي ألا تحب يا أبا بكر قوماً أحبوك بحبي إياك فأحبهم ما أحبوك بحبي إياك وقال: «من أحبّ الله أحب القرآن، ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي» رواه الديلمي، وقالﷺ «يا أيها الناس احفظوني في أحبائي وأصهاري وأصحابي لا يطالبنكم الله بمظلمة أحد منهم فإنها ليست مما يوهب. رواه الخلعي وقالﷺ الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي من أحبهم فقد أحبني ومن أبغضهم فقد أبغضني ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه». ورواه المخلص الذهبي فهذا الحديث وما قبله خرج مخرج الوصية بأصحابه على طريق التأكيد والترغيب في حبهم والترهيب عن بغضهم وفيه أيضاً إشارة إلى أن حبهم إيمان وبغضهم كفر لأن بغضهم إذا كان بغضاً لهﷺ

علي أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار هذا لي وهذا لك». وروى ابن السماك أن أبا بكر(رض) قال لعليعليه السلام: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له علي الجواز». (المحقق).

كان كفراً بلا نزاع لخبر: «لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» وهذا يدل على كمال قربهم منه من حيث أنزلهم منزلة نفسه حتى كأن أذاهم واقع عليهﷺ وفيه أيضاً أن محبة من أحبه النبيﷺ كآله وأصحابه رضي الله تعالى عنهم علامة على محبة رسول اللهﷺ كما أن محبتهﷺ علامة على محبة الله تعالى وكذلك عداوة من عاداهم وبغض من أبغضهم وسبهم علامة على بغض رسول اللهﷺ وعداوته وسبه وبغضهﷺ وعداوته وسبه علامة على بغض الله تعالى وسبه فمن أحب شيئاً أحب من يحب وأبغض من يبغض قال الله تعالى: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون، من حاد الله ورسوله**﴾[1] فحبّ أولئك أعني آلهﷺ وأزواجه وذرياته وأصحابه من الواجبات المتعينات وبغضهم من الموبقات المهلكات ومن محبتهم توقيرهم وبرهم والقيام بحقوقهم والاقتداء بهم بالمشي على سنتهم وآدابهم وأخلاقهم والعمل بأقوالهم مما ليس للعقل فيه مجال، ومزيد الثناء عليهم وحسنه بأن يذكروا بأوصافهم الجميلة على قصد التعظيم فقد أثنى الله عليهم في آيات كثيرة من كتابه المجيد، ومن أثنى عليه فهو واجب الثناء، ومنه الاستغفار لهم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها أمروا بأن يستغفروا لأصحاب محمدﷺ فسبوهم[2]. رواه مسلم وغيره،

---

(١) سورة المجادلة، الآية ٢٢.

(٢) لقد أجمع المؤرخون على أن معاوية وآل أبي سفيان كانوا يشتمون ويلعنون علياً أمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة على منابر المسلمين في الجمعة والجماعات حتى جاء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فرفعها. وقد روى صاحب النهج الحديدي أن علياًعليه السلام في صفين سمع من بعض جيشه من يسبّ معاوية

على أن فائدة المستغفر عائد أكثرها إليه إذ يحصل بذلك مزيد الثواب قال سهل بن عبد الله التستري وناهيك به علماً وزهداً ومعرفة وجلالة لم يؤمن برسول اللهﷺ من لم يوقر أصحابه.

(ومما) يوجب أيضاً الإمساك عما شجر أي وقع بينهم من الاختلاف والاضطراب صفحاً عن أخبار المؤرخين سيما جهلة الرافضة وضلال الشيعة والمبتدعين القادحين في أحد منهم، فقد قالﷺ إذا ذكر اصحابي فأمسكوا والواجب أيضاً على كل من سمع شيئاً من ذلك أن يتثبت فيه ولا ينسبه على أحد منهم بمجرد رؤيته في كتاب أو سماعه من شخص، بل لا بدّ أن يبحث عنه حتى يصح عنده نسبته إلى أحدهم، فحينئذ الواجب أن يلتمس لهم أحسن التأويلات وأصوب المخارج إذ هم أهل لذلك كما هو مشهور في مناقبهم ومعدود من مآثرهم مما يطول إيراده وقد مر لذلك منه جملة في بغضهم وما وقع من المنازعات والمحاربات فله محامل وتأويلات، وأما سبهم والطعن فيهم فإن خالف دليلاً قطعياً كقذف عائشة رضي الله عنها أو إنكار صحبة أبيها كان كفراً، وإن كان بخلاف ذلك كان بدعة وفسقاً.

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب فلم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة

وعمرو بن العاص وشيعتهما فقال عليه السلام: «إني أكره لكم أن تكونوا سبّابين ولكن اذكروا خصالهم وفعالهم وقولوا: اللهم احقن دماءنا ودمائهم»، فهذا هو الصواب عند أهل الدين والورع. (المحقق).

للإجماع على أحقيتها لعلي كما مر، فلم تهج الفتنة بسببها وإنما هاجت بسبب أن معاوية ومن معه طلبوا من علي تسليم قتلة عثمان إليهم لكون معاوية ابن عمه فامتنع علي ظناً منه أن تسليمهم إليهم على الفور مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بعسكر علي يؤدي إلى اضطراب وتزلزل في أمر الخلافة التي بها انتظام كلمة أهل الإسلام سيما وهي في ابتدائها لم يستحكم الأمر فيها فرأى علي رضي الله أن تأخير تسليمهم أصوب إلى أن يرسخ قدمه في الخلافة ويتحقق التمكن من الأمور فيها على وجهها ويتم له انتظام شملها واتفاق كلمة المسلمين. ثم بعد ذلك يلتقطهم واحداً فواحداً ويسلمهم إليهم، ويدل لذلك أن بعض قتلته عزم على الخروج على علي ومقاتلته لما نادى يوم الجمل بأن يخرج عنه قتلة عثمان، وأيضاً فالذين تمالؤا على قتل عثمان كانوا جموعاً كثيرة كما علم مما قدمته في قصة محاصرتهم له إلى أن قتله بعضهم جمع من أهل مصر، قيل سبعمائة وقيل ألف وقيل خمسمائة وجمع من الكوفة وجمع من البصرة وغيرهم قدموا كلهم المدينة وجرى منهم ما جرى بل ورد أنهم هم وعشائرهم نحو عشرة آلاف، فهذا هو الحامل لعلي رضي الله عنه على الكف عن تسليمهم لتعذره كما عرفت ويحتمل أن علياً رضي الله عنه رأى أن قتلة عثمان بغاة حملهم على قتله تأويل فاسد استحلوا به دمه رضي الله تعالى عنه لإنكارهم عليه أموراً كجعله مروان[1] ابن عمه كاتباً له

---

(١) جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم، وفي الدر المنثور للسيوطي، وفي أسد الغابة لابن الأثير، وفي الاستيعاب لابن عبد البر، وفي مقتل الحسين للخوارزمي،

وردّه أباه الحكم إلى المدينة بعد أن طرده النبيﷺ منها. وتقديمه أقاربه في ولاية الأعمال، وقضية محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما السابقة في مبحث خلافة عثمان مفصلة ظنوا أنها مبيحة لما فعلوه جهلاً منهم وخطأ، والباغي إذا انقاد إلى الإمام العادل لا يؤاخذ بما تلفقه في حال الحرب عن تأويل دماً كان أو مالاً كما هو المرجح من قول الشافعي رضي الله عنه وبه قال جماعة آخرون من العلماء، وهذا الاحتمال وإن أمكن لكن ما قبله أولى بالاعتماد منه، فإن الذي ذهب إليه كثيرون من العلماء أن قتلة عثمان لم يكونوا بغاة وإنما كانوا ظلمة وعتاة لعدم الاعتداد بشبههم ولأنهم أصروا على الباطل بعد كشف الشبهة وإيضاح الحق لهم، وليس كل من انتحل شبهة يصير بها مجتهداً لأن الشبهة تعرض للقاصر عن درجة الاجتهاد، ولا ينافي هذا ما هو المقرر في مذهب الشافعي رضي الله عنه من أن لهم شوكة دون تأويل لا يضمنون ما أتلفوه في حال القتال كالبغاة لأن قتل السيد عثمان رضي الله عنه لم يكن في قتال فإنه لم يقاتل بل نهى عن القتال حتى أن أبا هريرة رضي الله عنه لما أراده قال له عثمان عزمت عليك يا أبا هريرة ألا رميت بسيفك إنما تراد نفسي وسأفي المسلمين بنفسي كما أخرجه ابن عبد البر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.

وفي السيرة النبوية لزين دحلان بسند عن عبد الله بن عمرو قال: كان الحكم بن أبي العاص يجلس إلى رسول اللهﷺ وينقل حديثه إلى قريش، فلعنه رسول اللهﷺ وما يخرج من صلبه إلى يوم القيامة. (المحقق).

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضاً أن معاوية[1] رضي الله عنه لم يكن في أيام علي خليفة وإنما كان من الملوك وغاية اجتهاده أنه كان له أجر واحد على اجتهاده، وأما علي فكان له أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته بل عشرة أجور لحديث إذا اجتهد المجتهد فأصاب فله عشرة أجور، واختلفوا في إمامة معاوية بعد موت علي رضي الله عنه فقيل: صار إماماً وخليفة لأن البيعة قد تمت له وقيل لم يصر إماماً لحديث أبي داود والترمذي والنسائي الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكاً وقد انقضت الثلاثون بوفاة علي، وأنت خبير بما قدمته أن الثلاثين لم تتم بموت علي، وبيانه أنه توفي في رمضان سنة أربعين من الهجرة والأكثرون على أن وفاته سابع عشر ووفاة النبيﷺ ثاني عشر ربيع الأول فبينهما دون الثلاثين بنحو ستة أشهر وتمت الثلاثون بمدة خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه فإذا تقرر ذلك فالذي ينبغي كما قاله غير واحد من المحققين أن يحمل قول من قال بإمامة معاوية[2] عند وفاة علي على ما

---

(١) أخرج محمد بن عقيل رحمه الله صاحب كتاب «النصائح الكافية لمن يتولى معاوية» أن الإمام الشافعي(رض) أسرّ إلى الربيع أنه لا يحتج في دين الله بواحد من هؤلاء الأربعة: «معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومروان بن الحكم وأنه لا يفضل على علي أحد». انتهى. (المحقق).

(٢) روى المحدث الكبير شريك بن عبد الله، عن عاصم، عن ذرّ عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً عن النبيﷺ قوله: «إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه» رواه الطبري وكثير من المؤرخين. وأما ما زعمه المصنف من التزام معاوية بشرط الإمام الحسن فهذا أمر غير صحيح بداهة، فقد جاء في كتاب الإرشاد، وكثير من

تقرر من وفاته بنحو نصف سنة لما سلم له الحسن الخلافة، والمانعون لإمامته يقولون لا يعتد بتسليم الحسن الأمر إليه لأنه لم يسلمه إلا للضرورة لعلمه بأنه أعني معاوية لا يسلم الأمر للحسن وأنه قاصد للقتال والسفك إن لم يسلم الحسن الأمر إليه فلم يترك الأمر إليه إلا صوناً لدماء المسلمنن ولك رد ما وجه به هؤلاء ما ذكر بأن الحسن كان هو الإمام الحق والخليفة الصدق، وكان معه من العدة والعدد ما يقاوم من مع معاوية فلم يكن نزوله عن الخلافة وتسليمه الأمر لمعاوية اضطرارياً بل كان اختيارياً، كما يدل عليه ما مر في قصة نزوله من أنه اشترط عليه شروطاً كثيرة فالتزمها، ووفى له بها، وأيضاً فقد مر عن صحيح البخاري أن معاوية هو السائل للحسن في الصلح، ومما يدل على ما ذكرته حديث البخاري السابق عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين. فانظر إلى ترجيه ﷺ الإصلاح به وهو ﷺ لا يرجو إلا الأمر الحق الموافق للواقع، فترجيه للإصلاح من الحسن يدل على صحة نزوله لمعاوية عن الخلافة، وإلاّ لو كان الحسن باقياً على خلافته بعد نزوله عنها لم يقع بنزوله

المؤرخين: أن معاوية خطب بالنخيلة بعد أن صلى بالناس ضحى النهار وقال في خطبته: إني والله ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وأنتم كارهون، ألا وأني كنت منيت الحسن بن علي على أشياء، وجميعها تحت قدمي، لا أفي بشيء منها. (المحقق).

إصلاح ولم يحمد الحسن على ذلك، ولم يترجﷺ مجرد النزول من غير أن يترتب عليه فائدته الشرعية وهو استقلال المنزول له بالأمر وصحة خلافته ونفاذ تصرفه ووجوب طاعته على الكافة وقيامه بأمور المسلمين، فكان ترجيهﷺ لوقوع الإصلاح بين أولئك الفئتين العظيمتين من المسلمين بالحسن، فيه دلالة أي دلالة على صحة ما فعله الحسن وعلى أنه مختار فيه، وعلى أن تلك الفوائد الشرعية وهي صحة خلافة معاوية وقيامه بامور المسلمين وتصرفه فيها بسائر ما تقتضيه الخلافة مترتبة على ذلك الصلح فالحق ثبوت الخلافة لمعاوية من حينئذ وأنه بعد ذلك خليفة حق وإمام صدق[1]. كيف وقد أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي عن النبيﷺ أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هادياً مهدياً»[2]، وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية سمعت رسول اللهﷺ يقول: «اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»[3]. وأخرج ابن

---

(١) لقد أصرّ معاوية على سبّ أمير المؤمنين والحسن والحسين وابن عباس، بل لقد دسّ السم للإمام الحسن بطريق زوجته جعدة بنت الأشعث، وقتل العبد الصالح حجر بن عديّ وأصحابه لأنه رفض أن يسبّ عليعليه السلام ويتبرأ منه، وادعى زياداً، والنبيﷺ يقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر، وقد أجبر الناس على بيعة ولده الفاسق الماجن يزيد، أقول: وما ذلك إلا صورة مصغرة لذلك العداء الذي يضمره للإسلام، والرسولﷺ الذي تواتر عنه قوله: «من سبّني فقد سب الله، ومن سب علياً فقد سبّني». (المحقق).

(٢) الحديث موضوع وكذب والصحيح قولهﷺ: «اللهم لا تشبع لمعاوية بطناً». (المحقق).

(٣) هذا الحديث من وضع الأمويين والصحيح قولهﷺ «إذا رايتم معاوية على منبري فاقتلوه». (المحقق).

أبي شيبة في المصنف والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمر قال قال معاوية ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ يا معاوية إذا ملكت فأحسن[1].

فتأمل دعاء النبي ﷺ له في الحديث الأول «بأن الله يجعله هادياً مهدياً»، والحديث حسن كما علمت، فهو مما يحتج به على فضل معاوية وأنه لا ذم يلحقه بتلك الحروب لما علمت أنها مبنية على إجتهاد لم يكن له إلا أجر واحد لأن المجتهد إذا أخطأ لا ملام عليه ولا ذم يلحقه بسبب ذلك لأنه معذور ولذا كتب له أجر. وممّا يدل لفضله الدعاء له في الحديث الثاني بأن يعلم ذلك ويوقي العذاب ولا شك أن دعاءه ﷺ مستجاب فعلمنا منه أنه لا عقاب على معاوية فيما فعل من تلك الحروب بل له الأجر[2] كما تقرر. وقد سمي النبي ﷺ فئته المسلمين وساواهم بفئة

---

(١) قال ابن راهويه لا يصح عن النبي ﷺ في فضل معاوية بن أبي سفيان شيء وقال السيوطي أصح ما ورد في فضل معاوية رضي الله عنه حديث ابن عباس أنه كان كاتب النبي ﷺ فقد أخرجه مسلم في صحيحه وبعده حديث العرباض: اللهم علمه الكتابة، وبعده حديث بن أبي عميرة: اللهم اجعله هادياً مهدياً. ذكر ذلك ابن عراق في تنزيه الشريعة، وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء. وقد ورد في فضله أحاديث قلما تثبت، وأما حديث إذا ملكت فأحسن فرواه البيهقي من طريق اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر وهو ضعيف. قال الحافظ في فتح الباري وقد صنف ابن أبي عاصم في مناقبه جزءاً وكذلك أبو عمر غلام ثعلب وأبو بكر النقاش، وبقية القول سنبسطه في التعليق على كتاب تطهير الجنان فإنه به أليق.

(٢) وأي أجر له، وهو صاحب الموبقات الأربع على حد تعبير الحسن البصري رحمه الله، فقد جاء في كتاب «الكامل للمبرد» قال في الجزء ١٨٧/٣، قال الحسن البصري

الحسن في وصف الإسلام فدل على بقاء حرمة الإسلام للفريقين وأنهم لم يخرجوا بتلك الحروب عن الإسلام وأنهم فيه على حد سواء فلا فسق ولا نقص يلحق أحدهما لما قررناه من أن كلا منهما متأول تأويلاً غير قطعي البطلان وفئة معاوية وإن كانت هي الباغية لكنه بغي[1] لا فسق به

رحمه الله: اربع خصال في معاوية لو لم تكن فيه إلاّ واحدة منها لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه من بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب الطنابير ـ يزيد ـ وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وقتله حجراً وأصحاب حجر، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر. انتهى بالحرف. (المحقق).

(١) جاء في طبقات ابن سعد ١٨٥/٤، أنه بعد أن قتلت الفئة الباغية الصحابي الجليل عمّار بن ياسر رضي الله عنه لم يبق أدنى شبهة لعاقل ولا لقول قائل، ألا ترى أن ابن عمر(رض) ندم أشد الندم على عدم قتاله معاوية وأصحابه البغاة، فقد روى أبو حنيفة عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر(رض) قال: «ما آسى على شيء إلا أن أكون قاتلت الفئة الباغية وعلى صوم الهواجر» وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: ١١١٦/٣، يروي من وجوه عن حبيب عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال حين حضرته الوفاة: «ما أجدني آسى على شيء فاتني من الدنيا إلاّ أني لم أقاتل مع علي الفئة الباغية». وجاء في سنن البيهقي: ١٧٨/٨ عن الحاكم بسند صحيح قال: «ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت من هذه الآية أني أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله، وهي قوله تعالى: ﴿فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفي إلى أمر الله﴾ (الحجرات، آية ٩)، وجاء في مستدرك الحاكم: ١٥٥/٢، تطهير الجنان واللسان ٣٢، قال الحاكم: «هذا باب كبير قد رواه عن ابن عمر جماعة من كبار التابعين. وكان خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين رضي الله عنه، كافاً سلاحه، حتى قتل عمار بصفين، فسلّ سيفه، وذكر حديث عمار، ثم قاتل

لأنه إنما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه وتأمل أنهﷺ أخبر معاوية بأنه يملك وأمره بالإحسان تجد في الحديث إشارة إلى صحة خلافته وأنها حق بعد تمامها له بنزول الحسن له عنها فإن أمره بالإحسان المترتب على الملك يدل على حقيقة ملكه وخلافته وصحة تصرفه ونفوذ أفعاله من حيث صحة الخلافة لا من حيث التغلب لأن المتغلب فاسق معاقب لا يستحق أن يبشر ولا أن يؤمر بالإحسان فيما تغلب عليه بل إنما يستحق الزجر والمقت والإعلام بقبيح أفعاله وفساد أحواله. فلو كان معاوية متغلباً لأشار لهﷺ إلى ذلك أو صرح له به فلما لم يشر له فضلاً عن أن يصرح إلا بما يدل على حقية ما هو عليه علمنا أنه بعد نزول الحسن له خليفة حق وإمام صدق(1). ويشير إلى ذلك كلام أحمد، فقد أخرج البيهقي وابن

عسكر معاوية حتى قتل». وقد نقل ابن عبد البر في الاستيعاب، عن ابراهيم النخعي: «أن مسروق بن الأجدع لم يمت حتى تاب من تخلفه عن علي كرّم الله وجهه» (الاستيعاب: ١١١٧/٣، الكامل: ٢٧٩/٣). (المحقق).

(١) كيف يكون الطليق ابن الطليق معاوية بن أبي سفيان خليفة حق وإمام صدق، وقد شهد بكفره أقربهم منه ممن زعموا أنه من صحابة رسول اللهﷺ الداهية المغيرة بن شعبة. فقد جاء في كتاب النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص ١٦١، نقلاً عن كتاب الموفقيات للزبير بن بكار، ص ٥٧٦/ ٥٧٧ ـ بغداد، قال نقلاً عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال: دخلت مع أبي على معاوية، فكان أبي يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليّ، ويذكر معاوية وعقله ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيته مغتماً فانتظرته ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: ما لي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بني جئت من عند أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما؟ قال: قلت له وقد خلوت به أنك قد بلغت سناً يا أمير

عساكر عن ابراهيم بن سويد الأرمني قال قلت لأحمد بن حنبل من الخلفاء؟ قال: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي قلت فمعاوية؟ قال لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمن علي من علي فأفهم كلامه أن معاوية بعد زمان علي ـ أي وبعد نزول الحسن له ـ أحق الناس بالخلافة فيهم فقال: كذب بنو الزرقاء بل هم ملوك من أشر الملوك وأول الملوك معاوية فلا يتوهم منه أن لا خلافة لمعاوية، لأن معناه أن خلافته وإن كانت صحيحة إلا أنه غلب عليها مشابهة الملك لأنها خرجت عن سنن خلافة الخلفاء الراشدين في كثير من الأمور فهي حقة وصحيحة من حين نزول الحسن له واجتماع الناس أهل الحل والعقد عليه وتلك من حيث إنه وقع فيها أمور ناشئة عن اجتهادات غير مطابقة للواقع لا يأثم بها المجتهد لكنها تؤخر عن درجات ذوي الاجتهادات الصحيحة المطابقة للواقع وهم

المؤمنين فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً، فقد كبرت، ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم شيء تخافه وأن ذلك مما يبقى لك ذكره وثوابه، فقال: هيهات! هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه، ملك أخو تيم، فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلك، حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر، ثم ملك أخو عدي، فاجتهد وشمّر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر، وأن ابن أبي كبشه ليصاح به كل يوم خمس مرات: أشهد أن محمداً رسول الله، فأي عمل يبقى؟ وأي ذكر يدوم بعد هذا؟ لا أبا لك لا والله دفناً دفناً» انتهى.

قلت: لقد شهد ابن آكلة الأكباد على نفسه بالكفر حينما ذكر النبي محمد ﷺ دون أن يذكر اسمه، وشمائله بالنبوة والرسالة، وقلبه مفعم بالحقد والحسد والإحن البدرية والأحدية. (المحقق).

الخلفاء الأربعة والحسن رضي الله عنهم فمن أطلق على ولاية معاوية أنها ملك أراد أنه بنزول الحسن له واجتماع أهل الحل والعقد عليه صار خليفة حق مطاعاً يجب لـه مـن حيـث الطواعيـة والانقيـاد مـا يجـب للخلفـاء الراشدين قبله.

ولا يقال ينظر ذلك فيمن بعده لأن أولئك ليسوا من أهـل الاجتهـاد بل منهم عصاة فسقة ولا يعدون من جملة الخلفاء بوجه بل مـن جملـة الملوك بل من أشرارهم إلا عمر بن عبـد العزيـز فإنـه ملحـق بالخلفـاء الراشدين وكذلك ابن الزبير. وأما ما يستبيحه بعض المبتدعـة مـن سـبه ولعنه فله فيه أسوة أي أسوة الشيخين وعثمان وأكثر الصحابة فلا يلتفت لذلك ولا يعول عليه فإنه لم يصدر إلا من قـوم حمقـى جهـلاء أغبيـاء طغاة لا يبالي الله بهم في أي واد هلكوا فلعنهم الله وخذلهم أقبح اللعنـة والخذلان، وأقام على رؤوسهم من سيوف أهل السنة وحججهم المؤيدة بأوضح الدلائل والبرهان، ما يقمعهم عن الخـوض فـي تنقـيص أولئـك الأئمة الأعيان، ولقد استعمل معاوية عمر وعثمان رضي الله عنهم وكفـاه ذلك شرفاً، وذلك أن أبا بكر لما بعث الجيوش إلى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلمّا مات أخوه يزيـد اسـتخلفه علـى دمـشق فأقره ثم أقره عمر ثم عثمان وجمع له الشام كله فأقام أميراً عشرين سنة وخليفة عشرين سنة قال كعب الأحبار[1]: لن يملك أحد هـذه الأمـة مـا

---

(١) كعب الأحبار، أصله يهودي، مطعون في دينه، متهم بالكذب، والافتراء على التـوراة والإنجيل، يقول العلامة المرحوم الشيخ محمد أبو ريّة في كتابه «أضواء على السنة

ملك معاوية. قال الذهبي: توفي كعب قبل أن يستخلف معاوية وصدق كعب فيما نقله فإن معاوية بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض بخلاف غيره ممن بعده فإنه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك انتهى.

وفي إخبار كعب بذلك قبل استخلاف معاوية دليل على أن خلافته منصوص عليها في بعض كتب الله المنزلة فإن كعباً كان حبرها فله من الاطلاع عليها والإحاطة بأحكامها ما فاق سائر أحبار أهل الكتاب وفي هذا من التقوية لشرف معاوية وحقية خلافته بعد نزول الحسن له ما لا يخفى، وكان نزوله له عنها واستقراره فيها من ربيع الآخر أو جمادى الأولى سنة إحدى وأربعين فسمي هذا العام عام الجماعة لاجتماع الأمة

المحمدية» ص ٣٩٥: «فماذا تكون قيمة روايات هذا الاسرائيلي (كعب الأحبار) وهذا الفارسي (وهب بن منبه) وأكثرها خرافات إسرائيلية، شوهت كتب تفسير كتاب الله وغيرها من الكتب، وكانت شبهاً على الإسلام يحتج بها أعداؤه الملاحدة بأنه كغيره دين خرافات وأوهام، وما كان منها غير خرافة فقد تكون الشبهة فيه أكبر، كالذي ذكره كعب من صفة النبي في التوراة، واعترف المنتقد ـ الشيخ عبد الرحمن الجمجموني ـ بصحته عنه على أن قال: إن جرحنا لهما (كعب ووهب) إنما كان في شيء لم يكن يعرفه رجال الجرح والتعديل المتقدمون، وهو وجيه يتعين قبوله، وإن الروايات المعروفة صحتها عنهما كافية في إثبات كذبها.

وبعد هذا كله أقول: إذا ثبت بما حررناه كذب الرجلين بما ذكرا، فلا يبقى مجال للشك في أنهما كانا يغشان المسلمين، ويدخلان في كتبهم الدينية، ورواياتهم ما يقتضي الطعن في دينهم، وحينئذ لا يبقى محل لاستغراب اشتراكهما في تلك الجمعيات اليهودية والمجوسية، التي كانت تكيد للإسلام والعرب». (المحقق).

فيه على خليفة واحد[1].

(اعلم) أن أهل السنة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية وولي عهده من بعده فقالت طائفة إنه كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره المشهور: إنه لما جاءه رأس الحسين رضي الله عنه جمع أهل الشام وجعل ينكث رأسه بالخيزران وينشد أبيات الزبعري:

* ليت أشياخي ببدر شهدوا[2] *

---

(١) قال أبو بكر بن العربي في العواصم عند الكلام على حديث الخلافة ثلاثون. وهذا حديث لا يصح ولو صح فهو معارض ثم قال: فإن قيل ألم يكن في الصحابة أقعد بالأمر من معاوية، قلنا كثير ولكن معاوية اجتمعت فيه خصال وهي أن عمر جمع له الشامات كلها وأفرده بها لما رأى من حسن سيرته وقيامه بحماية البيضة وسد الثغور وإصلاح الجند والظهور على العدو وسياسة الخلق. وقد شهد له في صحيح الحديث بالفقه وشهد بخلافته في حديث أم حرام أن ناساً من أمته يركبون ثبج البحر الأخضر ملوكاً على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة وكان ذلك في ولايته.

(٢) ونحن نذكر الأبيات التي تورّع ابن حجر عن ذكرها لأنها تذهب بمنشدها ومن يحبه إلى الجحيم إنشاء الله:

ليست أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسِل
قد قتلنا القوم من ساداتكم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل
لأهلوا واستحلوا فرحاً ... ثمَّ قالوا يا يزيد لا تشل
لستُ من خندف إنْ لم أنتقمْ ... من بني أحمدَ ما كان فعل
لعبَتْ هاشم بالملك فلا ... خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل

هذا هو المروق من الدين، بل هو صريح الكفر والخروج عن ملّة الإسلام، فقد اتخذ معاوية وابنه وآل أمية مال الله دولاً، وعبيد الله خولاً، وهم الذين أباحوا

الأبيات المعروفة وزاد فيها بيتين مشتملين على صريح الكفر، وقال ابن الجوزي فيما حكاه سبطه عنه ليس العجب من قتال ابن زياد للحسين وإنما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب ثنايا الحسين وحمله آل رسول الله ﷺ سبايا على أقتاب الجمال، وذكر أشياء من قبيح ما اشتهر عنه. ورده الرأس إلى المدينة وقد تغيرت ريحه ثم قال: وما كان مقصوده إلا الفضيحة وإظهار الرأس، فيجوز أن يفعل هذا بالخوارج والبغاة يكفنون ويصلى عليهم ويدفنون ولو لم يكن في قلبه أحقاد جاهلية وأضغان بدرية، لاحترم الرأس لما وصل إليه وكفنه ودفنه وأحسن على آل رسول الله ﷺ انتهى. وقالت طائفة ليس بكافر لأن الأسباب الموجبة للكفر لم يثبت عندنا منها شيء والأصل بقاؤه على إسلامه حتى يعلم ما يخرجه عنه وما سبق أنه المشهور يعارضه ما حكي أن يزيد لما وصل إليه رأس الحسين قال رحمك الله يا حسين لقد قتلك رجل لم يعرف حق الأرحام وتنكر لابن زياد وقال قد زرع لي العداوة في قلب البر والفاجر ورد نساء الحسين ومن بقي من بنيه مع رأسه إلى المدينة ليدفن الرأس بها وأنت خبير بأنه لم يثبت موجب واحدة من المقالتين والأصل أنه مسلم فنأخذ بذلك الأصل حتى يثبت عندنا ما يوجب الإخراج عنه ومن ثم قال

مدينة رسول الله ﷺ في وقعة الحرة، وهتكوا الحرمات، وفضوا البكارات، وبايعهم الناس على أنهم عبيد وخول، وقذفوا الكعبة بالمنجنيق، وأحرقوا بيت الله الحرام، وقتلوا بمكة والمدينة عشرات المئات من النفوس المسلمة الآمنة، وتظاهروا بالمسكرات والمنكرات، وقتلوا في كربلاء سيد شباب أهل الجنة الإمام الشهيد الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه رحمهم الله. (المحقق).

جماعة من المحققين إن الطريقة الثابتة القويمة في شأنه التوقف فيه وتفويض أمره إلى الله سبحانه لأنه العالم بالخفيات والمطلع على مكنونات السرائر وهواجس الضمائر، فلا نتعرض لتكفيره أصلاً لأن هذا هو الأحرى والأسلم، وعلى القول بأنه مسلم فهو فاسق شرير سكير جائر كما أخبر به النبيﷺ فقد أخرج أبو يعلى في مسنده بسند لكنه ضعيف عن أبي عبيدة قال رسول اللهﷺ: «لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية يقال له يزيد». وأخرج الروياني في مسند عن أبي الدرداء قال سمعت النبيﷺ يقول: «أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد». وفي هذين الحديثين دليل أي دليل لما قدمته أن معاوية كانت خلافته ليست كخلافة من بعده من بني أمية فإنهﷺ أخبر أن أول من يثلم أمر أمته ويبدل سنته يزيد، فافهم أن معاوية لم يثلم ولم يبدل هو كذلك لما مر أنه مجتهد، ويؤيد ذلك ما فعله الإمام المهدي كما عبر به ابن سيرين وغيره وعمر بن العزيز بأن رجلاً نال من معاوية بحضرته فضربه ثلاثة أسواط مع ضربه لمن سمّى ابنه يزيد أمير المؤمنن عشرين سوطاً كما سيأتي فتأمل فرقان ما بينهما وكان مع أبي هريرة رضي الله عنه علم من النبيﷺ بما مر عنهﷺ في يزيد فإنه كان يدعو: اللهم إني أعوذ بك من رأس الستين، وإمارة الصبيان، فاستجاب الله فتوفاه له سنة تسع وخمسين وكانت وفاة معاوية وولاية ابنه سنة ستين فعلم أبو هريرة بولاية يزيد في هذه السنة فاستعاذ منها لما علمه من قبيح أحواله بواسطة إعلام الصادق المصدوقﷺ بذلك، وقال نوفل بن أبي الفرات كنت عند عمر بن عبد العزيز فذكر رجل يزيد فقال قال أمير

المؤمنين يزيد بن معاوية فقال: تقول أمير المؤمنين فأمر به فضرب عشرين سوطاً، ولإسرافه في المعاصي خلعه أهل المدينة فقد أخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة ابن الغسيل قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إن كان رجلاً ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة[1]، وقال الذهبي ولما فعل يزيد بأهل المدينة ما فعل مع شربه الخمر وإتيانه المنكرات اشتد عليه الناس وخرج عليه غير واحد ولم يبارك الله في عمره. وأشار بقوله ما فعل إلى ما وقع منه سنة ثلاث وستين فإنه بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه فأرسل لهم جيشاً عظيماً وأمرهم بقتالهم فجاؤا إليهم وكانت وقعة الحرة على باب طيبة وما أدراك ما وقعة الحرة. ذكرها الحسن مرة فقال والله ما كاد ينجو منهم واحد، قتل فيها خلق من الصحابة ومن غيرهم فإنا لله وإنا إليه راجعون وبعد اتفاقهم على فسقهِ اختلفوا في جواز لعنه بخصوص اسمه، فأجازه قوم منهم ابن الجوزي ونقله عن أحمد وغيره فإنه قال في كتابه المسمى بالرد على

---

(١) تركه للصلاة وشربه للخمر، وتلاعبه بالقردة والفهود والكلاب، وهتكه للحرمات وإزهاقه للنفوس في المدينة، وإباحته للمحرمات من استحياء جيشه لنساء المسلمين وفضّه بكارات المسلمات، وإحراق المسجد النبوي ومنبر رسول الله ﷺ وضربه للكعبة بالمنجنيق، وقتله آل رسول الله وسيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وتسييره لآل الرسول سبايا في طول البلاد وعرضها حاسرات كاشفات، إن ذلك كله من المسلمات عند المسلمين. أقول: هذه الموبقات والفجورات والمخزيات، وعند أخذ الأمور بالأسباب والمسببات يجب أن يعود خزيها وشنارها إلى معاوية الطليق الذي أخذ البيعة له غصباً بالمال والسيف. (المحقق).

المتعصب العنيد، المانع من ذم يزيد سألني سائل عن يزيد بن معاوية فقلت له يكفيه ما به فقال: أيجوز لعنه فقلت قد أجازه العلماء الورعون منهم أحمد بن حنبل فإنه ذكر في حق يزيد عليه اللعنة ثم روى ابن الجوزي عن القاضي أبي يعلى الفراء أنه روى في كتابه المعتمد في الأصول بإسناده إلى صالح بن أحمد ابن حنبل قال قلت لأبي إن قوماً ينسبوننا إلى تولي يزيد فقال يا بني وهل يتولى يزيد أحد يؤمن بالله، ولم لا يلعن من لعنه الله في كتابه، فقلت واين لعن الله يزيد في كتابه فقال في قوله تعالى ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم**﴾[1] فهل يكون فساد أعظم من هذا القتل. وفي رواية فقال يا بني ما أقول في رجل لعنه الله في كتابه فذكره قال الجوزي: وصنف القاضي أبو يعلى كتاباً ذكر فيه بيان من يستحق اللعن وذكر منهم يزيد ثم ذكر حديث من أخاف أهل المدينة ظلماً أخافه الله وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ولا خلاف أن يزيد غزا المدينة بجيش وأخاف أهلها انتهى.

والحديث الذي ذكره رواه مسلم ووقع من ذلك الجيش من القتل والفساد العظيم والسبي وإباحة المدينة ما هو مشهور، حتى فض نحو ثلاثمائة بكر وقتل من الصحابة نحو ذلك وممن قرأ القرآن نحو سبعمائة نفس وأبيحت المدينة أياماً وبطلت الجماعة من المسجد النبوي أياماً واختفت أهل المدينة أياماً فلم يمكن أحداً دخول مسجدها حتى دخلته

---

(١) سورة محمد، الآية ٢٣.

الكلاب والذئاب وبالت على منبرهﷺ تصديقاً لما أخبر بـه النبـيﷺ ولـم يرض أمير ذلك الجيش إلا بأن يبايعوه ليزيد على أنهم خوَل لـه إن شـاء باع وإن شاء أعتق، فذكر له بعضهم البيعة علـى كتـاب الله وسـنة رسـوله فضرب عنقه، وذلك في وقعة الحرة السابقة، ثم سار جيشه هذا على قتال ابن الزبير فرموا الكعبة بالمنجنيق وأحرقوها بالنار فأي شـيء أعظـم مـن هذه القبائح التي وقعت في زمنه ناشئة عنه، وهي مصداق الحديث السابق «لا يزال أمر أمتي قائماً بالقسط حتى ثلمه رجل مـن بنـي أميـة يقـال لـه يزيد»، وقال آخرون لا يجوز لعنه إذ لم يثبت عندنا ما يقتضيه وبـه أفتـى الغزالي وأطال في الانتصار له وهذا هو اللائق بقواعد أئمتنا بمـا صـرحوا به من أنه لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه إلا أن علم موته على الكفر كأبي جهل وأبي لهب وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعنـه حتـى إن الكافر الحي المعين لا يجوز لعنه لأن اللعـن هـو الطـرد عـن رحمـة الله المستلزم لليأس منها وذلك إنما يليق بمن علم موته على الكفر وأمـا مـن لم يعلم فيه ذلك فلا وإن كان كافراً في الحالة الظاهرة لاحتمال أن يخـتم له بالحسنى فيموت على الإسلام، وصرحوا أيضاً بأنه لا يجوز لعن فاسق مسلم معيّن وإذا علمت أنهم صرحوا بذلك علمت أنهم مصرحون بأنـه لا يجوز لعن يزيد وإن كان فاسقاً خبيثاً ولو سلمنا أنـه أمـر بقتـل الحـسين وسر به لأن ذلك خبث لم يكن عن استحلال أو كان عنه لكن بتأويل ولو باطلاً وهو فسق لا كفر، على أن أمره بقتله وسروره به لم يثبت[1] صدوره

---

(١) ذكر المؤلف ابن حجر في ص ٢٢٦ من هذا الكتاب ما يتناقض، وقوله أن يزيد لـم

عنه من وجه صحيح. بل كما حكي عنه ذلك حكي عنه ضده كما قدمته وأما ما استدل به أحمد على جواز لعنه من قوله أولئك الذين لعنهم الله، وما استدل به غيره من قولهﷺ في حديث مسلم: وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فلا دلالة فيهما لجواز لعن يزيد بخصوص اسمه والكلام إنما هو فيه وإنما الذي دل عليه جواز لعنه لا بذلك الخصوص وهذا جائز بلا نزاع ومن حكى الاتفاق على أنه يجوز لعن من قتل الحسين رضي الله عنه أو أمر بقتله أو أجازه أو رضي به من غير تسمية ليزيد كما يجوز لعن شارب الخمر ونحوه من غير تعيين وهذا هو الذي في الآية والحديث إذ ليس فيهما تعرض للعن أحد بخصوص اسمه بل لمن قطع رحمه ومن أخاف أهل المدينة فيجوز إتفاقاً أن يقال لعن الله من قطع رحمه ومن أخاف أهل المدينة ظلماً وإذا جاز هذا اتفاقاً لكونه ليس فيه تسمية أحد بخصوصه فكيف يستدل به أحمد وغيره على جواز لعن شخص معين بخصوصه مع وضوح الفرق بين المقامين، فاتضح أنه لا يجوز لعنه بخصوصه وأنه لا دلالة في الآية والحديث للجواز. ثم رأيت

يأمر بقتل الحسينعليه السلام وذلك أنه حينما هلك يزيد صعد ابنه معاوية المنبر فقال: إن هذه الخلافة حبل الله وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثمّ قلد أبي الأمر، وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول اللهﷺ فقصف عمره وانبتر عقبه وصار في قبره رهيناً بذنوبه. ثم بكى وقال: إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول اللهﷺ وأباح الخمر وخرَّب الكعبة. (المحقق).

ابن الصلاح من أكابر أئمتنا الفقهاء والمحدثين قال في فتاويه لما سئل عمن يلعنه لكونه أمر بقتل الحسين لم يصح عندنا أنه أمر بقتله رضي الله عنه، والمحفوظ أن الآمر بقتاله المفضي على قتله كرمه الله إنما هو عبيد الله بن زياد والي العراق إذ ذاك وأما سب يزيد ولعنه فليس شأن المؤمنين[1] وإن صح أنه قتله أو أمر بقتله وقد ورد في الحديث المحفوظ

---

(١) لقد استدل الإمام الجليل أحمد بم حنبل على جواز لعن الفاسق يزيد بقول الله سبحانه ﴿فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾ (محمد، آية ٢٢-٢٣) وأخرج ابن الأثير، وفي كنز العمال للمتقي الهندي، ج٨ ح(٢١٩٨٩) والكامل للمبرّد، ج٣ ص ٣٣٣، والطبري ج٥ ص ٧١: أن سيدنا أمير المؤمنين ويعسوب الدين، وباب مدينة علم رسول الله ﷺ كان إذا صلّى الغداة يقنت فيقول: «اللهم إلعن معاوية وعمرو بن العاص وأبا الأعور السلمي وحبيباً، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والضحاك بن قيس والوليد بن عقبة». وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن عبد الرحمن بن عقل، قال: صليت مع أمير المؤمنين علي عليه السلام صلاة الغداة فقنت ولعن فقال في قنوته: «اللهم عليك بمعاوية وأشياعه، وعبد الله بن قيس ـ أبو موسى الأشعري ـ وأشياعه». وأخرج أبو نعيم بسنده قال: قنت رسول الله ﷺ فقال: «اللهم العن رعلاً وذكوان وعصبة عصت الله ورسوله، والعن أبا الأعور السلمي». وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير قال: «أتيت ابن عباس بعرفة فقال: لعن الله فلاناً ـ يعني معاوية ـ عمدوا إلى أعظم أيام الحج فمحوا زينة الحج وإنما زينة الحج التلبية.

وفي النصائح الكافية لمن يتولى معاوية ص ٢٩ قال ابن عقيل رحمه الله: «وجاء بسند رجاله رجال الصحيح، وقوّاه الذهبي بقوله: إنه أحد الأثيات وما علمت فيه جرحاً أصلاً: «أن عمرو بن العاص صعد المنبر فوقع في علي ثم فعل مثله المغيرة بن شعبة فقيل للحسن بن علي: إصعد المنبر لترد عليهما فامتنع إلاّ أن يعطوه عهداً أنهم يصدقونه إن قال حقاً ويكذبونه إن قال باطلاً فأعطوه ذلك، فصعد المنبر

أن لعن المسلم كقتله وقاتل الحسين رضي الله عنه لا يكفر بذلك وإنما ارتكب إثماً عظيماً وإنما يكفر بالقتل قاتل نبي من الأنبياء. والناس في يزيد ثلاث فرق: فرقة تتولاه وتحبه، وفرقة تسبه وتلعنه وفرقة متوسطة في ذلك لا تتولاه ولا تلعنه وتسلك به مسلك سائر ملوك الإسلام وخلفائهم غير الراشدين في ذلك، وهذه الفرقة هي المصيبة ومذهبها هو اللائق بمن يعرف سير الماضين؛ ويعلم قواعد الشريعة المطهرة جعلنا الله من أخيار أهلها آمين انتهى لفظه بحروفه وهو نص فيما ذكرته وفي الأنوار من كتب أئمتنا المتأخرين، والباغون ليسوا بفسقة ولا كفرة ولكنهم مخطئون فيما يفعلونه ويذهبون إليه، ولا يجوز الطعن في معاوية لأنه من كبار الصحابة، ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفيره، فإنه من جملة المؤمنين، وأمره إلى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، قاله الغزالي والمتولي وغيرهما.

فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أنشدك الله يا عمرو ويا مغيرة أتعلمان أن رسول الله ﷺ لعن السائق والقائد ـ هما أبو سفيان ومعاوية ـ أحدهما فلان؟ قالا: بلى، ثم أنشدك الله يا معاوية ويا مغيرة ألم تعلما أن النبي ﷺ لعن عمرواً بكل قافية قالها لعنة؟ فقالا: اللهم بلى، ثم قال: أنشدك الله يا عمرو ويا معاوية ألم تعلما أن النبي ﷺ لعن قوم هذا؟ قالوا: بلى، قال الحسن عليه السلام «فإني أحمد الله الذي جعلكم فيمن تبرأ من هذا ـ يعني علياً ـ مع أنه ﷺ لم يسبّه قط، وإنما كان يذكره بغاية الجلالة والعظمة» قلت ذكر هذا ابن حجر في «تطهير الجنان».

ونقل ابن الأثير قال: «لمّا عزل معاوية سَمرة بن جندب عن ولاية البصرة قال سمرة: لعن الله معاوية والله لو أطعت الله كما أطعته ما عذبني أبداً» الكامل: ٤٩٥/٣.

قال ابن عقيل رحمه الله: «قلت يقول العزيز الجبار: ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ (ص، آية ٦٤). (المحقق).

قال الغزالي وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين، تلقى الأئمة الدين عنهم رواية، ونحن تلقيناه من الأئمة دراية، فالطاعن فيهم مطعون طاعن في نفسه ودينه قال ابن الصلاح والنووي الصحابة كلهم عدول، وكان للنبيﷺ مائة ألف وأربعة عشر ألف صحابي عند موتهﷺ والقرآن والأخبار مصرحان بعدالتهم وجلالتهم ولما جرى بينهم محامل لا يحتمل ذكرها هذا الكتاب انتهى ملخصاً. وما ذكره من حرمة رواية قتل الحسين وما بعدها لا ينافي ما ذكرته في هذا الكتاب لأن هذا البيان الحق الذي يجب اعتقاده من جلالة الصحابة وبراءتهم من كل نقص، بخلاف ما يفعله الوعاظ الجهلة فإنهم يأتون بالأخبار الكاذبة الموضوعة ونحوها ولا يبينون المحامل والحق الذي يجب اعتقاده فيوقعون العامة في بعض الصحابة وتنقيصهم بخلاف ما ذكرناه، فإنه لغاية إجلالهم وتنزيههم هذا. وقد بتر عمر يزيد لسوء ما فعله واستجابة لدعوة أبيه فإنه ليم على عهده إليه فخطب وقال: اللهم إن كنت إنما عاهدت ليزيد لما رأيت من فعله، فبلغه ما أملته وأعنه، وإن كنت إنما حملني حب الوالد لولده وإنه ليس لما صنعت به أهلاً فأقبضه قبل أن يبلغ ذلك فكان كذلك لأن ولايته كانت سنة ستين ومات سنة أربع وستين لكن عن ولد شاب صالح عهد إليه فاستمر مريضاً إلى أن مات ولم يخرج على الناس ولا صلى بهم ولا أدخل نفسه في شيء من الأمور وكانت مدة خلافته أربعين يوماً وقيل شهرين وقيل ثلاثة أشهر. ومات عن إحدى وعشرين سنة وقيل عشرين

ومن صلاحه الظاهر أنه لما ولي صعد المنبر فقال: «إن هذه الخلافة حبل الله وإن جدي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحق به منه علي بن أبي طالب وركب بكم ما تعلمون حتى أتته منيته فصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم قلد أبي الأمر وكان غير أهل له ونازع ابن بنت رسول الله ﷺ فقصف عمره وانبتر عقبه وصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثم بكى وقال: إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه وقد قتل عترة رسول الله ﷺ وأباح الخمر وخرّب الكعبة. ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلد مراراتها فشأنكم أمركم، والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظاً، ولئن كانت شراً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها»، ثم تغيب في منزله حتى مات بعد أربعين يوماً على ما مر، فرحمه الله أنصف من أبيه وعرف الأمر لأهله كما عرفه عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الصالح رضي الله عنه، فقد مر عنه أنه ضرب من سمى يزيد أمير المؤمنين عشرين سوطاً، ولعظيم صلاحه وعدله وجميل أحواله ومآثره. قال سفيان الثوري كما أخرجه عنه أبو داود في سننه: الخلفاء الراشدون خمسة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز. وإنما لم يعد الحسن وابن الزبير مع صلاحية كل منهما أن يكون منهم، بل مر النص على أن الحسن منهم لقصر مدة الحسن ولأن كلا منهما لم يتم له من نفاذ الكلمة واجتماع الأمة ما تم لعمر بن عبد العزيز، وعن ابن المسيب أنه قال: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر وعمر وعمر، فقال له حبيب: هذا أبو بكر وعمر قد عرفناهما، فمن عمر؟ قال: إن عشت أدركته، وإن مت كان بعدك هذا مع كون ابن المسيب مات قبل خلافة عمر، والظاهر أنه اطلع على ذلك من بعض

الصحابة الذين أخبرهم النبيﷺ بكثير ما يكون بعده كأبي هريرة وحذيفة، وكذا يقال فيما يأتي عن عمر من التبشير بعمر، وورد من طرق أن الذئاب في أيام خلافته رعت مع الشاة فلم تعد عليها إلا ليلة موته، وأمه بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب وكان يبشر به ويقول: من ولدي رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلاً، أخرجه الترمذي في تاريخه، وكان بوجه عمر بن عبد العزيز شجة ضربته دابة في جبهته وهو غلام فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول: إن كنت أشج بني أمية؟ فصدق ظن أبيه فيه. وأخرج ابن سعد أن عمر بن الخطاب قال: ليت شعري من ذو السنن من ولدي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً، وأخرج ابن عمر قال: كنا نتحدث أن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر، فكان بلال بن عبد الله بن عمر بوجهه شامة. وكانوا يرون أنه هو حتى جاء الله بعمر بن عبد العزيز، وأخرج البيهقي وغيره من طرق عن أنس: ما صليت وراء إمام بعد رسول اللهﷺ خير من هذا الفتى، يعني عمر بن عبد العزيز وهو أمير على المدينة من جهة الوليد بن عبد الملك فإنه لما ولي الخلافة بعهد أبيه إليه بها أمر عمر عليها من سنة ست وثمانين إلى سنة ثلاث وتسعين، وأخرج ابن عساكر عن ابراهيم بن أبي عيلة قال: دخلنا على عمر بن عبد العزيز يوم العيد والناس يسلمون عليه ويقولون: تقبل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين فيرد عليهم ولا ينكر عليهم، قال بعض الحفاظ الفقهاء من المتأخرين. وهذا أصل حسن للتهنئة بالعيد والعام والشهر انتهى. وهو كما قال، فإن عمر بن عبد العزيز كان من أوعية العلم والدين، وأئمة الهدى والحق، كما يعلم ذلك من طالع مناقبه الجليلة ومآثره العلية

وأحواله السنية، وقد استوفى كثيراً منها أبو نعيم وابن عساكر وغيرهما. ولولا خوف الإطالة والانتشار لذكرت منها غرراً مستكثرة، لكن فيما أشرت إليه كفاية.

(ولنختم) هذا الكتاب بحكاية جليلة نفيسة فيها فوائد غريبة وهي: أن أبا نعيم أخرج بسند صحيح عن رباح بن عبيدة قال: خرج عمر بن عبد العزيز إلى الصلاة وشيخ يتوكأ على يده، فقلت في نفسي إن هذا الشيخ جاف، فلما صلى ودخل لحقته فقلت: أصلح الله الأمير مَن الشيخ الذي كان يتكئ على يدك؟ قال: يا رباح رأيته؟ قلت نعم، قال: ما أحسبك إلا رجلاً صالحاً، ذاك أخي الخضر أتاني فأعلمني أني سألي أمر هذه الأمة وأني أساعدك فيها، فرحمه الله ورضي عنه(١) وأنا أسأل الله المنان الوهاب

---

(١) ذكر النووي في تهذيب الأسماء أن أكثر العلماء على أن الخضر حي موجود بين أظهرنا وذلك متفق عليه عند الصوفية وأهل الصلاح وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به والأخذ عنه وسؤاله وجوابه ووجوده في المواضع الشريفة ومواطن الخير أكثر من أن تحصى وأشهر من أن تذكر وذكر ان ابن الصلاح أفتى بأنه حي عند جماهير العلماء والصالحين والعامة معهم وأن أبا اسحاق الثعلبي قال: الخضر على جميع الأقوال نبي معمر محجوب عن الأبصار ـ واجتماع الخضر بعمر بن عبد العزيز ذكره ابن حجر العسقلاني في الإصابة. وقال في الرواية التي أخرجها أبو نعيم في الحلية في ترجمة عمر بن عبد العزيز أنه أخرجها أيضاً أبو عروبة الحراني في تاريخه، ويعقوب بن سفيان بسند قال فيه ابن حجر هذا أصلح إسناد وقفت عليه في هذا الباب وذكر أن الحافظ العراقي رجع عن القول بعدم حياته وأنه أدرك من كان يجتمع به ومنهم علم الدين البساطي المالكي قاضي المالكية زمن الظاهر برقوق وللحافظ رسالة تسمى بالروض النضر بأنباء الخضر يميل فيها إلى القول بحياته.

أن يلحقني بعباده الصالحين، وأوليائه العارفين، وأحبابه المقربين، وأن يميتني على محبتهم، ويحشرني في زمرتهم، وأن يديم لي خدمة جناب آل محمد وصحبه، ويمن علي برضاه وحبه، ويجعلني من الهادين المهديين، أئمة أهل السنة والجماعة، العلماء والحكماء السادة القادة، العاملين إنه أكرم كريم، وأرحم رحيم، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، سراً وعلناً يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، حمداً طيباً كثيراً مباركاً فيه ملْء السموات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق من قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، والصلاة والسلام التامان الأكملان، على أشرف خلقك سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك ومداد كلماتك، كلما ذكرك وذكره الذاكرون وغفل عن ذكرك وذكره الغافلون.

(تتمة)

لما فرغت من هذا الكتاب أعني الصواعق المحرقة رأيت ـ بعد أربع عشرة سنة وقد كتبت منه من النسخ ما لا أحصي، ونقل إلى أقاصي البلدان والأقاليم كأقصى المغرب وما وراء النهر، سمرقند وبخارى وكشمير وغيرها والهند واليمن ـ كتاباً في مناقب أهل البيت، فيه زيادات على ما مر لبعض الحفاظ من معاصري مشايخنا وهو الحافظ السخاوي، وكان يمكن إلحاق زياداته لقلتها على حواشي النسخ لكن لتفرقها تعذر ذلك فأردت أن ألخص هذا الكتاب مع زيادات في ورقات إن أفردت فهي كافية في التنبيه على كثير من مآثرهم وإن ضمت لهذا الكتاب فهي مؤكدة تارة ومؤسسة أخرى (فأقول) إعلم أنه أشار في خطبة هذا الكتاب إلى بعض خط على ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى للإمام الحافظ المحب الطبري، بأن فيه كثيراً من الموضوع والمنكر فضلاً عن الضعيف ثم نقل عن شيخه الحافظ العسقلاني أنه قال في حق المحب الطبري. أنه كثير الوهم في عزوه للحديث مع كونه لم يكن في زمنه مثله، ثم ذكر مقدمة في بيان فروع بني هاشم وفروع بني المطلب ولا حاجة لنا بذلك لأنه معروف مشهور أكثره، ولأن الغرض إنما هو ذكر ما يختص بآل البيت المطهر وفيه أبواب:

باب
(وصية النبيﷺ بهم)

قالﷺ «ألا إن عيبتي التي آوي إليها أهل بيتي وإن كرشي الأنصار

فاعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم حديث حسن. وفي رواية: ألا إن عيبتي وكرشي أهل بيتي والأنصار فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم» أي أنهم جماعتي وأصحابي الذين أثق بهم وأطلعهم على أسراري وأعتمد عليهم، وكرشي باطني وعيبتي ظاهري وجمالي. وهذا غاية في التعطف عليهم والوصية بهم، ومعنى وتجاوزوا عن مسيئهم اقيلوهم عثراتهم فهو كحديث أقيلوا ذوي المرؤات وصح من طرق عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فسر قوله تعالى ﴿**لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾[1] بأن المراد منه أنه ما من بطن من قريش إلا والنبيﷺ إليها ولادة وقرابة قريبة أي إن لم تؤمنوا بما جئت به وتبايعوني عليه فلا أسألكم أن تحفظوا القرابة التي بيني وبينكم فلا تؤذوني ولا تنفروا الناس عني صلة للرحم التي بيني وبينكم، إذ أنتم في الجاهلية كنتم تصلون الأرحام ولا تدعوا غيركم من العرب يكون أولى منكم بحفظي ونصرتي، وتبعه على ذلك جماعة من تلامذته وغيرهم، ولكن خالفه أجلهم تلميذه الإمام سعيد بن جبير ففسر بحضرته الآية بأن المراد: قل لا أسألكم أيها الناس مالاً على ما بلغته إليكم وإنما الذي أسألكموه أن تصلوا قرابتي وتودوني فيهم، وكان ابن جبير مع ذلك يفسر الآية بالوجه الأول أيضاً أي وهو التحقيق لأنها صالحة لكل منهما، لكن يؤيد الأول أن السورة مكية وقد رد ابن عباس على ابن جبير تفسيره ولم يرجع إليه، وجاء من طريق ضعيفة أن ابن عباس فسرها بما فسر به ابن جبير ورفع

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.

ذلك إلى النبيﷺ فقال: قالوا يا رسول الله ـ عند نزول الآية ـ من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما» وفي طريق ضعيف أيضاً لكن لها شاهد مختصر صحيح أن سبب نزول الآية افتخار الأنصار بآثارهم الحميدة في الإسلام على قريش فأتاهمﷺ في مجالسهم فقال: «ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا: بلى يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك، أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول لهم حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ورسوله فنزلت الآية». وفي طريق ضعيفة أيضاً أن سبب نزولها أنهﷺ لما قدم المدينة كانت تنوبه نوائب وليس في يده شيء فجمع له الأنصار مالاً، فقالوا يا رسول الله إنك ابن أختنا وقد هدانا الله بك وتنوبك نوائب وحقوق وليس معك سعة فجمعنا لك من أموالنا ما تستعين به عليها فنزلت.

وكونه ابن أختهم جاء في الرواية الصحيحة لأن أم عبد المطلب من بني النجار منهم. وفي حديث سنده حسن «ألا إن لكل نبي تركة ووضيعة وإن تركتي ووضيعتي الأنصار فاحفظوني فيهم»، ويؤيد ما مر من تفسير ابن جبير أن الآية في الآل، ما جاء عن علي كرم الله وجهه قال: نزلت فينا في الرحم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ الآية، وجاء ذلك عن زين العابدين أيضاً فإنه لمّا قتل أبوه الحسين كرم الله وجهه جيء به أسيراً فأقيم على درج دمشق فقال رجل من أهل الشام: الحمد الله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرن الفتنة فقال له زين العابدين: أقرأت القرآن؟ قال نعم فبين له أن الآية فيهم وأنهم القربى فيها فقال: وإنكم لأنتم؟ قال:

نعم أخرجه الطبراني.

(وأخرج) الدولابي أن الحسن كرم الله وجهه قال في خطبته: أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال لنبيناﷺ ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً**﴾[1] واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت، وأورد المحب الطبري أنهﷺ قال: «إن الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي وإني سائلكم غداً عنهم»، وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدة أحاديث منها حديث: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»، قال الترمذي حسن غريب، وأخرجه آخرون ولم يصب ابن الجوزي في إيراده في العلل المتناهية، كيف. وفي صحيح مسلم وغيره في خطبته قرب رابغ مرجعه من حجة الوداع قبل وفاته بنحو شهر «إني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً»، فقيل لزيد بن أرقم راويه، من أهل بيته أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قيل ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس رضي الله عنهم، قيل كل هؤلاء حرم الصدقة، قال نعم. وفي رواية صحيحة «كأني قد دعيت فأجبت إني قد

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.

تركت فيكم الثقلين أحدهما آكد من الآخر: كتاب الله عز وجل وعترتي».
أي بالمثناة ـ فانظروا كيف تخلفوني فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، وفي رواية «وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»، ولهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع وعشرين صحابياً لا حاجة لنا ببسطها، وفي رواية أخرى ما تكلم به النبيﷺ أخلفوني في أهلي، وسماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما إذ يقال لكل خطير شريف ثقلاً ـ أو لأن العمل بما أوجب الله من حقوقهما ثقيل جداً.
ومنه قوله تعالى: ﴿**إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً**﴾[1] أي له وزن وقدر لأنه لن يؤدى إلا بتكليف ما يثقل. وعن الإنس والجن ثقلين لاختصاصهما بكونهما قطبي الأرض وبكونهما فضلاً بالتمييز على سائر الحيوان، وفي هذه الأحاديث سيما قولهﷺ انظروا كيف تخلفوني فيهما وأوصيكم بعترتي خيراً وأذكركم الله في أهل بيتي الحث الأكيد على مودتهم ومزيد الإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم وتأدية حقوقهم الواجبة والمندوبة، كيف وهم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل بيته وعقيل وبنيه وبني جعفر، وفي قولهﷺ «لا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» دليل على أن من تأهل منهم للمراتب العلية، والوظائف الدينية، كان مقدماً على

---

(١) سورة المزمل، الآية ٥.

غيره ويدل له التصريح بذلك في كل قريش كما مر في الأحاديث الواردة فيهم، وإذا ثبت هذه لجملة قريش فأهل البيت النبوي الذين هم غرة فضلهم ومحتد فخرهم والسبب في تميزهم على غيرهم بذلك أحرى وأحق وأولى وسبق عن زيد بن أرقم أن نساءهﷺ من أهل بيته ثم قال ولكن أهل بيته إلى آخره. ويؤخذ منه أنهم من أهل بيته بالمعنى الأعم دون الأخص وهو من حرمت عليه الصدقة، ويؤيد ذلك خبر مسلم أنهﷺ «خرج ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم الحسين فأدخله ثم فاطمة فأدخلها ثم علي فأدخله رضي الله عنهم ثم قال: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[1] وفي رواية: اللهم هؤلاء أهل بيتي وفي أخرى أن أم سلمة أرادت أن تدخل معهم فقالﷺ بعد منعه لها أنت على خير، وفي أخرى قالت يا رسول الله وأنا؟ فقال: وأنت من أهل البيت العام بدليل الرواية الأخرى قالت وأنا؟ قال وأنت من أهلي وكذا قالﷺ لواثلة لما قال يا رسول الله وأنا؟ فقال أنت من أهلي وروي أنهﷺ قال لعلي: «سلمان منا آل البيت» وهو ما صح فاتخذه لنفسك فعده منهم باعتبار صدق صحبته وعظيم قربه وولائه. وفي سند كل ما عدا رواية مسلم فقال، وفي رواية أسامة منا آل البيت ظهر البطن وروى أحمد عن أبي سعيد الخدري أن الذين نزلت فيهم الآية النبيﷺ وعلي وفاطمة وابناهما رضي الله عنهم وكذا اشتملﷺ بملاءة على عمه العباس وبنيه رضي الله عنهم وقال يا رب

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٣.

هذا عمي وصنو أبي وهؤلاء أهل بيتي فاسترهم من النار كستري إياهم بملاءتي هذه فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين، آمين وحديث مسلم أصح من هذا، وأهل البيت فيه غير أهله في حديث العباس وبنيه المذكور لما مر أن له إطلاقين إطلاقاً بالمعنى الأعم وهو ما يشمل جميع الآل تارة والزوجات أخرى، ومن صدق في ولائه ومحبته أخرى وإطلاقاً بالمعنى الأخص وهم من ذكروا في خبر مسلم وقد صرح الحسن رضي الله عنه بذلك فإنه حين استخلف وثب عليه رجل من بني أسد فطعنه وهو ساجد بخنجر لم يبلغ منه مبلغاً ولذا عاش بعده عشر سنين فقال: «يا أهل العراق اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وضيفانكم ونحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل فيهم ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ قالوا: ولأنتم هم؟ قال نعم»، وقول زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة هو بضم المهملة وتخفيف الراء والمراد بالصدقة فيه الزكاة وفسرهم الشافعي وغيره ببني هاشم والمطلب وعوضوا عنها خمس الخمس من الفيء والغنيمة المذكور في سورتي الأنفال والحشر إذ هم المراد بذي القربى فيها، قال البيهقي وفي تخصيصهﷺ بني هاشم والمطلب بإعطائهم منهم ذوي القربى وقولهﷺ إنما بنو هاشم والمطلب شيء واحد، فضيلة أخرى، وهي أنه حرم عليهم الصدقة وعوضهم عنها خمس الخمس فقال إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد قال وذلك يدل أيضاً على أن آله الذين أمرنا بالصلاة عليهم معه هم الذين حرم الله عليهم الصدقة وعوضهم عنها خمس الخمس فالمسلمون من بني هاشم والمطلب يكونون داخلين في صلاتنا

على آل نبيناﷺ في فرائضنا ونوافلنا وفيمن أمرنا بحبهم انتهى. وقصر مالك وابو حنيفة رضي الله عنهما تحريم الزكاة على بني هاشم وعن أبي حنيفة جوازها لهم مطلقاً وقال الطحاوي إن حرموا فهم ذوو القربى وأبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ومذهب أكثر الحنفية والشافعي وأحمد حل أخذهم النفل. وهو رواية عن مالك وعنه حل أخذ الفرض دون التطوع لأن الذي فيه أكثر وأسند المحب الطبري خبر «استوصوا بأهل بيتي خيراً فإني أخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار». قال الحافظ السخاوي لم أقف له على أصل اعتمده، وصح عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال ارقبوا محمداً ـ أي احفظوا عهده ووده ﷺ ـ في أهل بيته.

باب

(الحث على حبهم والقيام بواجب حقهم)

صح خلافاً لما وهم فيه ابن الجوزي أنهﷺ قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي لحبي»[1].

(وأخرج) البيهقي وغيره «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته»، وصح أن العباس قال: يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشر حسن وإذا لقونا بوجوه لا نعرفها فغضبﷺ غضباً شديداً

(١) الحديث رواه الترمذي وقال حسن غريب والحاكم أيضاً وقد سبق القول فيه.

وقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله»، وفي رواية لابن ماجه عن ابن عباس كنا نلقى قريشاً وهم يتحدثون فيقطعون حديثهم فذكرنا ذلك لرسول اللهﷺ فقال: «ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجال من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لله ولقرابتهم مني، وفي أخرى عند أحمد وغيره حتى يحبهم لله ولقرابتي. وفي أخرى للطبراني جاء العباس رضي الله عنه إلى النبيﷺ فقال: «إنك تركت فينا ضغائن منذ صنعت الذي صنعت ـ أي بقريش والعرب ـ فقالﷺ لا يبلغ الخير ـ أو قال الإيمان ـ عبد حتى يحبكم لله ولقرابتي أترجو سهلب ـ أي حي من مراد ـ شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب»، وفي أخرى للطبراني أيضاً: «يا بني هاشم إني قد سألت الله عز وجل لكم أن يجعلكم نجباء رحماء، وسألته أن يهدي ضالكم ويؤمن خائفكم ويشبع جائعكم» وإن العباس رضي الله عنه أتى النبيﷺ فقال: يا رسول الله إني انتهيت إلى قوم يتحدثون فلما رأوني سكتوا وما ذاك إلا أنهم يبغضونا، فقالﷺ: «أوقد فعلوها والذي نفسي بيده لا يؤمن أحد حتى يحبكم لحبي أيرجون أن يدخلوا الجنّة بشفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب! وفي حديث بسند ضعيف أنهﷺ خرج مغضباً فرقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال رجال يؤذونني في أهل بيتي والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي». وفي رواية للبيهقي وغيره بعضها سنده ضعيف وبعضها سنده واه أن نسوة عيرن بنت أبي لهب بأبيها فغضبﷺ واشتد غضبه فصعد المنبر ثم قال: «أيّها الناس ما لي أوذى في أهلي فوالله إن شفاعتي

لتنال قرابتي»، وفي رواية «ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى»، وروى الطبراني أن أم هانىء أخت علي رضي الله عنهما بدا قرطاها فقال لها عمر إن محمداً لا يغني عنك من الله شيئاً، فجاءت إليه فأخبرته فقالﷺ «تزعمون أن شفاعتي لا تنال أهل بيتي وإن شفاعتي تنال صداء وحكما ـ وهما قبيلتان من عرب اليمن» ـ وروى البزار أن صفية عمة رسول اللهﷺ توفي لها ابن فصاحت فصبرها النبيﷺ فخرجت ساكتة فقال لها عمر: صراخك إن قرابتك من محمدﷺ لا تغني عنك من الله شيئاً فبكت فسمعها النبيﷺ وكان يكرمها ويحبها فسألها فأخبرته بما قال عمر فأمر بلالاً فنادى الصلاة فصعد المنبر ثم قال: «ما بال أقوام يزعمون أن قرابتي لا تنفع، كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وسببي فإنها موصولة في الدنيا والآخرة» الحديث بطوله وفيه ضعفاء، وصح أنهﷺ قال على المنبر: «ما بال رجال يقولون إن رحم رسول اللهﷺ لا تنفع قومه يوم القيامة والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة وإني أيها الناس فرطكم على الحوض». ولا ينافي هذه الأحاديث ما في الصحيحين وغيرهما أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك**﴾[1] خرج فجمع قومه ثم عم وخص بقوله: «لا أغني عنكم من الله شيئاً» حتى قال يا فاطمة بنت محمد، إما لأن هذه الرواية محمولة على من مات كافراً أو أنها خرجت مخرج التغليظ والتنفير أو أنها قبل علمه بأنه يشفع عموماً وخصوصاً.

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

وجاء عن الحسن رضي الله عنه أنه قال لرجل يغلو فيهم: «ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا وإن عصينا فأبغضونا. فقال الرجل إنكم ذوو قرابة رسول اللهﷺ وأهل بيته. فقال: ويحكم لو كان نافعنا بقرابة رسول اللهﷺ من غير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا وإني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين، وورد إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار».

(وأخرج) أبو الفرج الأصبهاني إن عبد الله بن الحسن بن علي رضي الله عنهم دخل يوماً على عمر بن عبد العزيز وهو حدث السن، وله وفرة فرفع عمر مجلسه واقبل عليه وقضى حوائجه، ثم أخذ بعكنة من عكنه فغمزها حتى أوجعه، وقال اذكرها عندك للشفاعة فلما خرج ليم على ما فعل به فقال: حدثني الثقة حتى كأني أسمعه من رسول اللهﷺ «إنما فاطمة بضعة مني يسرني ما يسرها» وأنا أعلم أن فاطمة لو كانت حية لسرها ما فعلت بابنها قالوا فما غمزك بطنه وقولك ما قلت فقال إنه ليس أحد من بني هاشم إلا وله شفاعة، ورجوت أن أكون في شفاعة هذا، وروى الطبراني بسند ضعيف انهﷺ قال: «إلزموا مودتنا أهل البيت فإنه من لقي الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا والذي نفسي بيده لا ينفع أحداً عمله إلا بمعرفة حقنا.

(وأخرج) الطبراني أنهﷺ قال لعلي كرم الله وجهه: «أنت وشيعتك ـ أي أهل بيتك ومحبوك الذين لم يبتدعوا بسبب أصحابي ولا بغير ذلك ـ تردون علي الحوض رواء مرويين مبيضة وجوهكم وأن عدوكم يردون علي ظماء مقمحين». وفي رواية «إن الله قد غفر لشيعتك ولمحبي

شيعتك». وروى الترمذي أنهﷺ قال: «اللهم اغفر للعباس ولولده مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنباً، اللهم اخلفه في ولده. وكذا دعاﷺ بالمغفرة للأنصار ولأبنائهم وأبناء أبنائهم ولمن أحبهم، وروى المحب الطبري حديث «لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي». (وأخرج) الديلمي «من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي، وحديث أحبوا أهلي وأحبوا علياً فإن من أبغض أحداً من أهلي فقد حرم شفاعتي». قال ابن عدي وابن الجوزي موضوع وحديث «حب آل محمد يوماً خير من عبادة سنة. وحديث حبي وحب آل بيتي نافع في سبع مواطن أهوالها عظيمة وحديث معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب»، قال الحافظ السخاوي وأحسب الثلاثة غير صحيحة الإسناد وحديث «أنا شجرة وفاطمة حملها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرها والمحبون أهل بيتي ورقها في الجنة حقاً حقاً، وحديث إن أهل شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب والذنوب وجوههم كالقمر ليلة البدر» موضوعات، وحديث «من مات على حب آل محمد مات شهيداً مغفوراً له تائباً مؤمناً مستكمل الإيمان يبشره ملك الموت بالجنة ومنكر ونكير يزفانه إلى الجنة كما تزف العروس على بيت زوجها وفتح له بابان إلى الجنة ومات على السنة والجماعة، ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله» أخرجه مبسوطاً الثعلبي في تفسيره، قال الحافظ السخاوي وآثار الوضع كما قال شيخنا ـ أي الحافظ ابن حجر ـ

لائحة عليه، وحديث «من أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه كنت أنا وهو في عليين ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وكف يده فهو في الدرجة التي تليها/ ومن أحبنا بقلبه وكف عنا لسانه ويده فهو في الدرجة التي تليها»، في سنده غال في الرفض وهالك كذاب.

(وأخرج) الطبراني وأبو الشيخ حديث: «إن لله عز وجل ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دينه ولا دنياه، قلت وما هن؟ قال: حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي». وأخرج أبو الشيخ أيضاً والديلمي «من لم يعرف حق عترتي والأنصار والعرب فهو لإحدى ثلاث، إما منافق وإما لزنية وإما حملت به أمه في غير طهر»[1].

باب

(مشروعية الصلاة عليهم تبعاً للصلاة على مشرفهم ﷺ)

صح يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» الحديث. وفي بقية الروايات كيف نصلي عليك يا رسول الله؟ قال: «قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» الحديث، ويستفاد من الرواية الأولى أن أهل البيت من جملة الآل أو هم الآل لكن صح ما

---

(١) الحديث أخرجه البارودي وابن عدي والبيهقي كما في راموز الأحاديث وفيه الزنية بالتعريف وهي اسم الزنا.

يصرح بأنهم بنو هاشم والمطلب، وهم أعم من أهل البيت ومر أن أهل البيت قد يراد بهم الآل وأعم منهم. ومنه حديث أبي داود: ومن سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: «اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد»، وجاء بسند ضعيف عن واثلة قال: قال رسول الله ﷺ لما جمع فاطمة وعلياً والحسن والحسين تحت ثوبه قال: «اللهم قد جعلت صلاتك ومغفرتك ورحمتك ورضوانك على إبراهيم وآل ابراهيم إنّهم مني وأنا منهم فاجعل صلاتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم، وقال واثلة وكنت واقفاً على الباب فقلت وعلي بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال: اللهم وعلى واثلة».

(وأخرج) الدارقطني والبيهقي حديث «من صلى صلاة ولم يصل فيها علي وعلى أهل بيتي لم تقبل منه»، وكأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رضي الله عنه أن الصلاة على الآل من واجبات الصلاة كالصلاة عليه ﷺ لكنه ضعيف، فمستنده الأمر في الحديث المتفق عليه قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»، والأمر للوجوب حقيقة على الأصح، وبقي لهذه الأحاديث تتمات وطرق بينتها في كتابي الدر المنضود[1].

(١) في القول البديع للسخاوي مذاهب العلماء في حكم الصلاة على غير الأنبياء وهي المنع مطلقاً بالاستقلال أو بالتبع وهو عن مالك واختيار القرطبي وأبي المعالي من الحنابلة والجواز تبعاً فقط عن أبي حنيفة ومع الكراهة عن أحمد والجواز مطلقاً

باب

(دعاؤهﷺ بالبركة في هذا النسل المكرم)

روي النسائي في عمل اليوم والليلة أن نفراً من الأنصار قالوا لعلي رضي الله عنه: لو كانت عندك فاطمة؟ فدخل رضي الله عنه على النبيﷺ يعني ليخطبها فسلم عليه فقال: ما حاجتك يا ابن أبي طالب؟ قال: ذكرت فاطمة بنت رسول اللهﷺ قال: مرحباً وأهلاً لم يزده عليها فخرج إلى الرهط من الأنصار وهم ينتظرونه فقالوا: ما وراءك؟ قال: ما أدري غير أنه قال لي مرحباً وأهلاً، قالوا: يكفيك من رسول اللهﷺ أحدهما قد أعطاك الأهل وأعطاك الرحب، فلما كان بعد ذلك بعدما زوجه قال: يا علي لا بد للعرس من وليمة قال سعد رضي الله عنه: عندي كبش وجمع له رهط من الأنصار أصوعاً من ذرة، قال فلما كان ليلة البناء قال لا تحدث شيئاً حتى تلقاني فدعاﷺ بماء فتوضأ منه ثم أفرغه على علي وفاطمة رضي الله عنهما وقال: «اللهم بارك فيهما وبارك عليهما وبارك لهما في نسلهما» ورواه آخرون مع حذف بعضه.

باب

(بشارتهم بالجنة)

مر في الباب الثاني عدة أحاديث في أن لهم منهﷺ شفاعة مخصوصة

وهو صنيع البخاري وذكر تفصيل ابن القيم وهو جواز ذلك مطلقاً على آل الرسول وأزواجه وذريته وعلى الملائكة وأهل الطاعة عموماً والكراهة على غير هؤلاء على التعيين والحرمة إذا جعل شعاراً له كما تفعل الرافضة لعلي رضي الله عنه.

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار»، أخرجه تمام في فوائده والبزار والطبراني بلفظ فحرمها الله وذريتها على النار، وجاء عن علي بسند ضعيف قال شكوت إلى رسول الله ﷺ حسداً في الناس فقال: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة؟ أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا». وفي رواية سندها ضعيف جداً أنه ﷺ قال لعلي: «إن أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وذرارينا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذرارينا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا». وروى ابن السدي والديلمي في مسنده: «نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر ابنا أبي طالب والحسن والحسين والمهدي»[1]. وصح أنه ﷺ قال: «وعدني ربي في بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أن لا يعذبهم». وجاء بسند رواته ثقات أنه ﷺ قال لفاطمة: «إن الله غير معذبك ولا ولدك»[2]. وفي رواية أنه ﷺ قال للعباس: «يا عباس إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك». وفي رواية «يا عم سترك الله وذريتك من النار». وروى المحب الطبري والديلمي وولده بلا إسناد حديث «سألت ربي أن لا يدخل النار أحداً من أهل بيتي فأعطاني ذلك». وروى المحب عن علي قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم إنهم عترة رسولك فهب مسيئهم لمحسنهم وهبهم لي ففعل، قلت ما

---

(١) الحديث في الجامع الصغير من رواية ابن ماجه والحاكم.

(٢) الحديث أخرجه الطبراني وقال في مجمع الزوائد رجاله ثقات وتقدم القول في معناه.

فعل؟ قال فعله ربكم بكم ويفعله بمن بعدكم»، وفي حديث قال السخاوي، لا يصح «يا علي إن الله قد غفر لك ولذريتك ولولدك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك فأبشر فإنك الأنزع البطين»، وروى أحمد أنه ﷺ قال: يا معشر بني هاشم والذي بعثني الحق نبياً لو أخذت بحلقة الجنة ما بدأت إلا بكم. وفي حديث سنده ضعيف «أول من يرد علي حوضي أهل بيتي ومن أحبني من أمتي»، وصح أول الناس يرد علي الحوض فقراء المهاجرين الشعث.

(وأخرج) الطبراني والدارقطني وغيرهما: أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي الأقرب فالأقرب ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني ثم اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم. وفي رواية للبزار والطبراني وابن شاهين وغيرهم: أول من أشفع له من أمتي أهل المدينة ثم أهل مكة ثم أهل الطائف.

باب
(الأمان ببقائهم)

(أخرج) جماعة بسند ضعيف خبر: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي». وفي رواية لأحمد وغيره «النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض» وصح: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف» ـ أي المؤدي لاستئصال الأمة ـ فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس. وجاء من طرق

كثيرة يقوي بعضها بعضاً «مثل أهل بيتي فيكم - مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». وفي رواية «من ركبها سلم ومن تركها غرق، وأن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له». وجاء عن الحسين كرم الله وجهه: «من أطاع الله من ولدي واتبع كتاب الله وجبت طاعته وعن ولده زين العابدين رضي الله عنهما إنما شيعتنا من أطاع الله وعمل مثل أعمالنا». وعن المحب الطبري لأبي سعيد في شرف النبوة بلا إسناد حديث «أنا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا. فمن تمسك بها اتخذ إلى ربه سبيلاً». وأورد أيضاً بلا إسناد حديث «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» الحديث. وأشهر منه الحديث المشهور: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه إلى آخره»، وهذا هو مستند ابن عبد البر وغيره أن كل من حمل العلم ولم يتكلم فيه بجرح فهو عدل.

باب
(خصوصياتهم الدالة على عظيم كراماتهم)

جاء من طرق بعضها رجاله موثقون أنهﷺ قال: «كل سبب ونسب منقطع وفي رواية ينقطع يوم القيامة إلا - وفي رواية - سببي ونسبي يوم القيامة، وكل ولد أم - وفي رواية وكل ولد أب - فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم»، وهذا الحديث رواه عمر رضي الله عنه لعلي رضي الله عنهما لما خطب منه بنته أم كلثوم فاعتل بصغرها

فقال: إني لم أرد الباءة ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره ثم قال: فأحببت أن يكون لي من رسول الله ﷺ سبب ونسب، ولما تزوجها قال للناس ألا تهنوني؟ سمعت رسول الله ﷺ فذكر الحديث. وفي رواية كل سبب وصهر منقطع إلا سببي وصهري، وفي رواية في سندها ضعف لكل بني أم عصبة ينتمون إليه إلا ولد فاطمة فأنا وليهم وعصبتهم. وفي رواية فأنا أبوهم وأنا عصبتهم، وجاء من طرق يقوي بعضها بعضاً خلافاً لما زعمه ابن الجوزي «أن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه وأن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب». وفي هذه الأحاديث دليل ظاهر لما قاله جمع من محققي أئمتنا أن من خصائصه ﷺ أن أولاد بناته ينسبون إليه في الكفاءة وغيرها أي حتى لا يكافئ بنت شريف ابن هاشمي غير شريف وأولاد بنات غيره إنما ينسبون لآبائهم لا إلى آباء أمهاتهم وفي البخاري أنه ﷺ قال على المنبر وهو ينظر للناس مرة وللحسن مرة: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين؟» قال البيهقي وقد سماه النبي ﷺ ابنه حين ولد وسمى إخوته بذلك، وعن الحسن بسند حسن: «كنت مع النبي ﷺ فمر على جرين من تمر الصدقة فأخذت منه تمرة فألقيتها في فيّ فأخذها بلعابها ثم قال: إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة».

(وأخرج) أبو داود والنسائي وابن ماجه وآخرون خبر المهدي من عترتي من ولد فاطمة وفي أخرى لأحمد وغيره: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة»، وفي أخرى للطبراني «المهدي منا يختم الدين بنا كما فتح». وروى أبو داود في سننه عن علي كرم الله وجهه أنه نظر إلى

ابنه الحسن رضي الله عنه فقال: «إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ويشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً، وفي رواية أن عيسى ﷺ يصلي خلفه»، وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: منا أهل البيت أربعة منا السفاح ومنا المنذر ومنا المنصور ومنا المهدي، ثم ذكر بعض وصف كل من الثلاثة الأول ثم قال: وأما المهدي فإنه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وتأمن البهائم والسباع وتلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب والفضة. وهذا كحديث المهدي من ولد العباس عمي[1]، وكحديث هذا ـ أي العباس عمي ـ أبو الخلفاء وإن من ولده السفاح والمنصور والمهدي، يا عم بي فتح الله هذا الأمر ويختمه برجل من ولدك، سند كل منهما ضعيف، وعلى تقدير صحتهما لا ينافي كون المهدي من ولد فاطمة المذكور في الأحاديث التي هي أصح وأكثر، لأنه مع ذلك فيه شعبة من بني العباس كما أن فيه شعبة من بني الحسين، وأما حقيقة فهو من ولد الحسن كما مر عن علي كرم الله وجهه.

(وأخرج) ابن المبارك عن ابن عباس أنه قال: المهدي اسمه محمد بن عبد الله ربعة مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الأمة كل كرب ويصرف بعدله كل جور، ثم يلي الأمر من بعده اثنا عشر رجلاً، ستة من

---

(١) هذا الحديث موضوع، ومن أكاذيب بني العباس يريدون أن يضاهئوا آل علي وفاطمة في أن المهدي عليه السلام من ذرية الحسين عليه السلام كما في الصحيح من الحديث. (المحقق).

ولد الحسن وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثم يموت فيفسد الزمان، وحديث لا مهدي إلا عيسى بن مريم[1] معلول، أو المراد لا مهدي كامل على الاطلاق إلا عيسى، وجاء في رواية أشبه الخلق بهﷺ من أهل بيته ولده إبراهيم ، وفي أخرى فاطمة ـ في الحديث والكلام والمشية وفي أخرى صحيحة الحسن أي في الوجه والنصف الأعلى وفي أخرى الحسين أي فيما بقي، وعد المهدي ممن أشبهوهﷺ وهم كثيرون أقواهم شبهاً جماعة من أهل البيت المطهر غلط قائله بما مر أنه يشبهه خلقاً لا خلقاً. (وأخرج) الطبراني والخطيب حديث: يقوم الرجل لأخيه عن مقعده إلا بني هاشم فإنهم لا يقومون لأحد وجاء عن ابن عباس بسند ضعيف أنه قال: «نحن أهل البيت شجرة النبوة، ومختلف الملائكة وأهل بيت الرسالة، وأهل بيت الرحمة ومعدن العلم»، وعن علي بسند ضعيف أيضاً قال: «نحن النجباء وأفراطنا الأنبياء وحزبنا حزب الله عز وجل، والفئة الباغية حزب الشيطان، ومن سوى بيننا وبين عدونا فليس منا».

باب
(إكرام الصحابة ومن بعدهم لأهل البيت)

صح عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لعلي كرم الله وجهه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول اللهﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي، وحلف عمر

---

(١) هذا الحديث ضعيف السند والمتن ويكذبه العشرات من الأحاديث الصحيحة عند الفريقين والقائلة بأن عيسى بن مريم عليه السلام يصلي خلف المهدي من آل محمدﷺ. (المحقق).

للعباس رضي الله عنهما أن إسلامه أحب إليه من إسلام أبيه لو أسلم لأن إسلام العباس أحب إلى رسول اللهﷺ وأتى زين العابدين ابن عباس فقال له مرحباً بالحبيب ابن الحبيب، وصلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة فقربت له بغلة ليركبها فأخذ ابن عباس رضي الله عنهما بركابه فقال له خل عنك يا بن عم رسول الله، فقال هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل البيت! بيت نبينا وأتى عبد الله بن حسن بن حسين عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال له إذا كانت لك حاجة فأرسل أو اكتب بها إليّ فإني أستحي من الله أن يراك على بابي، وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم في حاجة لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول اللهﷺ ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي أن أقدمهما عليه، وكان ابن عباس إذا بلغه حديث عن صحابي ذهب إليه فإذا رآه قائلاً توسد رداءه على بابه، فتسفي الريح التراب على وجهه حتى يخرج فيقول ألا أرسلت إلي فآتيك، فيقول له ابن عباس أنا أحق أن آتيك.

ودخلت فاطمة بنت علي على عمر بن العبد العزيز وهو أمير المدينة فبالغ في إكرامها وقال والله ما على ظهر الأرض أهل بيت أحب إلي منكم وأنتم أحب إلي من أهلي. وعوتب أحمد في تقريبه لشيعي فقال سبحان الله رجل أحب قوماً من أهل بيت النبيﷺ وهو ثقة، وكان إذا جاءه شريف بل قرشي قدمه وخرج وراءه. وضرب جعفر بن سليمان والي المدينة مالكاً حتى حمل مغشياً عليه فدخل عليه فأفاق فقال: أشهدكم أني قد جعلت ضاربي في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن

أموت فألقى النبيﷺ فأستحي منه أن يدخل بعض آله النّار بسببي. (ولما) دخل المنصور المدينة مكن مالكاً من القود من ضاربه فقال أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله.

وقال رجل للباقر وهو بفناء الكعبة: هل رأيت الله حيث عبدته؟ فقال: ما كنت أعبد شيئاً لم أره، قال وكيف رأيته؟ قال: لم تره الأبصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. وزاد على ذلك ما أبهر السامعين، فقال الرجل ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾[1] وقارف الزهري ذنباً فهام على وجهه فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك فقال الزهري ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ فرجع إلى أهله وماله وكان هشام بن اسمعيل يؤذي زين العابدين وأهل بيته وينال من علي، فعزله الوليد وأوقفه للناس وكان أخوف ما عليه أهل البيت، فمر عليهم فلم يتعرض له أحد منهم فنادى ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾.

باب
(مكافأتهﷺ لمن أحسن إليهم)

(أخرج) الطبراني حديث «من صنع إلى أحد من ولد عبد المطلب يداً فلم يكافئه بها في الدُّنيا فعليَّ مكافأته غداً إذا لقيني، وجاء بسند

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

ضعيف أربعة أنا لهم مشفع يوم القيامة: المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في أمورهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه، وفي رواية في سندها كذاب من اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها إذا لقيني يوم القيامة وحرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي».

باب
(إشارته ﷺ بما حصل لهم من الشدة بعده)

قال ﷺ «إن أهل بيتي سيلقون بعدي من أمتي قتلاً وتشريداً وإن أشد قومنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم» وصححه الحاكم واعترض بأن فيه من ضعفه الجمهور. (وأخرج) ابن ماجه أنه رأى فتية من بني هاشم فاغرورقت عيناه فسئل فقال «إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريداً وتطريداً» الحديث. (وأخرج) ابن عساكر أول الناس هلاكاً قريش وأول قريش هلاكاً أهل بيتي. وفي رواية فما بقاء الناس بعدهم قال بقاء الحمار إذا كسر صلبه.

باب
(التحذير من بغضهم وسبهم)

مر خبر: «من أبغض أحداً من أهل بيتي حرم شفاعتي»، وحديث «لا يبغضنا إلا منافق شقي»، وحديث «من مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»؛ وقال الحسن من عادانا فلرسول الله ﷺ عادى، وصح أنه ﷺ قال «والذي نفسي بيده لا يبغضنا

أهل البيت أحد إلا أدخله الله النار». وروى أحمد وغيره من أبغض أهل البيت فهو منافق؛ وفي رواية بغض بني هاشم نفاق وجاء عن الحسن بسند ضعيف إياك وبغضنا فإن رسول الله قال: «لا يبغضنا ولا يحسدنا أحد إلا ذيد عن الحوض يوم القيامة بسياط من النار»، وفي رواية «من أبغضنا أهل البيت حشره الله يهودياً وإن شهد أن لا إله الله ولكن سندها مظلم ومن ثم حكم ابن الجوزي كالعقيلي بوضعها. وصح أنهﷺ قال يا بني عبد المطلب إني سألت الله لكم ثلاثاً أن يثبت قائمكم وأن يهدي ضالكم وأن يعلم جاهلكم وسألت الله أن يجعلكم كرماء نجباء رحماء فلو أن رجلاً صفن ـ أي من الصفن وهو صف القدمين ـ بين الركن والمقام فصلّى وصام ثم لقي الله وهو يبغض آل بيت محمدﷺ دخل النار، وورد من سب أهل بيتي فإنما يرتد عن الله والإسلام، ومن آذاني في عترتي فعليه لعنة الله ومن آذاني في عترتي فقد آذى الله. إن الله حرم الجنة على من ظلم أهل بيتي أو قاتلهم أو أعلن عليهم أو سبهم، يا أيها الناس إن قريشاً أهل الأنة فمن بغاهم العواثر أكبَّهُ الله عز وجل لمنخريه مرتين، من يرد هوان قريش أهانه الله، خمسة أو ستة لعنتهم وكل نبي مجاب، الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر الله والمستحل محارم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك للسنة».

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

حرف الألف

- الإمام الصادق عليه السلام والمذاهب الأربعة
أسد حيدر - جزء٤ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٩٦٩م
- الأئمة الإثنا عشر
جعفر السبحاني - البحوث الإسلامية - قم - إيران ١٤١٣هـ
- الأئمة الاثنا عشر
محمد بن طولون (ت ٩٥٣هـ) دار صادر - بيروت - لبنان ١٣٧٧هـ
- إثبات الوصيّة
علي بن الحسين علي المسعودي الهذلي (ت ٣٤٥هـ) المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - لا.ت.
- أحكام القرآن
أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٦٣١هـ) مطبعة محمد علي صبيح - مصر.
- إرشاد القلوب
محمد الحسن الديلمي - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

- الإرشاد.
محمد بن النعمان العكبري المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ) المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٨١هـ
- أسباب النزول.
علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت ٤٦٧هـ) مطبعة هندية غيط النوبي - مصر ١٣١٥هـ
- أسد الغابة في معرفة الصحابة
يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ط أولى - مطبعة السعادة - مصر ١٣٢٨هـ
- الإصابة في تمييز الصحابة
أحمد بن علي الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر (ت ٨٥٢هـ) مطبعة السعادة - مصر ١٣٢٨هـ
- أضواء على السنة المحمدية
محمود أبو ريّة - مطبعة دار التأليف، مصر - الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ
- الأغاني.
أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) تصحيح أحمد الشنقيطي - مطبعة التقدم - مصر - لا.ت.
- الإمام علي من المهد إلى اللحد
محمد كاظم قزويني - مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٧م
- الأمالي
أبو إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي (ت ٣٥٦هـ) مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الثانية ١٣٧٣هـ

- الأمالي
الشريف علي بن الحسين المعروف بالسيد المرتضى (ت ٤٣٠هـ) مطبعة السعادة - مصر، الطبعة الأولى ١٩٠٧م
- الإمام علي بن أبي طالب
عبد الفتاح عبد المقصود - مطبعة دار الكتب - مصر ١٩٤٧م
- أنساب الأشراف
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٨٩هـ) تحقيق المحمودي - مؤسسة الأعلمي - جزء٢ - ط١ - ١٣٩٤هـ
- الآداب المعنوية للصلاة
روح الله الخميني - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م
- أئمة الفقه التسعة
الشرقاوي - دار الشروق - بيروت - لبنان، لا.ت.
- الإحتجاج
الطبرسي - جزء٢ - دار النعمان - النجف الأشرف - العراق ١٣٨٦هـ
- الإمام علي وملاحم نهج البلاغة
علي عزيز الابراهيم - الدار الإسلامية - بيروت - لبنان ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م
- أئمتنا
علي محمد دخيل - ج أول - دار التعارف للمطبوعات - بيروت - لبنان ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
- أعيان الشيعة
محسن الأمين العاملي - جزء أول - دار التعارف - بيروت - لبنان ١٤١٨هـ - ١٩٧٩م

- أصل الشيعة وأصولها

محمد الحسين آل كاشف الغطاء - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنـان - ط٤ - ١٤٠٢هـ

حرف الباء

- بحار الأنوار

الجزء العاشر - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

- بغية الوعاة

محمد بن عثمان الذهبي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٩٧٤م

- البداية والنهاية

اسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ) مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الأولى ١٣٥١هـ

- بشارة المصطفى لشيعة المرتضى

أبو جعفر محمد بن محمد بن علي الطبري - المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - ط٢ - ١٣٨٣هـ

- البيان في تفسير القرآن

أبو القاسم الموسوي الخوئي - المطبعة العلمية - النجف الأشرف - لا.ت.

- البيان والتبيين

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق السندوسي - ط٢ - المطبعة الرحمانية - مصر ١٣٥١هـ

حرف التاء

- تاريخ ابن عساكر

أبو القاسم علي بن الحسين بن عساكر الشافعي (ت ٥١٧هـ) ج٢ - ترجمة علي بن أبي طالب - دمشق ١٣٣٠هـ

- التشيع
عبد الله الغريفي - دار القلم - بيروت - لبنان - ط أولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

- التشيع في طرابلس وبلاد الشام
علي الابراهيم الطرابلسي - دار الساقي - بيروت - لبنان ٢٠٠٧م

- التشيع، معالمه
هاشم الموسوي - الغدير للدراسات والنشر - بيروت - لبنان ١٤١٤هـ

- تاج العروس
محمد مرتضى الزبيدي - الجزء الخامس - ط بيروت - لبنان ١٩٦٦م

- ترتيب المدارك
القاضي عياض - الجزء الأول - طبعة بيروت ١٩٧٦م

- تاريخ الطبري (الأمم والملوك)
أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ـ ٣١٠هـ) مطبعة الحسينية - مصر - ط أولى ١٣٢٦هـ

- التهذيب
الشيخ الطوسي - الجزء الثاني - طبعة بيروت - لا.ت.

- تاريخ بغداد
أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) دار الكتاب - بيروت - لبنان - لا.ت.

- التعريفات
الجرجاني - ط أولى - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٤٠٥هـ

- تاريخ الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية (الإمامة والسياسة)
أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) مطبعة مصطفى محمد - مصر - لا.ت.
- التاريخ الكامل (تاريخ ابن الأثير)
أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) المطبعة الأزهرية - مصر ١٣٠١هـ
- تاريخ اليعقوبي
أحمد بن أبي يعقوب الكاتب (ت ٢٨٤هـ) مطبعة الغري - النجف الأشرف ١٣٥٨هـ
- تذكرة الخواص
أبو المظفر يوسف شمس الدين (سبط ابن الجوزي) (ت ٥٦٠هـ) المطبعة العلمية - النجف الأشرف ١٣٦٩هـ
- تلخيص المستدرك على الصحيحين
شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ط١ - حيدرآباد - مجلس دائرة المعارف ١٣٣٨هـ
- تحف العقول عن آل الرسول
الحسن بن شعبة الحراني - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام
محمد بن عثمان الذهبي - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

حرف الحاء

- حلية الأولياء
أبو نعيم الأصفهاني - الحافظ - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م
- حياة الإمام الصادق
باقر القرشي، دار الأضواء - بيروت - لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
جلال الدين السيوطي الشافعي (ت ٩١٠هـ) مطبعة الموسوعات - مصر، لا.ت.

حرف الخاء

- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) المطبعة الخيرية - مصر، ط أولى ١٣٤٨هـ
- الخلاصة
العلامة الحلي - المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - العراق، ط٢ - ١٩٦١م
- خطط الشام
محمد كرد علي - الجزء السادس - ط بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

حرف الدال

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور
جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١٠هـ) المكتبة الإسلامية - طهران ١٣٧٢هـ

- الدرجات الرفيعة
صدر الدين السيد علي خان الحسيني المدني (ت ١١٢٠هـ) المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٨١هـ
- دلائل الصدق
محمد حسن المظفر (ت ١٣٧٦هـ) المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٧٢هـ
- دائرة معارف القرن العشرين
محمد فريد وجدي، الجزء الخامس، الطبعة الرابعة - بيروت - لبنان ١٣٨٦هـ

حرف الذال

- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى
أحمد بن عبد الله الشهير بالمحب الطبري (ت ٦٩٤هـ) مطبعة السعادة - مصر ١٣٥٦هـ

حرف الراء

- روائع نهج البلاغة
جورج جرداق - الغدير للدراسات والنشر - بيروت - لبنان ١٩٩٦م
- الرياض النضرة في مناقب العشرة
أبو جعفر أحمد بن عبد الله الشهير بالمحب الطبري (ت ٦٩٤هـ) مطبعة دار التأليف - مصر ١٣٧٢هـ

حرف الزاي

- زاد المعاد في هدى خير العباد
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) مطبعة

مصطفى البابي الحلبي - مصر ١٣١٩هـ

- زهر الآداب وثمرة الألباب

أبو اسحق الحصري القيرواني (ت ٤٨٨هـ) مطبعة الرحمانية - مصر، ط٢ - ١٣٤٤هـ

- زهر الربيع

نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) مؤسسة البلاغ - بيروت - لبنان ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

حرف السين

- السير والمغازي

ابن اسحق المطلبي - تحقيق سهيل زكّار - دار الفكر - بيروت - لبنان ١٩٧٨م

- سيرة النبي (سيرة ابن هشام)

أبو محمد بن عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ) دار الجيل - بيروت - لبنان ١٤١١هـ - ١٩٩١م

- سنن الترمذي

أبو علي محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - المكتبة الإسلامية، لا.ت.

- سر العالمين وكشف ما في الدارين

أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) مطبعة الحجر الباهرة، مومبي ١٣١٤هـ

- السنن الكبرى

أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) حيدرآباد - مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٥٢هـ

- سنن النسائي

أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ) شرح جلال الدين السيوطي - تصحيح المسعودي - المطبعة المصرية - الأزهر.

- سنن المصطفى (سنن ابن ماجة)

محمد بن يزيد أبو عبد الله بن ماجة القزويني (ت ٢٧٣هـ) المطبعة التازية - مصر - الطبعة الأولى، لا.ت.

حرف الشين

- الشيعة والحاكمون

محمد جواد مغنية، دار الجواد، بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٩٩٢م

- شرح نهج البلاغة

عبد الحميد المدائني ابن أبي الحديد (ت ٦٥٥هـ) دار الكتب العربية الكبرى - مصر ١٣٢٩هـ

- شيخ المضيرة أبو هريرة

محمود أبو ريّة، مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان، ودار المعارف - مصر ١٩٦٥م

- شرح اللمعة الدمشقية - الروضة البهية

الشهيدان محمد بن جمال الدين مكي العاملي - زين الدين الجبعي العاملي - مطبعة الآداب - النجف الأشرف.

حرف الصاد

- صحيح البخاري

محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) المطبعة العثمانية - مصر ١٣٥٥هـ

- صحيح مسلم

مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ) مطبعة محمد علي صبيح - مصر ١٣٣٤هـ

- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة

شهاب الدين أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣هـ) دار الطباعة المحمدية - مصر ١٣٧٥هـ

- الصلة بين التصوف والتشيه

كامل مصطفى الشيبي، طبعة أولى - العراق - بغداد ١٩٦٩م

حرف الضاد

- ضحى الإسلام

أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والنشر - مصر - الطبعة السابعة ١٩٦٤م

حرف الطاء

- طبقات الشفعية الكبرى

عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ) المطبعة الحسينية المصرية - ط أولى، لا.ت.

- الطبقات الكبرى

محمد بن سعد، دار بيروت - لبنان ١٣١٦هـ - ١٩٥٧م

حرف العين

- عائشة والسياسة

سعيد الأفغاني، مطبعة لجنة التأليف والنشر - الطبعة الثانية ١٩٤٧م

- العدالة الاجتماعية في الإسلام

سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الرابعة ١٣٧٣هـ

- العقد الفريد
شهاب الدين ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ) تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة - مصر ١٣٧٢هـ
- عيون الأخبار
عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ١٣٩هـ) ط٢ - مطبعة الحيدري - طهران ١٣٧٢هـ
- علل الشرائع
ابن بابويه القمي - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- عيون أخبار الرضا
الشيخ الصدوق، دار العلم، قم - إيران ١٣٧٧هـ
- عبقرية الإمام علي
عباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، صيدا - لبنان، لا.ت.
- عقائد الإمامية
محمد رضا المظفر، دار الصفوة - بيروت - لبنان، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ

حرف الغين

- الغدير في الكتاب والسنة والأدب
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي (ت ١٣٩٠هـ) مطبعة الحيدري - طهران ١٣٧٢هـ

حرف الفاء

- الفتنة الكبرى - عثمان
طه حسين - دار المعارف - مصر ١٩٤٧م
- الفتنة الكبرى - علي وبنوه

طه حسين - دار المعارف - مصر ١٩٥٣م
- الفتوح
أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ) مطبعة دار الكتب العربية، بيروت - لبنان ١٤٠٦هـ
- فتوح البلدان
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ
- فضائل الخمسة من الصحاح الستة
مرتضى الحسيني الفيروزآبادي، مطبعة النجف الأشرف - العراق ١٣٨٤هـ
- الفهرست
أبو الفرج محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم (ت ٣٨٥هـ) المطبعة الرحمانية - مصر ١٣٤٨هـ
- فاطمة الزهراء والفاطميون
عباس محمود العقاد، منشورات الكتاب العربي - بيروت - لبنان، لا.ت.

حرف القاف

- القطرة من مناقب النبي والعترة
أحمد المستنبط، منشورات ذوي القربى - قم - ايران ١٤٢٤هـ

حرف الكاف

- الكامل في اللغة والأدب
أبو العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد (ت ٢٨٥هـ) مطبعة مصطفى محمد - مصر ١٣٥٥هـ
- كتاب الخراج

يحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣هـ) شرح أحمد محمد شاكر - المطبعة السلفية - مصر ١٣٤٧هـ
- كتاب سليم بن قيس الهلالي
سليم بن قيس الهلالي العامري، لا.ت.
- كتاب وقعة صفين
نصر بن مزاحم (ت ٢١٢هـ) شرح عبد السلام هارون، مطبعة المؤسسة العربية الحديثة، ط٢ - ١٣٨٢هـ
- كشف الغمة في معرفة الأئمة
أبو الحسن علي بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ) مطبعة محمد حسين الطهراني - كربلاء - العراق ١٢٩٤هـ
- كنز العرفان في فقه القرآن
المقداد السيوري (ت ٨٢٦هـ) مطبعة دار الخلافة - طهران ١٣١٣هـ
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال
علي المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ) مطبعة دار المعارف النظامية، حيدرآباد ١٣١٢هـ

حرف اللام

- اللآلي المصنوعة
جلال الدين السيوطي (ت ٩١٠هـ) المطبعة الأدبية، مصر - ط١ - ١٢١٧هـ
- لسان العرب
جمال الدين بن منظور الإفريقي المصري (ت ٧١١هـ) دار صادر للطباعة - بيروت - لبنان ١٣٧٥هـ
- لسان الميزان

أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) مطبعة دار المعارف النظامية، الهند - ط١ - ١٣٢٩هـ

حرف الميم

- مجمع البيان

أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) مطبعة العرفان، صيدا ١٣٣٣هـ

- المحاسن والأضداد

أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) مطبعة السعادة - مصر، ط أولى ١٣٢٤هـ

- المختصر في أخبار البشر (تاريخ أبي الفدا)

عماد الدين اسماعيل أبو الفدا (ت ٧٧٤هـ) المطبعة الحسينية - مصر ١٣٣٢هـ

- مذاهب التفسير الإسلامي

جولد تسيهر، ترجمة عبد الحميد النجار - المطبعة المحمدية - مصر ١٣٧٤هـ

- مروج الذهب ومعادن الجوهر

علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٥هـ) المكتبة الإسلامية - بيروت - لبنان ١٩٨٤م

- المستدرك على الصحيحين

محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) حيدرآباد، مطبعة دائرة المعارف النظامية ١٣٣٤هـ

- مسند أحمد

أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) مطبعة دار المعارف - مصر ١٣٦٩هـ
- معاوية بن أبي سفيان في الميزان
عباس محمود العقاد - كتاب الهلال، الطبعة الأولى - مصر - القاهرة، لا.ت.
- معجم البلدان
شهاب الدين ياقوت الحموي (ت ٦١٨هـ) منشورات مكتبة الأسدي، طهران ١٩٦٥م
- معرفة أخبار الرجال (رجال الكشي)
محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي (من أعلام القرن الرابع الهجري) المطبعة المصطفوية - مومبي ١٣١٧هـ
- مقاتل الطالبيين
أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
- موسوعة الأديان
أحمد راتب عرموش، دار النفائس - بيروت - لبنان، ط٢ - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
- مكارم الأخلاق
الحسن بن الفضل الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري) - مطبعة النعمان - العراق - النجف الأشرف.
- الملل والنحل
محمد عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) ط أولى، مطبعة حجازي - مصر ١٣٦٨هـ

- مناقب الخوارزمي
أحمد البكري المكي، المعروف بأخطب خوارزم (ت ٥٦٨هـ) المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف ١٣٨٥هـ
- مناقب آل أبي طالب
ابن شهرآشوب، دار الأضواء - بيروت - لبنان، لا.ت.
- مقتل الحسين
عبد الرزاق الموسوي المقرّم، دار الكتاب الإسلامي، بيروت - لبنان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
- المخلاة
محمد بهاء الدين العاملي، دار المعرفة، بيروت - لبنان ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
- معالم المدرستين
مرتضى العسكري، ط أولى - إيران - طهران، لا.ت.
- مناقب أبي حنيفة
الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدرآباد، ط أولى ١٣٢١هـ
- مناهج البحث عند مفكري الإسلام
علي سامي النشار، دار المعارف - مصر - الطبعة الثانية ١٩٦٥م

حرف النون

- نهج البلاغة
جمعه الشريف الرضي، تحقيق علي أنصاريان، منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الإسلامية - دمشق ١٤٢٧هـ
- نشأة الشيعة والتشيع

محمد باقر الصدر، الغدير للدراسات والنشر - بيروت - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

- النصائح الكافية لمن يتولى معاوية

محمد بن عقيل - مؤسسة الفجر، بيروت - لبنان ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

- نور الأبصار

الشبلنجي المدعو بمؤمن (من علماء القرن الثالث عشر الهجري) المطبعة الميمنية - مصر ١٣٢٢هـ

حرف الواو

- وسائل الشيعة

محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤هـ) مؤسسة إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ١٤٠٣هـ

حرف الياء

- ينابيع المودة

سليمان الحسيني البلخي القندوزي (ت ١٢٩٤هـ) مطبعة العرفان، صيدا، لا.ت.

الدكتور الشيخ علي إبراهيم الطرابلسي

من السيرة الذاتية

- الشيخ علي إبراهيم الطرابلسي، ولد في عام ١٩٥٠ في طرابلس - لبنان.
- تلقى علومه الأولى والمتوسطة والثانوية في طرابلس - لبنان.
- هاجر إلى النجف الأشرف عام ١٩٦٦م.
- درس الفقه الإسلامي على آية الله العظمى السيد كاظم الشيرازي وعلى آية الله المرحوم السيد عز الدين بحر العلوم وعلى آية الله المرحوم الشيخ عبد الهادي حموزي وعلى آية الله العظمى السيد محمد باقر الشيرازي وعلى أية الله الشهيد عبد الصاحب الحكيم.
- درس أصول الفقه على آية العظمى السيد محمود الشاهرودي الهاشمي وعلى آية الله الشيخ محمد الأصفهاني وآية الله العظمى المرحوم السيد محمد تقي الحكيم وعلى آية الله الشيخ محمد رضا الجعفري.
- درس النحو والصرف والبيان على آية الله المرحوم الشيخ عبد الهادي مطر، وآية الله الشيخ عبد الهادي الفضلي وآية الله المرحوم السيد مصطفى جمال الدين وآية الله السيد جعفر مرتضى العاملي.
- درس على الإمام الشهيد محمد باقر الصدر "نشأة الشيعة والتشيع"، وعلى آية الله شهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم، وغيرهم كثير ممن لا يسعني ذكره في هذه العجالة.

- في عام ١٩٧١م تخرج بإجازة من كلية الفقه في النجف الأشرف.
- في تموز عام ١٩٧٣م وبقرار رقم - ٣١ - عين أميناً لسر الإفتاء الجعفري في طرابلس من قبل الإمام السيد موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان.
- عينه وكيلاً عاماً الإمام المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى السيد محسن الطباطبائي قدس سره في طرابلس وعكار والساحل السوري ولواء اسكندرون.
- شارك بقوة في تأسيس معاهد لتحفيظ القرآن في الساحل السوري ولبنان.
- شارك بمؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية في حلب وبيروت ودمشق وطهران ومؤتمر الإمام جعفر الصادق في دمشق، ومؤتمر الإمام زين العابدين والصحيفة السجادية بمكتبة الأسد.
- تم تعيينه في الملاك العام للإفتاء الجعفري بموجب قرار ٩٦/٤ لعام ١٩٩٦م.
- نال شهادة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية المفتوحة في التاريخ الإسلامي برتبة مؤرخ عام ٢٠٠٦م.
- شارك في مؤتمر الشيخ حبيب آل ابراهيم المهاجر في بعلبك عام ١٩٩٦م بإشراف المستشارية اثقافية للجمهورية الإسلامية الإيرانية في دمشق، وشارك في الندوة الدولية بمناسبة الذكرى السنوية التاسعة لرحيل مفجر الثورة الإسلامية المباركة الإمام الخميني عام ١٩٨٧م في مكتبة الأسد، ومؤتمر دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية في مكتبة الأسد عام

٢٠٠٢م، ومؤتمر التقريب بين المذاهب الإسلامية في حلب - سوريا عام ٢٠٠١م إلى غيرها من المؤتمرات الإسلامية للتقريب في بيروت وطهران والقاهرة ودمشق.

- كان له شرف المساهمة والمشاركة في بناء العشرات من المساجد، والحسينيات والمكتبات، في الساحل السوري ولبنان.
- لقد أجازه جمع غفير من جهابذة علماء المسلمين من السنة والشيعة، خطياً، وشفهياً، نذكر منهم: الإمام محسن الطباطبائي الحكيم، الإمام أبو القاسم الموسوي الخوئي، الإمام المرعشي النجفي، الإمام السيد الخوانساري، الإمام السيد شريعتمداري، الإمام السيد الكلبيكاني، الإمام صادق الروحاني، الإمام كاظم الحائري الشيرازي، الميرزا حسن الحائري الأحقافي، الإمام السيد محمد تقي الحكيم، الحجة المرحوم السيد مصطفى جمال الدين، العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي، المرحوم الشيخ محمد كاظم شمشاد وغيرهم. ومن علماء السنة: الشريف الشيخ عبد القادر السقاف، الشريف الشيخ محمد ضياء شهاب، الشريف الشيخ محمد بن علوي المالكي، الشريف الشيخ حامد أبو بكر المحضار، الشريف الشيخ عبد الله الحبيد، الشيخ جمال الدين الألوسي، الشيخ محمد النبهاني الحلبي، المفتي الشيخ أحمد كفتارو، الشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي، الشيخ نديم الجسر الطرابلسي.
- من الدعاة للتقريب بين المذاهب الإسلامية وتوحيد صفوف الأمّة في وجه الاستكبار الغربي العالمي، والهجمة الصهيونية الغاشمة على مقدسات العرب والمسلمين في فلسطين ولبنان وضرورة تنقية التراث

الإسلامي من الإسرائيليات ودسائس أحبار اليهود في كتب الفريقين السني والشيعي من مكر وخداع وغلو وشعبذة.

كتب للمؤلف مطبوعة:

* التشيع في طرابلس وبلاد الشام، صدر عن دار الساقي في بيروت عام ٢٠٠٧م.
* في رحال نهج البلاغة - طبع مرتين - إصدار دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٣م.
* العلويون والتشيع - تقديم آية الله فضل الله - صدر عن الدار الإسلامية - بيروت ١٩٩٢م.
* الإمام علي عليه السلام وملاحم نهج البلاغة - صدر عن الدار الإسلامية - بيروت ١٩٩٦م.
* العلويون بين الغلو والفلسفة والتصوف والتشيع - تقديم آية الله شمس الدين - صدر عن مؤسسة الأعلمي - بيروت ١٩٩٥م.
* كنز العرفاء - صدر عن دار الملاك - بيروت ١٩٩٨م.
* أصفى المناهل في جواب السائل - صدر عن دار التراث الإسلامي - بيروت ١٩٧٤م.
* المشاهد الشريفة لآل محمد في بلاد الشام - صدر عن صوت الخليج - الكويت ١٩٨٥م.
* أبو طالب مؤمن قريش - العملاق الخالد - صدر عن صوت الخليج - الكويت ١٩٨٥م.

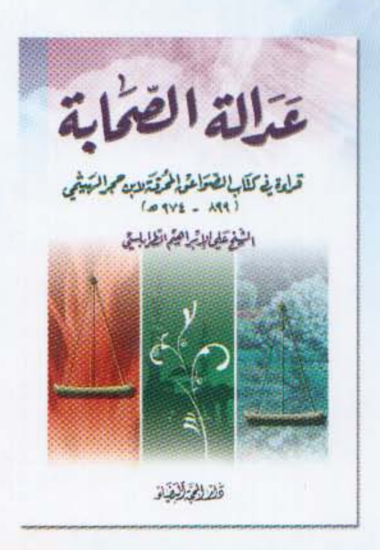
* مجموعة كلمات ومحاضرات متفرقة في كتب ومجلات متعددة منها كتاب - مؤتمر الإمام جعفر الصادق - مؤتمر الشيخ حبيب آل ابراهيم المهاجر - مؤتمر دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية - الذكرى السنوية التاسعة لمفجر الثورة الإسلامية الإمام الخميني - مؤتمر الإمام زين العابدين والصحيفة السجادية، ومن المجلات: الرصد، الثقافة الإسلامية وغيرها.

كتب للمؤلف مخطوطة:

* لمحات عن دولة بني عمَّار في طرابلس.
* يا علي، هلك فيك إثنان: محب غال، ومبغض قال.
* الحيرات في إشكالية التسمية للسنة والشيعة.
* أئمة أهل البيت عليهم السلام دعاة عظماء للوحدة الإسلامية.
* عدالة الصحابة جميعاً بدعة أموية.
* عدالة الصحابة في الميزان (قراءة في الصواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي.
* الإمام علي والغلاة.
* محنة الإمام جعفر الصادق عليه السلام مع الغلاة.
* قراءة في العقائد والفرق الإسلامية.

الفهرس

لمحات عن الشيعة الإمامية



مسألة عدالة الصَحابة جميعاً، من الأمور المعقَدة، التي اختلف فيها المسلمون فأصبحت من المسائل الشائكة، وأودت بالمسلمين إلى الكثير من البغضاء ولذلك تفضل سماحة الشيخ علي الإبراهيم بدراسة هذا الموضوع من خلال كتاب الصواعق الذي يعدّ من المصادر الرئيسيّة عند أهل السّنَة ومقابلته بالأحاديث الواردة عند أهل البيت عليهم السلام واستخلاص المعاني الصّريحة والواضحة لمفهوم العدالة لنصل معاً إلى فهم واضح يوصلنا جميعاً إلى برّ أمان واطمئنان.

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال
هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١
ص.ب: ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com